المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
الإهداء

إلى من كان القرآنُ نبراسَ حياته، ومنهجَ دعوته، وقائدَ أمته...

إلى سيد الخلق وأشرف المرسلين، محمد بن عبد الله ﷺ،
الذي أُنزلت عليه هذه السورة لتكون دستورَ تمكين، وخارطةَ طريق لأمةٍ وُعِدت بالنصر إن هي نصرت دينها، وأُرهِبت بالاستبدال إن هي تولّت عن أوامر ربها.

فلك يا حبيبي ﷺ كلُّ آيةٍ نُزّلت تثبّت فؤادك، وكلُّ حرفٍ يُضيء درب من اهتدى بهديك.

إلى من تربّعوا على عرش الصبر، وارْتَوَوْا من نهر الجهاد...

إلى الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم .جميعا
الذين حملوا راية هذه السورة في ميدان القتال، وطبقوا أحكامها في واقع الحياة، وعاشوا معانيها في كل خفقةِ قلبٍ ونفسٍ من أنفاسهم.

أنتم النموذج الذي تتحدث عنه هذه الآيات، وأنتم الشهداء الذين وعدهم الله ألّا يُضِلّ أعمالهم، وأن يُصْلِحَ بالهم ويهديهم سبيل الجنان.

إلى الرجال الأوفياء الذين يقرؤون آيات القتال فيُوقِنون أن الجهادَ عبادة، والموتَ في سبيل الله حياةٌ أبدية...

إلى المجاهدين في سبيل الله، في كل زمانٍ ومكان،
الذين تركوا الأوطان والأموال، وضحّوا بالأرواح والأماني، وردّدوا في قلوبهم قبل ألسنتهم:
)إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.(

أنتم من نزلت في حقهم) والذين قُتِلوا في سبيل الله فلن يُضِلّ أعمالهم.(

إلى الذين يحملون همّ هذه الأمة في صدورهم، ويبحثون عن طريق الخلاص من واقع التمزق و الضعف...

إلى كلّ داعيةٍ ومُربٍّ ومفكّرٍ،
يسعى لتحويل مفاهيم القرآن إلى طاقةٍ حيويةٍ تبني الإنسان، وتُصلح المجتمع، وتصنع الحضارة.

هذا الكتاب هو رحلةٌ في رحاب سورة محمد، لعلّنا نستخرج منها الدواء لعللنا، والقوة لعزيمتنا، و المنهاج لحياتنا.

إلى من علّمني أن القرآنَ ليس مجردَ كلماتٍ تُتلى، بل منهاجُ حياةٍ يُعاش...

إلى روحي التي تسكن بين دفتي هذا الكتاب...

إلى ثمرات قلبي...

إلى أبنائي الأحباء،
أضع بين أيديكم هذه المفاهيم القرآنية، راجياً أن تكون لكم زاداً في الدنيا، وذخراً في الآخرة.

تعلموا من هذه السورة: أن العزة بالإيمان، وأن النصر بالجهاد، وأن الاستمرار في الطاعة هو الطريق إلى إصلاح البال.

إلى كلّ من يقرأ هذا الكتاب..

أقدمه بين يديك، راجياً من الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده المؤمنين، وأن يفتح به قلوباً غفلت، ويُحيي به عزائمَ خَبَت، ويُذكِر به أمةً تبحث عن هويتها وطريق نهضتها.

اللّهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وحجةً لنا لا علينا، واجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

والحمد لله رب العالمين
كاتب هذه السطور
أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
البطاقة التعريفية للكتاب

"المفاهيم القرآنية من سورة محمد"

أولا ً: التعريف بالكتاب

· عنوان الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة محمد) دراسة تفسيرية تحليلية.(
· الموضوع: دراسة تفسيرية تحليلية لسورة محمد، تركز على استخراج المفاهيم القرآنية بهدف تحويلها إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية.
· طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تحليلي، يجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل النفسي والتربوي والا جتماعي، مع تركيز عملي على كيفية تطبيق مفاهيم السورة في الواقع المعاصر.
· تأليف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري.
· مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى.

ثانياً: نبذة عن الكتاب ومحتواه

يقدم الكتاب رحلة متكاملة في ظلال سورة محمد) ﷺ(، حيث يتجاوز التفسير التقليدي إلى استخراج "المفاهيم القرآنية" الكامنة في آياتها .يسعى الكتاب إلى كشف العلاقات العضوية بين آيات السورة، وبيان الحكمة من تنقل الخطاب القرآني بين مراحل الدعوة) الصبر، والتمكين، والمواجهة .(يناقش الكتاب نماذج الفرق الثلاثة في السورة: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، محللا ً دوافعهم، ومصائرهم، وكيفية التعامل مع كل فئة في ضوء التوجيه الإلهي.
ثالثاً: منهجية الكتاب

.1المنهج التكاملي: لا يقتصر على الجانب اللغوي أو الفقهي، بل يدمج بين التحليل اللغوي، والتفسير الموضوعي، والنفسي، والتربوي، والاجتماعي، والحضاري.
.2التقسيم الموضوعي: يقسم السورة حسب سياقها العام إلى مقاطع موضوعية) الصبر، القتال، النفاق، الإستخلاف(، ويحلل كل مقطع كوحدة متكاملة.
.3ربط النص بالواقع: ينتقل من النص القرآني إلى تطبيقاته العملية في حياة الفرد والمجتمع، مع طرح أسئلة وجودية) "دائرة القراءة الواعية" (تحفز القارئ على محاسبة نفسه.
.4تحويل المفاهيم إلى طاقة: يركز على كيفية تحويل كل مفهوم قرآني إلى طاقة بناء، عبر تحديد آثاره في إصلاح الفرد، وتماسك المجتمع، وقيام الحضارة.

رابعاً: أبرز المحاور والقضايا التي يعالجها الكتاب

.1العلاقة بين سورتي الأحقاف ومحمد: تفسير الانتقال من طور "الصبر" في مكة إلى طور "القتال" في المدينة، وبيان أن الصبر كان استراتيجية مرحلة لا خنوعاً.
.2نماذج الفرق الثلاثة: تحليل دقيق لـ:
· نموذج الكفار:) الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، أضل أعمالهم.(
· نموذج المؤمنين:) الذين آمنوا وعملوا الصالحات، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.(
· نموذج المنافقين:) الذين يستمعون بالجسد وتغيب قلوبهم، ويتولون عن الجهاد، ويبخلون.(
.3قانون النصر والتمكين: شرح آية النصر) إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (كمعادلة إلهية شرطها نصرة الله.
.4قانون الاستبدال: تحليل الآية الختامية) وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم(، وبيان أنها سنة كونية في بقاء الأمم وسقوطها.
.5أمراض القلوب: تشخيص دقيق لأمراض النفاق، والغل، والبخل، والحقد، والوهن، وارتباطها بانحراف العمل عن الإخلاص والطاعة.

خامساً: المفاهيم الأساسية في الكتاب

·) مفهوم الصبر الاستراتيجي(: صبر مكة ليس خنوعاً، بل بناء للنفس والدولة.

·) مفهوم الإيمان العملي(: الإيمان ليس شعاراً، بل عمل صالح، وطاعة، وإنفاق، وجهاد.
·) مفهوم الموالاة(: الفرق بين ولاية الله للمؤمنين، وخذلان الكافرين "لا مولى لهم".
·) مفهوم الإخبات وإصلاح البال(: طمأنينة القلب، وإصلاح الحال، والهداية المستمرة، نتيجة اتباع الحق.
·) مفهوم الاستخلاف والاستبدال(: بقاء الأمة مرتبط بتوليها مسؤولية ثصرة دين الله، والتولي عنها يؤدي إلى الاستبدال بقوم آخرين.

سادساً: ما يميز الكتاب عن غيره من التفاسير

.1التطبيق العملي: التفاسير الأخرى تشرح المعنى، وهذا الكتاب يشرح كيفية العيش بالآية وتحويلها إلى برنامج حياة.
.2التحليل النفسي والاجتماعي: يتعمق في تحليل دوافع السلوك البشري) الحقد، البخل، الجبن، النفاق(، مما يجعله كتاباً في فقه النفس البشرية بقدر ما هو كتاب في التفسير.
.3منهجية الطاقة: يقدم الكتاب كأداة لـ"بناء الإنسان والحضارة"، وليس مجرد أداة للمعرفة النظرية.
.4ربط النص بالواقع المعاصر: يتناول الكتاب قضايا راهنة مثل صراع الحضارات، الإعلام المضاد، ودور الأمة المسلمة في مواجهة التحديات، وكيفية التعامل معها من منظور قرآني.

سابعاً: ما يتميز به أسلوب الكاتب في هذا الكتاب

· الأسلوب الندائي والإلقائي: يخاطب القارئ مباشرة) يا أيها المؤمن، يا من تقرأ(، مما يخلق حالة من التفاعل العاطفي والذهني.
· اللغة التصويرية: يستخدم الصور البلاغية والتشبيهات الواقعية لتقريب المعاني المجردة) كالسراب، البناء على الرمل، كاميرات المراقبة.(
· التدرج المنطقي: ينتقل بسلاسة من الجزئي إلى الكلي، ومن النظري إلى التطبيقي، ومن الشرح إلى التوجيه.
· التكامل بين العاطفة والعقل: يخاطب القلب بالشوق والوعد، والعقل بالبرهان والمنطق، والجوارح بالأ مر والتكليف.
· التواضع والأبوة الروحية: يظهر الكاتب بمثابة "مرشد" أو "أخ" يمسح على جروح القارئ ويحفزه، وليس كـ"مدرس" يملي العلم.

ثامناً: دور الكتاب في خدمة الأمة الإسلامية

.1يقدم خارطة طريق للنهضة: من خلال استخلاص سنن النصر والتمكين، يقدم الكتاب رؤية واضحة للمجتمعات الإسلامية لاستعادة عزتها.
.2يعالج أمراض الأمة: يشخص مرض الوهن، والبخل، والنفاق، والغل، ويقدم حلولا ً قرآنية لتطهير المجتمع منها.
.3يؤسس لعقيدة الولاء والبراء: يرسخ مفهوم أن النصر والولاية من الله للمؤمنين، وأن موالاة أعداء الله تؤدي إلى الإحباط والخسران.
.4يصنع نموذجاً بشرياً: يرسم ملامح الإنسان المؤمن القوي العامل المجاهد، القادر على قيادة الحضارة.
.5يذكر الأمة بحتمية الاستبدال: يحذر من التقاعس، ويذكرهم بأن الأمة غير معصومة، وأن التولي عن واجبها يؤدي إلى رحيلها من مسرح التاريخ.

تاسعاً: الجمهور المستهدف

· طالب العلم: الباحث عن تفسير موضوعي عميق يتجاوز الحفظ إلى الفهم والتطبيق.
· الداعية والمربي: من يبحث عن منهجية عملية في تربية النفس والناس، وقراءة الواقع بنور القرآن.
· القارئ الواعي: المسلم الذي يبحث عن حلول عملية لمشاكله النفسية والاجتماعية، ويسعى لبناء

شخصيته وهويته من خلال القرآن.
· المفكر والباحث: المهتم بدراسة السنن الكونية والاجتماعية في ضوء القرآن الكريم.

عاشراً: مخرجات هذا الكتاب

.1بناء وعي قرآني متكامل لفهم السورة كمنهج حياة، وليس كمجرد آيات للحفظ والترتيل.
.2أدوات عملية لمحاسبة النفس من خلال "دوائر القراءة الواعية") محاسبة النفس، والتطبيق العملي.(
.3تصور واضح لمعركة الباطل والحق وفهم أدوار الأطراف المختلفة) مؤمن، كافر، منافق.(
.4استراتيجية للنهوض تعتمد على الإيمان والعمل الصالح والوحدة، وتجنب البخل والوهن.
.5قناعة راسخة بسنة الاستبدال، مما يحفز الأمة على التحرك والجدية في حمل مسؤولية الرسالة.

حادي عشر: أقوال مأثورة بلسان المؤلف) مختارات من النص(

· "إن الصبر لم يكن خنوعًا، بل كان تكتيك مرحلة، والآن جاءت مرحلة التمكين والمواجهة."
· "القوة المادية ليست معيار النصر والهلاك، بل المعيار هو الإيمان والكفر، والطغيان والإعراض عن الله."
· "إن الخطر الحقيقي ليس في عدم السماع، بل في السماع بلا تدبر، فهو وبال على صاحبه."
· "إياك أن تقول: 'غيري سيفعلها'، فأنت المقصود، فإن لم تفعل استبدلك الله بمن هو خير منك."
· "الهوى إله يُعبد من دون الله، عوده مخالفته في الصغائر حتى لا يقودك إلى الطبع على القلب."
· "المؤمن الحق ليس متفرجاً، ولا منتظراً للنصر وهو نائم، بل هو مُبادِر، فاعل، ومُضحّ."

ثاني عشر: الخلاصة

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة محمد" هو مشروع قرآني نهضوي، يحول سورة القتال من مجرد نصوص تشريعية إلى برنامج متكامل لبناء الإنسان والمجتمع .يجمع بين عمق التحليل وواقعية التطبيق، بأسلوب شائق، يجعل من القارئ شريكاً في الرحلة الإيمانية، ويخرجه من دائرة التلقي السلبي إلى دائرة التأثير الإيجابي .إنه كتاب فريد في بابه، يجمع بين تفسير النص وفقه الواقع، ويؤكد أن طريق التمكين يبدأ بإصلاح النفس، ثم الجهاد بالمال والنفس، حتى يتحقق الوعد الإلهي بـ "العلو في الأرض" أو "الاستبدال بقوم آخرين"، ليظل الدين قائماً وحجة الله قائمة.

بسم الله الرحمن الرحيم
هذه مذكرة تعريفية شاملة بسورة محمد،
أولا ً: التعريف الأساسي بالسورة

· عدد الآيات: 38 آية.
· مكان النزول: مدنية، بإجماع من أهل العلم.
· ترتيب السورة:
· في المصحف: السورة رقم. (47)
· في النزول: السورة رقم (95) حسب أحد الترتيبيات المعتمدة، وتحديداً بعد سورة الحديد وقبل سورة الرعد.

ثانياً: أسماء السورة وسبب التسمية

· سورة محمد :
· السبب: هو الاسم الأشهر، وقد سُميت بذلك لذكر اسم النبي ﷺ صراحةً في الآية الثانية منها:)وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ. (
· سورة القتال :
· السبب: لأن القتال هو موضوعها الرئيسي والعنصر البارز فيها، وقد ورد لفظ "القتال" في قوله تعالى:) وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ . (وهي بذلك تُعد تسمية قرآنية.

ثالثاً: الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت سورة محمد في الفترة المدنية، تحديداً بين غزوة بدر الكبرى وغزوة الأحزاب، وذلك بعد أن تكوّنت للمسلمين دولتهم في المدينة . وقد كانت هذه الفترة حاسمة، حيث كان المسلمون يواجهون تحالفاً من قوى الشرك والكيد، فجاءت السورة لترسم خارطة طريق المواجهة، وتأمر بالجهاد، وتفضح المنافقين، وتثبّت قلوب المؤمنين بوعد النصر والتمكين.

رابعاً: أسباب نزول بعض الآيات

من أسباب النزول المذكورة في كتب التفسير:

.1الآيات1 -) 2أضل أعمالهم - أصلح بالهم(: قيل نزلت في تفريق بين حال أهل مكة الذين كفروا وصدوا، والأنصار في المدينة الذين آمنوا وأصلح الله بالهم.
.2الآية) 4 والذين قتلوا في سبيل الله(: نزلت في الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد.
.3الآية) 11 الله مولى الذين آمنوا(: نزلت بعد غزوة أحد، رداً على قول المشركين: "العزى لنا ولا عزى لكم"، فأمر النبي ﷺ أن يرد عليهم: "الله مولانا ولا مولى لكم"، فنزلت الآية.
.4الآية) 13 وكأين من قرية(: نزلت مواساة للنبي ﷺ عندما خرج من مكة مهاجراً، وهو حزين لفراق وطنه الذي أخرجه أهله.

خامساً: خصائص السورة

.1هي السورة الوحيدة التي تحمل اسم النبي محمد ﷺ بشكل صريح في افتتاح مضمونها.
.2تجمع بين عدة محاور رئيسية: عقائدية) في الحديث عن الإيمان والكفر(، وتشريعية) في أحكام القتال والأسرى(، وتربوية) في تزكية النفس ومداواة أمراضها كالبخل والجبن والنفاق(، وغيبية) في وصف الجنة والنار. (
.3تمتاز بأسلوبها الحواري المباشر، الذي يخاطب المؤمنين بنداء "يا أيها الذين آمنوا" في آياتها، ويفضح في الوقت نفسه طبيعة المنافقين وأقوالهم وأفعالهم.
.4تركيزها على قانون "الاستبدال" الإلهي في خاتمتها، وهو من السنن الحاسمة في بقاء الأمم وسقوطها.

سادساً: ما انفردت به السورة) مقارنة بغيرها(

· التركيز الوجودي على القتال: السورة تقرر أن القتال في سبيل الله هو فعل إيماني محض، وليس دافعاً دنيوياً، وتجرده من كل دواعي الحرب المعروفة.
· الوعد المزدوج: تقدم وعداً متكاملا ً للمؤمنين بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة، مع توعد

مزدوج للكافرين بالخذلان والتعاسة في الدنيا والنار في الآخرة.
· ختمها بقانون الاستبدال: الوعيد الشديد لمن يتولى عن نُصرة الله بأن يستبدل بهم قوماً آخرين خيراً منهم ، وهي سنة إلهية جامعة.

سابعاً: أهداف وغايات السورة الكبرى

.1التحريض على القتال: بث روح الجهاد في قلوب المؤمنين، وإعلان أن القتال هو الوسيلة لحماية الدعوة وكسر شوكة الكافرين، وتأكيد أن القتال مشروع وواجب.
.2التمييز بين الفرق الثلاثة: توضيح الفرق بين:
· المؤمنين: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، لهم الغفران وإصلاح البال.
· الكافرين: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، لهم إضلال الأعمال والتعاسة.
· المنافقين: الذين يستمعون بأجسادهم ولا يعون بقلوبهم، ويجبّنون عن الجهاد ويبخلون.
.3تثبيت النبي والمؤمنين: مواساة النبي ﷺ عند فراق مكة ، وتهيئة المؤمنين لاستقبال نصر الله بقوة وثبات.
.4تقرير سنن الله: ترسيخ قاعدة أن النصر من الله، وأن الإمهال ليس عجزاً، وأن سنة الاستبدال جارية على كل أمة تتولى.

ثامناً: المواضيع والقضايا والدروس الكبرى

.1حقيقة الحياة الدنيا: بيان أنها دار ابتلاء، وأن القتال فيها سنة إلهية، وليس عبثاً أو فساداً.
.2الولاء والبراء: الفرق بين ولاية الله للمؤمنين، وخذلان الكافرين.
.3فضل الشهادة: بيان أن من قُتل في سبيل الله لن يضلّ عمله، بل يهديه الله ويصلح باله.
.4أمراض القلوب: تشخيص دقيق لأمراض النفاق، والجبن، والبخل، والوهن، وعلاجها بالإيمان والعمل الصالح والإنفاق في سبيل الله.
.5قانون الاستبدال: القاعدة الخالدة في خاتمة السورة:) وَإِن تتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ(، وهي دعوة للأمة بأن تكون فاعلة في مسيرتها وإلا ستزول.

تاسعاً: محاور السورة الرئيسية

يمكن تقسيم السورة إلى عدة محاور كبرى:

.1مصير الفريقين: بدأت ببيان مصير الكافرين) إضلال العمل (والمؤمنين) إصلاح البال. (
.2أحكام المواجهة والقتال: عرضت بالتفصيل آداب لقاء العدو وكيفية التعامل مع الأسرى) المنّ أو الفداء. (
.3حال المنافقين وتوبيخهم: فضحت أقوالهم ومواقفهم الجبانة والمترددة تجاه الجهاد والإنفاق.
.4وعد الجنة ووعيد النار: رسمت مشاهد النعيم لأهل الجنة، والعذاب لأهل النار كدافع للعمل ومحفز للطاعة.
.5التوجيه الخاتم وقانون الاستبدال: خُتمت بالتوجيه الإلهي للمؤمنين بعدم الوهن، والدعوة للإنفاق، و التذكير بفقر الخلق وغنى الله، والتهديد بالاستبدال لمن يعصي.

عاشراً: مقاصد السورة الجوهرية

المقصد الأعظم لهذه السورة هو إعداد الأمة الإسلامية لتكون أمة جهاد وتمكين، وذلك من خلال:

· غرس عقيدة النصر: بأن النصر من الله للمؤمنين، وأن الكافرين لن يضروا الله شيئاً، فكل كيدهم في سبيل الله محبط.
· تنقية الصفوف: بفضح المنافقين الذين يضعفون عزائم المؤمنين، ويُثبطون عن القتال.
· بناء الشخصية المؤمنة القوية: التي لا يرهبها العدو، ولا يغريها بالدنيا، ولا يبخلها بالمال والنفس في سبيل الله.

الخلاصة النهائية

سورة محمد) أو سورة القتال (هي سورة منهجية متكاملة، نزلت لتحول الأمة المسلمة من طور الدعوة الفردية والاضطهاد إلى طور الدولة والتمكين والمواجهة الشاملة مع قوى الباطل .أرست قواعد النصر، وشرحت أحكام الحرب، وشخصت أمراض النفاق والوهن، وربطت النصر بالإيمان والعمل والصبر،

وختمت بقانون كوني أبدي هو قانون الاستبدال، ليبقى المسلمون في يقظة دائمة بأن بقاءهم مرهون بقيامهم بواجبهم نحو دينهم.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمه
العلاقة بين ختام سورة الأحقاف وافتتاحية سورة محمد) صلى الله عليه وسلم

.1 من "أولو العزم" إلى "النموذج الخاتم"
انتهت سورة الأحقاف بأمر إلهي للنبي ﷺ: فَاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أولُو العَزْمِ مِنَ الرُسُلِ .وكأن سورة محمد جاءت لتقول إن هذا الصبر قد أثمر، وأن النبي ﷺ هو الآن الوريث لكل عزم الرسل السابقين.
* في** الأحقاف**: التوجيه بالصبر وعدم الاستعجال لمواجهة التكذيب.
* في** محمد**: تجسيد القدوة في الانتقال من مرحلة الاستضعاف والصبر إلى مرحلة القوة وحماية الحق، فالتسمية باسم "محمد" تضع القائد القدوة أمام المؤمنين ليتبعوه في السلم وفي القتال.
.2 الصبر كإستراتيجية لا كاستسلام
عليك ان تدرك إن الصبر ليس خنوعاً، والسورتان توضحان ذلك بجلاء:
** * سورة الأحقاف **ركزت على "صبر الدعوة" وبناء النفس والارتباط بنهج الأنبياء السابقين.
** * سورة محمد) القتال **(جاءت لتبين "سلاح المرحلة"؛ فحين صار للمؤمنين دولة، لم يعد الصبر يعني السكوت عن البغي، بل أصبح الصبر في الميدان والثبات عند اللقاء .فالانتقال من "كفوا أيديكم" إلى "فضرب الرقاب" هو انتقال مدروس بحسب المصلحة والقدرة.
.3 المعركة النفسية وقبول الأعمال
بيّنت السورة أن النصر الخارجي فرع عن الانتصار الداخلي، وهذا يظهر في مقارنة السورة بين الفريقين:
** * نموذج الكفار: **الذين ضلت أعمالهم) أَضَلّ أَعْمَالَهُمْ(؛ لأنها افتقرت إلى "المركز" وهو الإيمان ب الله .فمهما كانت أعمالهم إنسانية) سقيا الحاج، صلة الرحم(، فهي كالسراب لأن القصد منها لم يكن وجه الله، بل كانت "هباءً منثوراً".
** * نموذج المؤمنين: **الذين آمنوا واتبعوا الحق من ربهم، فكان الجزاء) أَصْلَحَ بَالَهُمْ .(وصلاح البال هو قمة الانتصار النفسي والطمأنينة التي تسبق النصر في الميدان.
.4 الربط بين الختام والافتتاح
** * ختام الأحقاف: **توعد الفاسقين بالهلاك) فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ.(
** * افتتاح محمد: **بدأ فوراً ببيان مصير هؤلاء الفاسقين) الذين كفروا وصدوا (وهو ضياع الأعمال، ومصير الذين آمنوا وهو تكفير السيئات وصلاح الحال

إن اختيار المرء لنموذجه هو الغاية من هذه الأمثال، فإما اتباع المنهج النبوي الذي يجمع بين طهارة النفس وقوة الموقف، وإما التيه وضلال الأعمال رغم ظاهرها الحسن.
###
دور هذه العلاقه فى بناء الامه
ان هذه العلاقه التى تربط بين خواتيم سورة الأحقاف ومضامين سورة محمد) القتال(، فهذا من بديع التناسب القرآني الذي يبني الأمة على مراحل، ويُؤسس لفقه التدرج في التشريع والجهاد النفسي والمسلح .وإليك بيان العلاقة بينهما على النحو :

.1من "الصبر" إلى "القتال": الانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة

في ختام سورة الأحقاف، يأمر الله نبيه ﷺ بالصبر صبرَ أولي العزم من الرسل:

.{فَاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أولُو العَزْمِ مِنَ الرُسُلِ وَلَا تستَعْجِل لهُمْ}) الأحقاف:35(
هذه الآية كانت تؤصّل لمرحلة مكة حيث لا قتال، والصبر فيها يعني الثبات على البلاغ، واحتمال الأ ذى، وعدم مقابلة العنف بالعنف .فالنبي ﷺ أمر أن يقتدي بصبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى الذين طالت معاناتهم قبل النصر.

ثم جاءت سورة محمد) القتال (في المدينة بعد أن صار للمؤمنين دولة وشعب، لتُعلن بداية مرحلة جديدة: حماية الحق بالقوة المسلحة .فذكرتْ السورة مشروعية القتال وأهدافه، وكأنها تقول: الصبر الذي أُمرتَ به في الأحقاف لم يكن خنوعاً أو استسلاماً للظلم، بل كان مرحلةً موقوتة لبناء النفوس وترسيخ العقيدة، فإذا قامت الدولة صار الصبر في ساحات الوغى صبراً من نوع آخر، وصارت المقاومة بالسيف والسنان بعد أن كانت بالحجة والبيان.

.2نموذج أولي العزم ونموذج محمد ﷺ: كلاهما قدوة لكن في مرحلته

· في الأحقاف، القدوة هم أولو العزم في صبرهم، وكأنه إعداد لنفسية النبي والمؤمنين على طول الطريق.
· في سورة محمد، السورة سُميت باسم النبي ﷺ نفسه لأنه صار النموذج المباشر في كل شيء، بما في ذلك القتال وإدارة الدولة .فبعد أن تأسّى بهم في الصبر صار المؤمنون يتأسون به وحده في تطبيق شرع الله كاملا ً، ومنهجه هو الطريق الوحيد للنجاة، كما قال تعالى:

·{وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}· محمد:(6

فكأن الأحقاف تقول: "تشبهوا بهم في الصبر"، وسورة محمد تقول: "أما الآن فالقدوة كلها في محمد ﷺ، لأنه جمع الصبر والقتال بحسب الأمر الإلهي".

.3تقديم نماذج الهالكين ونماذج الناجين: تطبيق عملي على المرحلتين

سورة محمد افتتحت بنموذجين واضحين:

· نموذج الكفار الهالكين: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فأضل أعمالهم، وجعلها كرماد اشتدت به الريح .حتى أعمالهم التي تشبه البر) كصلة الرحم وإغاثة الملهوف (صارت هباءً منثوراً، لأنها تفتقر إلى أصل الإيمان.
· نموذج المؤمنين الناجين: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وغُفرت ذنوبهم وأُصلح بالهم، وأُدخلوا الجنة.

وهذا الترتيب يُبيّن أن مجرد الصبر دون الإيمان الصحيح لا يُنجي، وأن الصبر المرحلي في مكة) الذي أمرت به الأحقاف (كان صبراً إيمانياً مؤسساً على التوحيد، وقادهم في النهاية إلى التمكين والقتال . بينما الكفار الذين صبروا على الكفر هلكوا لأن أعمالهم فقدت أساسها.

.4القتال كثمرة للصبر الإيماني وليس تناقضاً معه

أوضحت السورة – أن الصبر لا يعني التعايش مع الظلم، بل هو مرحلة من مراحل المقاومة .فلما كان الحق في مكة فردياً ودعوياً، كان سلاح المرحلة هو الصبر والكلمة .ولما صار الحق في دولة، أصبح سلاح المرحلة هو القتال العادل دفاعاً عن المستضعفين وكسراً للطغيان .وهذا هو السر في تسميتها "سورة القتال"، لأنها تُفعّل المرحلة الثانية التي أذن الله بها بعد طول الصبر.

.5المعركة تبدأ من الداخل: طريق النجاة عبر التأسي بالنبي ﷺ
السورة بيّنت أن المعركة تبدأ من داخل نفس الإنسان، وهذا ظاهر جداً في الآيات الأولى التي جعلت قبول الهدى والاستجابة لله والرسول هو مفتاح صلاح الأعمال ونجاتها .فالمؤمن الحق انتصر أولا ً على هوى نفسه، فأصبح أقدر على محاربة أعداء الله الخارجيين بثبات ويقين .ومن هنا كان الاقتداء بالنبي ﷺ شاملا ً لجهاد النفس وجهاد العدو، فلا انفصال بينهما.

الخلاصة:
العلاقة بين سورة الأحقاف وسورة محمد هي علاقة بناء تراكمي:

· في الأحقاف: تأسيس لمبدأ الاقتداء بصبر الرسل أولي العزم، لتربية النفوس على احتمال الأذى وانتظار الفرج دون استعجال.
· في سورة محمد: بيان أن هذا الصبر أوصل الأمة إلى مرحلة التمكين والقتال، وأصبح النبي ﷺ هو النموذج الأعلى في تطبيق شريعة الله كلها؛ فمن اقتدى به نجا، ومن تولى وكفر هلك ولو كان له أعمال خير.
· والصبر في السياقين ليس خضوعاً، بل تكتيك مرحلي متقن، يُسلم الراية من الصبر الدعوي إلى الصبر القتالي، وكل ذلك بخطوات مدروسة ووفق توقيت إلهي، كما قال تعالى في ختام الأحقاف: ·{وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}·، وكما قال في سورة محمد: ·{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ}·، وهكذا يكون التنقل من طور إلى طور في معركة مستمرة عنوانها الأكبر: التأسّي بالمصطفى ﷺ.

القسم الاول
المبحث الأول
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم)

أولا ً: سياق التمكين والمواجهة (من الأحقاف إلى القتال)

تخيّل – يا رعاك الله – أنك تعيش ذلك الانتقال العظيم في تاريخ الدعوة. لقد كنتَ في مرحلة الصبر النفسي، تتأسى بأولي العزم من الرسل، وتتحمل الأذى، وتضبط أعصابك، ولا ترد الإساءة بالإ ساءة. هذا ما أمرت به خواتيم سورة الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾. شعرت أن الصبر هو قدرك، وهو سلاحك الوحيد.

ثم يتغير المشهد. ينتقل السياق القرآني من مكة إلى المدينة، حيث صار للمؤمنين دولة وشعب وكيان. وهنا يأتي الوحي بسورة جديدة، سورة محمد التي تسمى أيضًا سورة القتال. وكأنها تقول لك بوضوح: "لم يعد الصبر يعني الخنوع، ولم يعد السكوت على الظلم فضيلة. الصبر كان مرحلة، والآن بدأت مرحلة جديدة تمامًا: مرحلة حماية الحق بالقوة المسلحة، مرحلة المواجهة والدفاع". هذا هو سر تسميتها بالقتال: إنها إعلان بدء طور جديد، له توقيته، وله سلاحه الخاص، الذي لا ينفصل عن سلاح المرحلة السابقة بل يبنى عليه. فالنفس التي روضت بالصبر هي التي ستقوى على القتال.

وفي هذا السياق الحاسم تأتي افتتاحية السورة بهجوم أدبي رهيب، لتضع الأمور في نصابها، وتحدد معسكرَي الصراع، وتبين مصير كل فريق. إنها تؤسس للحرب النفسية والواقعية معًا، كما سنرى.

تفسير الآيتين (١-٢) من سورة محمد

المعنى العام للآيتين:

الآية الأولى تفتتح بهجوم عنيف على قوى الباطل المعرقلة للحق، معلنة أن كل جهد يبذله الكفار و الصادون عن دين الله هو جهد ضائع وخائب لا محالة (إضلال الأعمال). وفي مقابل ذلك، تقدم الآية الثانية نموذج المؤمنين الذي تجتمع فيهم أركان النجاة الكاملة: الإيمان القلبي، والعمل السلوكي، والإ يمان الخاص بالقرآن المنزل على محمد ﷺ، ويكون جزاؤهم محو الذنوب وإصلاح الشأن كله في الدنيا والآخرة.

مقاصد وأهداف الآيتين:

1. إعلان بطلان نموذج الكفار مطلقًا، وبيان أن الجمع بين الكفر والصد هو قمة الفساد الموجب للخسران.
2. تقديم نموذج المؤمنين كبديل أوحد للنجاة في الدنيا والآخرة، وتأكيد أن الإيمان الصحيح لا يتجزأ.
3. تثبيت المؤمنين نفسيًا قبل خوض غمار القتال، عبر طمأنتهم بأن جهود أعدائهم تذهب سدى، وبأنهم هم على الحق المبين.
4. وضع الأساس العقدي لمعركة القتال، فليست المواجهة انتقامًا شخصيًا، بل دفاع عن "سبيل الله" الذي وقف هؤلاء الصادون في وجهه.

تحليل الآية الأولى: الهجوم الأدبي على أعداء الحق

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

لقد بدأت الآية بمبتدأ هو: الذين كفروا، وخبره الجملة الفعلية أضل أعمالهم. هذا التركيب يضعك مباشرة في قلب الحدث، ويجعلك تترقب مصير هؤلاء. إنها طريقة قرآنية بديعة في شد الانتباه، فكأنها تقول: "أتعلم ما حل بالذين كفروا وصدوا؟ لقد أضل الله أعمالهم". وهذا درس بليغ لكل داعية: أن تُتقن فن الإلقاء، وأن تبدأ حديثك بما يشوق السامع ويجعله مشدوهًا لما ستقوله.

المحور الأول: (الَّذِينَ كَفَرُوا) - حقيقة الجحود وفساد القصد

1. الكفر لغةً واصطلاحًا:
· لغةً: الكفر يعنى الستر والتغطية .ولهذا سُمي الزارع "كافرًا" لأنه يغطي البذرة بالتراب ليخفيها . وهذا يصور لك حال الكافر تصويرًا دقيقًا: إنه يستر فطرته السليمة ودفين عقله بظلام الهوى والعناد، فيغطي نور الحق الذي كان يمكن أن يراه.
· اصطلاحًا: هو جحود الحق ورفضه، سواء كان إلحادًا) إنكار وجود الله(، أو شركًا) عبادة الأصنام والأوثان(، أو رفضًا للامتثال لمنهج الله مع الإقرار بوجوده في القلب) وهو كفر إبليس .(كل هذه الصور يدل عليها المصطلح هنا.

.2الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:
· أولوية القصد: تتجه الآية مباشرة لتضرب جذور التصور المادي للأخلاق .إنها تؤكد لك أن العمل في الإسلام ليس مجرد "مادة صالحة"، بل هو "روح وقصد" .فذلك الكافر الذي يبر والديه، أو يغيث الملهوف، أو يصل رحمه، إنما يفعل ذلك لدافع دنيوي زائل؛ ليُقال عنه كريم، أو ليرتاح ضميره، أو ليساير مجتمعه .فبفقده الصلة بالله) المصدر الحقيقي لكل قيمة(، فقد عمله قيمته الأخروية تمامًا.
· الإخلاص هو المعيار: وهنا تكمن التربية العظيمة لك كمسلم .الآية تأمرك ضمنًا بمراجعة نيتك باستمرار .فالفعل الجميل بلا إخلاص هو جسد بلا روح، وصلاح ظاهر مع خراب باطن .إنها تدعوك أن تسأل نفسك قبل كل عمل: لمن هذا العمل؟
.3لماذا بدأ بالكفار قبل المؤمنين؟ وما دلالة الترتيب في سياق المواجهة بين الحق والباطل؟
· دلالة السياق: هذا سؤال في غاية الأهمية .لقد بدأت السورة بذكر الكفار لأنها سورة "مواجهة وقتال" كما اتفقنا .والمواجهة الحقيقية الناجحة تقتضي أن تحدد عدوك أولا ً، وأن تعرف مواصفاته، وأن تدرك سبب استحقاقه للمواجهة والإبطال .هذا التقديم يجعل في قلب المؤمنين دافعًا للثبات، لأ نهم رأوا بأم أعينهم شناعة ما يقابله العدو، فتقوى عزيمتهم على قتاله.
.4ما دلالة أسلوب الحذف والإيجاز في جملة "الذين كفروا"؟
· هي جملة مستأنفة تعرب مبتدأ، وخبرها جملة "أضل أعمالهم" .وفي هذا الأسلوب حذف يُثير الذهن ويجذب الانتباه، لأن السامع يسمع المبتدأ فيتساءل: ماذا حدث لهم؟ ما شأنهم؟ فيأتي الخبر ليرسخ في ذهنه رسوخًا لا يتزعزع.
· دور هذا الأسلوب: هذا يُعلمك، أيها الداعية، أهمية مراعاة مواصفات الخطاب المناسب عند مخاطبة الآخرين .فالأسلوب القادر على شد الانتباه هو الذي يجعل رسالتك تصل وتؤتي ثمارها .ليس المهم أن تقول فقط، بل كيف تقول.

المحور الثاني: (وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ) - الكفر المتعدي

.1الصد لغةً واصطلاحاً:
· لغة: الصد يعني المنع والعدول .تقول: صدّ عنه، أي أعرض عنه، أو منع غيره من الوصول إليه.
· اصطلاحًا) عن سبيل الله(: يعني منع الناس من سلوك طريق الإسلام، سواء بالقوة والبطش، أو با لإغراء والمال، أو بتشويه معالمه، أو ببث الشبهات والأكاذيب حوله.
.2خطر الصد والدرس العملي:
· تحول الكفر من "ذاتي" إلى "متعدٍ": هنا تكمن الكارثة .الكفر وحده ضلال للنفس ومهلكة لصاحبها فحسب، أما الصد فهو"إفساد للغير" .بهذا الفعل الشنيع، يتحول الكافر من مجرد إنسان ضال إلى "حيوان فاتك" خبيث؛ إنه لا يكتفي بهلاك نفسه، بل يُصر على أن يضع الألغام في طريق كل سائر إلى الله، ليعيق حركته، ويُعَطِّل مسيرته.
.3كيف يكون الصد عن سبيل الله في زماننا الحالي؟ وهل يندرج تحت هذا الوعيد من يصد الناس بأسلوبه أو فكره أو إعلامه؟
· الصد الحديث: لا تظنن أن الصد قد توقف عند حد السيف قديمًا .كلا! الصد في زماننا أشد فتكًا وتنوعًا .إنه يتمثل في المنظومات الإعلامية التي تروج للإلحاد والفساد، وفي الأقلام المأجورة التي تثير الشبهات وتشوه صورة الملتزمين، وفي التثبيط المنظم عن كل عمل تطوعي أو خيري بحجة أنه "لا فائدة" .والأخطر من ذلك كله، ذلك الشخص الذي يقدم "نموذجًا منفرًا" عن الإسلام بجهله، أو تعصبه، أو سوء خلقه، فيصد الناس عن الدين وهو يحسب أنه يحسن صنعًا .كل هؤلاء يندرجون تحت هذا الوعيد العظيم.
.4الرسائل العقلية والنفسية والتربوية:
· الرسالة العقلية: الآية تنبهك إلى حقيقة مهمة، وهي أن معركتك الحقيقية ليست مع "الأشخاص" لذواتهم، بل مع "فعل الإعاقة" الذي يمارسونه ضد الحق .ولأنهم سعوا لإضلال الناس، كان الجزاء من جنس العمل، وهو أن يُضِل الله ُ أعمالهم هم أيضًا.

المحور الثالث: (أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) – البطلان الكامل للجهد

.1ماذا يعني ضلال الأعمال؟ وهل يمكن أن يكون للكافر أعمال خير في الدنيا؟ وهل معنى ذلك أن ضلال أعمالهم تبطل في الدنيا أم في الآخرة أم في كلاهما؟
· ضلال الأعمال يعني أن الله يبطل أعمالهم تمامًا، ويسلبها كل قيمة، ويجعلها تائهة لا يجدون لها أثرًا يوم القيامة .وذلك حتى لو بدت هذه الأعمال في ظاهرها أعمال خير كإطعام الطعام، وصلة الرحم، وطاعة الوالدين، ما لم تكن خالصة لوجه الله.
· الرسالة: لا تنبهر بكثرة أعمال الكفار أو أهل الباطل إذا كانت بعيدة عن منهج الله، فالله تعالى يقول في موضع آخر إنها تصبح ·{هَبَاءً مَنثُورًا}·.
· هل يتجاوز الإضلال الآخرة إلى الدنيا؟ نعم، قد يتجاوز الأمر بطلان الثواب في الآخرة إلى

حسرة وندامة في الدنيا أيضًا .إنها خسارة الجهد والشقاء والتعب .تخيل معي إنسانًا أفنى عمره يجمع المال ليُكرم به، فإذا ببيته يحترق .هذا هو شعور الكافر يوم القيامة عندما يفاجأ بأن كل جهوده ضالة بلا قيمة.
.2لماذا قرن الله بين الكفر والصد عن سبيل الله في هذه الآية؟ وما خطورة الجمع بينهما في إحباط العمل؟
· الكفر هو إفساد في الأرض، ولكن الضرر الأكبر يقع على الإنسان نفسه.
· أما الصد فهو قرار خطير من الكافر بأن يقف في طريق الحق مانعًا له .هذا يعني أن هؤلاء الكفار قرروا أن ينقلوا الظلمة التي في قلوبهم إلى قلوب الآخرين، والخرافة التي في رؤوسهم إلى رؤوس الآخرين .لقد أرادوا أن يكون "الحجاج" الآخرين، فلم يكتفوا بضلالتهم، بل قرروا أن يضعوا الألغام في طريق أهل الحق، تعيق الحركة وتعطل مسيرة الدعوة .بمعنى أن الصد هو أن تضع يدك في فم من يقول الحق حتى لا يقول الحق، أو أن تعترض بسلطانك سائرًا على الطريق المستقيم حتى تلوي عنقه وتجعله ينتكس بأي أسلوب.
· هذا هو الكفر المزدوج، أو الضلال المضاعف .إنه تحول الكفر من حيوان عادي إلى حيوان فاتك . هذا الكفر المزدوج المقرون بالصد عن سبيل الله هو ما شكا منه المؤمنون قديمًا وحديثًا، وهو معلن في القرآن.
· الجمع بينهما يشكل خطرًا عظيمًا، نظرًا لأن هؤلاء الكافرين لم يكتفوا بكفرهم، بل منعوا غيرهم من الهدى .ولهذا كان الجزاء مضاعفًا: إضلال أعمالهم، أي إبطالها وتضييعها.
· الرسائل والتوجيهات: الجزاء من جنس العمل، فمن سعى ليُضل الناس عن الحق، أضل الله سعيه وأتعبه .وتأكد أن الباطل لا ينفع مهما كان حجم العمل الظاهري للكافر كبيرًا، فما هو إلا هباء لأنه فاقد للإيمان .هذه دعوة صريحة لك لأن تحاسب نفسك: هل أنا سبب في صد أحد عن سبيل الله بقول أو فعل؟

تحليل الآية الثانية: نموذج الناجين

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾

بعد المشهد القاتم المعتم لأهل الكفر والصد، تأتي هذه الآية لتشرق بنور الرجاء، وتقدم لك النموذج الذي يجب أن تكون فيه، نموذج الناجين.

المحور الأول: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) – مطابقة الإيمان بالعمل والسلوك

· ما دلالة الربط بين الإيمان والعمل الصالح؟ ولماذا قرن بينهما في هذا المقام؟
· دلالة المقابلة: لقد ذكرت الآية الأولى الذين كفروا وصدوا، وهنا تذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات .هذا تضاد وتقابل تام يبين لك الفرق الجوهري بين الفريقين في العقيدة والعمل معًا .ففالفريق الأول عقيدته فاسدة) الكفر (وعمله إفساد) الصد(، والفريق الثاني عقيدته صحيحة) الإيمان (وعمله إصلاح وبناء) العمل الصالح.(
· الرسائل: الإيمان الحقيقي ليس مجرد كلمة تقال باللسان، بل هو طاقة جبارة تُفجر في النفس الرغبة في العمل .وكأن السورة تؤسس لجهاد المؤمنين، فإيمانهم هو الذي سيدفعهم للقتال والعمل، لا للقعود والركون.

المحور الثاني: (وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) – خصوصية الرسالة

· ما دلالة التخصيص بعد التعميم؟ لماذا ذكر الله "وآمنوا بما نزل على محمد" بعد قوله "والذين آمنوا وعملوا الصالحات"؟ وما هي الدلالة على وجوب الإيمان المخلص بالقرآن والرسول؟
· لبيان أن أركان النجاة ثلاثة: الإيمان الأول هو الإيمان بالله، والثاني هو العمل الصالح، والثالث هو الإيمان بالرسالة المحمدية .وهذه الأركان هي الثمرة اليانعة.
· لبيان أن الإيمان لا يتجزأ: فلا يمكن لأحد أن يدعي الإيمان بالله واليوم الآخر، ثم يرفض أو يشك في ما جاء به محمد ﷺ .الإيمان الحقيقي هو الذي يكون بالإيمان بجميع الرسل والرسالات، وبخاتمتها وهي رسالة النبي محمد ﷺ.
· كذلك لبيان التأكيد بأن إيمان أهل الديانات السابقة لا يكتمل، ولا يتحقق لهم النجاة، إلا بالإيمان برسالة النبي محمد ﷺ إيمانًا صادقًا متيقنًا، بأن هذا القرآن هو الحق الذي لا لبس فيه ولا غموض و لا خلط، وأنه منزل من عند الله.

· قوله "الحق من ربهم" يعني أنه منزل من عند الله الذي يملك تربيتك ورعايتك وحمايتك .فهو حق من "ربهم" بهذا المعنى الحميم.
· ما هو الفرق بين "آمنوا" الأولى و "آمنوا بما نزل على محمد"؟ ولماذا كرر الإيمان هنا؟ وما خصوصية الإيمان بالقرآن؟
· الإيمان الأول عام، يشمل الإيمان بالله واليوم الآخر .أما الإيمان الثاني فهو خاص ومفصل، وهو شرط صحة الإيمان العام .وبتكرار الفعل "آمنوا" يتأكد المعنى ويترسخ، ويدل على أن للإيمان بالقرآن خصوصية ومكانة، فهو الميزان والمهيمن على ما سبقه.
· كيف وصفت الآية القرآن بأنه "الحق من ربهم"؟ وما أثر هذا الوصف على استجابة المؤمن لأوامر الله؟
· بوصف القرآن بأنه "الحق" المطلق من ربهم، فإن هذا يزرع في قلب المؤمن يقينًا راسخًا بأن كل ما في هذا الكتاب هو الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .وأثر ذلك على سلوكك اليومي عظيم، فأنت حين تؤمن بهذا، ستستجيب لأوامره ونواهيه بكل طمأنينة، وسترضى بحكمه في كل كبيرة وصغيرة، لأنها أوامر من ربك الذي يريد لك الخير والرعاية.
· الرسائل النفسية والعقلية والتربوية: هذه الآية تؤصل فيك معنى الاتباع المطلق والثقة الكاملة بوحي ربك، وتجعلك تهيمن بالقرآن على كل فكرة، وتزن به كل سلوك.

المحور الثالث: (كفّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) – الستر والمحو الإلهي

.1ما معنى "كفر عنهم سيئاتهم"؟ وهل يشمل ذلك الصغائر والكبائر؟
· معنى "كفّر" أي غطاها وسترها ومحاها بالكلية، بحيث لا يبقى لها أثر .واستخدام كلمة "كفّر" بدل "غفر" أبلغ، لأن الكفر هو أعمق درجات الستر والتغطية .وهذا يشمل الصغائر والكبائر ما دام العبد مؤمنًا وتائبًا، فالإيمان والعمل الصالح يجُبّان ما قبلهما ويمحوان الذنوب.
.2علاقة الاتباع بالقبول: كيف تربط الآية بين الإيمان والعمل الصالح وبين النتيجة النهائية) تغطية السيئات وإصلاح الحال(؟
· الربط واضح: إن إيمانك وعملك الصالح هو سبب تحقق هذا الجزاء .فكما سترت الحق باتباعه، ستر الله عليك زلاتك .وكما سعيت في صلاح نفسك، سعى الله في إصلاح بالك .إنها مقابلة عادلة ورحيمة.
.3كيف تبرز المقارنة بين "أضل أعمالهم" للكفار و "كفر عنهم سيئاتهم" للمؤمنين رحمة الله وعدله؟
· المقارنة تبرز عدل الله ورحمته في أبهى صورة .الكفار الذين سعوا في إضلال الناس) أعمال خير في الظاهر (أضل الله أعمالهم، فلم تنفعهم .أما المؤمنون الذين سعوا في الخير، فتقبل الله أعمالهم وستر سيئاتهم التي كانت ستوبقهم .إنه الفرق بين الخسران المبين والفوز العظيم.

المحور الرابع: (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) – السكينة والطمأنينة الشاملة

.1ماذا تعني كلمة "بالهم"؟ وما هي المعاني التربوية في قوله "أصلح بالهم"؟ وكيف يكون الله سبحانه وتعالى مصلحًا لقلوبهم وأعمالهم ودينهم ودنياهم؟
· "البال" في اللغة: هو الحال، والشأن، والعقل، والقلب، والنفس، والخاطر .إنه كلمة جامعة تصف ح الة الإنسان الداخلية والخارجية.
· إصلاح البال يعني أن يتولى الله – سبحانه – أمرك، فينير عقلك، ويشرح صدرك، ويسكن قلبك، ويسدد رأيك، ويصلح دينك ودنياك، ويفرج همك، وييسر أمرك .إنها السكينة الشاملة التي تتنزل على المؤمن الصادق.
.2ما دلالة تنكير كلمة "بالهم" وإضافتها لضمير المؤمنين على الشمول؟
· تنكير كلمة "بال" يُفيد التعظيم والشمول .أي أنه أصلح لهم بالا ً عظيمًا، وشأنًا رفيعًا .وإضافتها لهم "بالهم" مع تنكيرها، يدل على أنه أصلح لكل واحد منهم باله الخاص به، وفق أحواله وظروفه .ف الجميع مشمول بهذا الإصلاح، كل بحسب ما يحتاجه.
.3ماذا يعني الإصلاح الشامل؟ وكيف يمتد هذا الإصلاح ليشمل القلب والدين والدنيا والآخرة؟
· الإصلاح الشامل يعني أنك إذا آمنت بالله حقًا وعملت صالحًا، فإن الله لن يتركك هملا ً . سيهدي قلبك للطمأنينة، وعقلك للصواب، وجوارحك للخير، ويبارك لك في أهلك ومالك ووقتك، ويكف عنك السوء .هذا الإصلاح يبدأ في الدنيا بسكينة القلب، ويمتد إلى الآخرة بدخول الجنة.
.4البال المستقر: هل تجد في نفسك أثرًا لإصلاح البال من خلال اتباعك القرآن والسنة؟ وكيف يظهر صلاح البال في دين المؤمن وقلبه وأعماله وأحواله؟
· بالتأكيد! فكلما تعمقت في اتباع القرآن والسنة، شعرت بسكينة غامرة، وثقة في تدبير الله، وقدرة على مواجهة التحديات .يظهر صلاح البال في رضاك عن الله، وفي هدوء نفسك عند البلاء، وفي توازنك في السراء والضراء .يصبح حالك مستقرًا غير مضطرب، لأنك أسندت أمرك إلى من بيده الأمر كله.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم

بعد أن غصنا في تفاصيل التحليل، دعنا ننتقل إلى كيفية تحويل هذه القراءة إلى برنامج حياة، كما طلبت تمامًا.

الأمر الأول: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية وتحولها إلى واقع ملموس في الحياة؟

القراءة الواعية ليست مجرد هذرمة باللسان، بل هي تفاعل حي بالجنان والجوارح. هي أن تقف أمام ا لآية وتسأل نفسك: كيف أعيش هذا المعنى اليوم؟

· القراءة الواعية لدلالة الصد:
· محاسبة النفس: تجعلك تسأل نفسك كل يوم: هل أنا ممن يصد عن سبيل الله في أقوالي أو أفعالي عن قصد أو دون قصد؟ إنها دعوة لمراجعة دقيقة لكل كلمة تخرج من فمك.
· التطبيق العملي الفوري: ارجع إلى منشوراتك على وسائل التواصل، إلى أحاديثك في العمل، إلى نقاشاتك مع أهلك وأصدقائك .واسأل نفسك بصدق: هل هذه الكلمات تقرب الناس إلى الله، أم أنها تشوه صورة التدين، وتنفرهم، وتكون حجر عثرة في طريقهم؟ الكلمة الواحدة قد تكون سببًا في هداية إنسان أو ضلاله.
· مراجعة النية:
· يجب أن أرجع نيتي باستمرار .أن أقصد بأعمال الخير وجه الله، حتى لا تضيع أعمالي .فقبل كل عمل، علي أن أسأل قلبي: لمن هذا؟ هل لله وحده، أم لمصلحة خاصة أو سمعة؟
· القراءة الواعية هي التي تجعلني أراقب نيتي قبل كل عمل خيري أو مهني أو اجتماعي ليكون خالصًا لله.
· هي أن أقدم طاعة الله على المصلحة الخاصة، فإذا تعارض أمران، اخترت ما يرضي ربي.
· القراءة الواعية لدلالة اقتران الإيمان بالعمل الصالح:
· من حب الخير إلى فعل الخير: تعني أن تحول من مرحلة حب الخير إلى مرحلة فعل الخير يوميًا .هذا هو التطبيق العملي لربط الإيمان بالعمل الصالح .فلا يكن إيمانك نظريًا، بل ليكن عمليًا يُرى في سلوكك وأخلاقك.
· الربط بين العقيدة والسلوك الاجتماعي: أن تفهم أن إيمانك بالله يقتضي منك أن تكون أمينًا، صادقًا، رحيمًا، متعاونًا .هذا هو جوهر الدين.
· القراءة الواعية لقوله تعالى: "وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِن رَبِّهِمْ":
· ظهور الأثر: تعني أن يظهر أثر إيماني بما أنزل على النبي ﷺ في صلاح قلبي، وفي تيسير أمور حياتي، وفي استجابة سريعة لأوامر الله ورسوله.
· الربط بين الاتباع والطمأنينة: أن يربط الإنسان بين الاتباع وبين طمأنينة القلب .فهناك مسافة ما بين القلب والعمل، وما بين القلب وربه .وصول هذا العمل إلى الله يحتاج أن تقطع هذه المسافة، وهي لا تقطع بالإقدام فقط، بل بالقلب المخلص .فإذا كانت الأعمال خالصة لله، وبإيمان صادق، فلابد أن ينتج عنها طمأنينة القلب .ومن هنا يوجد الربط العضوي بين الاتباع الصادق وبين سكينة القلب.
· القراءة الواعية للآية تعني أن يوجد الإنسان المؤمن ميزانًا يزن به بين الخوف والرجاء:
· الخوف من إضلال العمل كما في الآية الأولى.
· ورجاء تكفير السيئات وإصلاح البال كما في الآية الثانية.
· تحويل القراءات إلى وقفات تأملية:
· القراءة الواعية تعني تحويل القراءة إلى وقفات تأملية تعزز الإيمان، وتدفع للعمل الصالح وفقًا لمنهج الله.
· البحث عن الراحة النفسية) إصلاح البال (في الاتباع:
· أن أبحث عن الراحة النفسية وسكينة القلب في اتباع سنة الرسول ﷺ، لا في الماديات واتباع الأ هواء .فوالله، ما وجد من بحث عن السعادة في غير هذا الطريق إلا ضل وأتعب نفسه.

الأمر الثاني: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1الإيمان العملي) اقتران الإيمان بالعمل الصالح(: في حياتنا العملية، لا يكفي أن نكون مسلمين بـ الهوية، بل يجب أن نتميز بالأخلاق العالية، والأمانة، والإتقان في العمل، وتقديم النفع للناس.
.2أهمية اتباع الحق في الاستقرار النفسي والاجتماعي: الآية تدعونا إلى تحري الحق والصدق في

التعاملات التجارية والوظيفية والعلاقات .فإذا ساد الحق، عم الأمان، وحل الاستقرار، وكان ذلك سببًا في "إصلاح البال".
.3الاستثمار في إصلاح الحال والقلب: "أصلح بالهم" هو وعد رباني .يعني أنه حينما تسعى في طاعة الله وتتبع منهجه، فإنه يتولى هو إصلاح أحوالك النفسية وراحة قلبك، وقد يتولى أيضًا إصلاح أحوالك الخارجية من رزق وعلاقات .القيمة العملية هنا هي التركيز على إصلاح نفسك كأولوية، وسيتكفل الله بباقي الظروف.
.4قيمة التوبة والاستغفار المستمر: الحياة مليئة بالأخطاء، وتصحيح المسار بالتوبة بعد كل ذنب أو خطأ في العمل يمحو الآثار السيئة، ويجدد النشاط، ويمنح الإنسان فرصة جديدة للنجاح.
.5التحذير من الصد عن سبيل الله) الإفساد والتعطيل(: في حياتنا العملية، يجب أن نتجنب كل ما يعطل الخير، سواء كان صدًا عن طاعة، أو عرقلة لمشاريع خيرية، أو نشرًا للفساد، أو تثبيطًا للهمم . كل عمل يضيع الوقت أو يفسد الأخلاق هو نوع من إضلال الأعمال.
.6قيمة الوعي بتأثير أعمالنا: البشر ينقسمون إلى فريقين بناءً على أعمالهم .المؤمن يخترق بالعمل الصالح الذي يبني ولا يهدم، بينما الباطل يزول ولا بقاء لأصحابه: "أضل أعمالهم" .هذا يجعلك واعيًا بأن كل تصرف صغير أو كبير له تأثير.

الأمر الثالث: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· الآية تعلمنا أن الحياة ميدان صراع بين الحق والباطل، وأن الفوز في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بإيمان راسخ، وعمل صالح، وعملي يصلح بالنا وأحوالنا.
· تدعونا لتربية النفس وتصفية الصف المؤمن، والاعتماد على الإيمان والعمل الصالح كمنهج حياة لتحقيق النجاح وتجنب الضلال في الدنيا والآخرة.
· تدعونا إلى بناء شخصية مؤمنة، عاملة، واثقة، مطمئنة، تجعل من اتباع الحق) القرآن والسنة (منهجَ حياة.
· تدعونا إلى الثبات في وجه التحديات، فتحث المؤمنين على التمسك بالعقيدة الصحيحة، وعدم الا نهزام النفسي أمام حملات الباطل، مع اليقين بأن العاقبة للحق.
· توجهنا إلى ضرورة إخلاص النية واتباع الحق والعمل الصالح لضمان صلاح الحال في الدنيا والآخرة ، وتحذرنا من محبة الأغراض أو الصد عن دين الله الذي يؤدي إلى بطلان الأعمال.
· تدعو إلى تربية النفس والأبناء على أن العبادة ليست مجرد طقوس، بل هي سلوك وأخلاق وأمانة وعمل وإتقان.
· تدعو إلى التأكد دائمًا من أن أعمالنا وتبرعاتنا وخدماتنا للناس هي لوجه الله وليس للسمعة أو الرياء.
· تدعونا إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة في تفاصيل حياتنا، كما نرجع إليهما في أصول ديننا، وتجنب البدع والأفكار المنحرفة.
· تدعونا إلى التمسك بالإيمان، فإنه يورث السكينة والراحة النفسية والبركة والرزق وتيسير الأمور.
· تدعونا إلى عدم اليأس من رحمة الله عند الخطأ، والتعافي السريع بالعمل الصالح، واتباع السيئة الحسنة تمحها.
· ختامًا، هي دعوة لتعزيز الولاء لله والرسول، والتحريض على العمل الصالح وإصلاح القلب، واليقين بأن النصر والإصلاح في الدين والدنيا مرتبطان باتباع منهج النبي ﷺ.

الأمر الرابع: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

.1درس الإخلاص هو شرط قبول الأعمال:
· الدرس: أعمال الكفار المادية، كفعل الخير ومساعدة الآخرين، قد تضيع هباءً بسبب غياب النية الصالحة.
· التطبيق العملي: لا يكفي أن تفعل الخير، بل يجب أن يكون الدافع هو وجه الله .تجنب الرياء، والقيام بالأعمال الصالحة لمجرد السمعة الاجتماعية، فالله يجازي على النوايا.
.2درس خطر الصد عن سبيل الله:
· الدرس: إن الله يبطل أعمال من يصدون عن دينه.
· التطبيق العملي: كن حذرًا من أن تكون سببًا في صد أي شخص عن دين الله، سواء بكلمة جارحة، أو سخرية، أو تصرفات منفرة .وهذا يشمل عدم نشر الفتن والتشجيع على ترك الصلاة ونشر الشبهات.

.3درس الإيمان الفعلي بالقرآن والرسول:
· الدرس: الإيمان ليس مجرد شعارات، بل يجب أن يقترن بالتصديق بما نزل على محمد والعمل به.
· التطبيق العملي: قراءة القرآن الكريم بتدبر، وتطبيق السنة النبوية في حياتنا اليومية وفي المعام لات، والإيمان بأن هذا المنهج هو الحق الذي يصلح دنيانا وآخرتنا.
.4درس العمل الصالح يغفر السيئات:
· الدرس: "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...كفّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ".
· التطبيق العملي: إذا أذنبت فلا تيأس .بادر فورًا بعمل صالح؛ صدقة، صلاة، صلة رحم .فالعمل الصالح يذهب السيئات ويمحو أثرها.
.5درس إصلاح البال:
· الدرس: لقد وعد الله المؤمنين الصادقين بأن يصلح بالهم.
· التطبيق العملي: إصلاح البال يعني هدوء القلب، وطمأنينة النفس، وصلاح الأحوال، وتيسير الأ مور .إذا أردت الهدوء النفسي وحل مشاكلك، فابدأ بإصلاح علاقتك مع الله بالإيمان والعمل الصالح.
.6درس الإيمان يصحّح المسار والكفر يبطله:
· الدرس: النجاح الحقيقي والقبول عند الله لا يعتمد فقط على كمية العمل، بل على أساس العمل)الإيمان .(فالمشاريع والأعمال بالنوايا الخبيثة لا يبارك الله فيها.
· التطبيق العملي: قبل البدء بأي عمل أو مشروع، تأكد من شرعيته وموافقته لمنهج الله، واجعل نيتك خالصة ليكون مقبولا ً عند الله.

خامسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هذه المفاهيم المستقاة من الآيتين ليست مجرد دروس نظرية، بل هي وقود وطاقة هائلة يمكنها بناء الإنسان والمجتمع والحضارة:

· المفاهيم العملية: "الإيمان العملي" و"إخلاص النية" و"مراقبة السلوك" و"المسارعة في الخيرات" و "التوبة الفورية" تحول الفرد إلى عنصر فاعل وإيجابي ومنتج، يكسب ثقة الناس ويصلح مجتمعه.
· المفاهيم النفسية: "إصلاح البال" و"الثبات النفسي" و"اليقين بوعد الله" و"التعافي السريع من الذنوب" تبني إنسانًا قويًا مطمئنًا، لا تهزه الشدائد ولا تكسره الأزمات، فيصبح قادرًا على القيادة والعطاء.
· المفاهيم الفكرية: "التضاد بين الحق والباطل" و"عدم تجزئة الإيمان" و"خصوصية الرسالة المحمدية" تبني عقلية ناقدة وواعية، تميز بين النماذج، وتفرز الغث من السمين، وترفض الخلط والتلفيق، وتؤمن بقضيتها المركزية.
· المفاهيم التربوية: "القدوة في سلوك الداعية" و"فن الإلقاء وشد الانتباه" و"الربط بين العقيدة و السلوك" و"تربية الأبناء على العمل" تصنع أجيالا ً متربية على منهج علمي وعملي متكامل.

بتطبيق هذه المفاهيم، نصنع إنسانًا صالحًا، يبني أسرة متماسكة، تساهم في مجتمع متماسك، يصنع حضارة إنسانية راقية تقوم على الحق والعدل والسلام.

رسالة ختامية إليك

هيا بنا إذن، نجعل من هذه الآيات بوصلتنا. لنسأل أنفسنا كل صباح: أي النموذجين سنختار اليوم؟ أأن نكون ممن كفروا وصدوا، فأضل الله أعمالهم وأتعبهم في الدنيا وخسرهم في الآخرة؟ أم أن نكون ممن آمنوا وعملوا الصالحات، وآمنوا بالقرآن الحق من ربهم، فيكفر الله عنا سيئاتنا، ويتولى إصلاح با لنا؟

الخيار بيدك، والفرصة أمامك. اجعل من "إصلاح البال" هدفك المنشود، واعلم أن الطريق الوحيد إليه هو الإيمان والعمل الصالح واتباع محمد ﷺ فيما جاء به.
المبحث الثاني

التمهيد: موقع الآية من السياق العام (سياق التمكين والمواجهة)

لقد رسخت الآيتان الأولى والثانية في قلبك حقيقةً مركزية: أنك في ميدان مواجهة، كوثها سورة "القتال". عرفت منهما أن العالم ينقسم إلى معسكرين: معسكر الهالكين الذين كفروا وصدوا عن سبيل

الله فأضل الله أعمالهم، ومعسكر الناجين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح والإيمان المطلق بـ القرآن، فكان جزاؤهم تكفير السيئات وإصلاح البال.

والآن، وأنت تعيش هذا الاستقطاب الحاد، يبرز في ذهنك سؤال منطقي وعميق: لماذا؟ لماذا حدث هذا؟ لماذا ضلت أعمال أولئك، ولماذا صلح بال هؤلاء؟ أهو أمر تحكمي؟ أم أن هناك علة وسببًا؟

تأتي الآية الثالثة لتجيبك عن هذا السؤال الجوهري إجابة شافية، لتكشف لك عن الجذر الفكري و العقدي الذي أنتج هذين المصيرين المتباينين. إنها تنتقل بك من وصف المصير إلى تفسير المصدر. إنها بمثابة البيان الختامي الذي يعلل الحكم الصادر في الآيتين السابقتين.

تفسير الآية (3) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد أن بين الله مصير الفريقين في الآيتين السابقتين، يأتي هنا ليعلل ذلك المصير ويكشف عن سببه الأصيل. فإضلال أعمال الكفار لم يكن عشوائيًا، بل سببه أنهم اتبعوا الباطل، وتكفير سيئات المؤمنين وإصلاح بالهم لم يكن جزافًا، بل سببه أنهم اتبعوا الحق من ربهم. ثم تختم الآية ببيان سنة إلهية عظيمة: وهي أن الله يضرب الأمثال للناس، ويُظهر نماذج واقعية حية (أمثالهم) ليختبرهم وليبين لهم عواقب الاتباع، فيكون الناس عبرًا لبعضهم.

مقاصد وأهداف الآية:

.1تعليل المصيرين المتقابلين الواردين في الآيتين1) - (2ليتقرر في الذهن أن الجزاء مرتبط ارتباطًا سببيًا بالاتباع.
.2حصر الصراع الوجودي بين قطبين اثنين: قطب "الباطل" وقطب "الحق"، وبيان أن الإنسان محكوم باتباعه لأحدهما.
.3نفي الظن بأن النجاة تأتي بغير اتباع الحق، مهما بذل العبد من أعمال بر ظاهرية.
.4ترسيخ سنة إلهية في التعامل البشري، وهي ضرب الأمثال بنماذج واقعية، لتكون هذه النماذج معالم على طريق الهدى أو دروسًا في طريق الضلال.

التحليل التفصيلي للآية

لنبدأ رحلتنا في تحليل هذه الآية الكريمة، فقرة فقرة، متوقفين عند كل كلمة لتسكب في قلبك معناها.

الشطر الأول من الآية: تفسير مصير الكفار

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾

تأمل معي قوله: ذَٰلِكَ. اسم الإشارة هنا يشير إلى المصير المذكور في الآية الأولى، وهو إضلال الأ عمال. كأنه يقول لك: ذلك الإضلال وذلك الخسران، لم يكن ظلمًا منا، بل لأن هؤلاء الكفار اتبعوا الباطل. إنه مبدأ السببية الإلهي العادل.

ما هو الباطل؟ ولماذا وصفه الله بأنه باطل؟

الباطل هو نقيض الحق. هو كل ما لا يثبت عند الفحص والتمحيص. إنه الفكر الزائف، والعقيدة المنحرفة، والهدف الخادع، والمنهج الذي لا يصل بسالكه إلى غاية كريمة. الباطل له بريق قد يخدع،

وله صوت قد يعلو، لكنه كالسراب، يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

دلالة لفظ "اتبعوا" بدلا ً من "عملوا" أو "سلكوا":

هنا دقة قرآنية مذهلة! لم يقل "الذين كفروا عملوا الباطل"، بل قال اتبعوا. لأن "الاتباع" يتضمن معنى الانقياد والسير وراء الشيء خطوة بخطوة، والجري في ركابه، والتسليم له. إنه يدل على أنهم لم يقعوا في الباطل فحسب، بل جعلوه إمامًا وقائدًا لهم. وهذا يبين لك خطورة أن يتخلى الإنسان عن أتباع الحق، فهو حتمًا سيقع في أسر أتباع الباطل. القلب لا يعرف الفراغ، فإما إمام حق وإما إمام باطل.

المحور الأول: كيف قادهم اتباع الباطل إلى إضلال الأعمال؟

الرابط عضوي. الباطل بطبيعته متعدد المسالك، متشعب الأهواء، متناقض الأصول. فمن جعل الباطل إمامه وقائده، تشتتت جهوده، وتفرقت أعماله، وضل سعيه في متاهات الحياة. يبني ويظن أنه يحسن صنعًا، فإذا ببنائه ينهار عند أول ممات أو عند لقاء الله، لأنه أسس على شفا جرف هار. هذا هو إضلا ل الأعمال. إنهم أضاعوا أعمارهم يجرون وراء سراب، فلماذا يشتكون إن ضاعت أعمالهم؟ إن الجزاء من جنس العمل، وكما ضلوا هم، أضل الله سعيهم.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· عقليًا: الآية تؤسس لمنطق سببي صارم. النتائج لا تأتي عبثًا. فساد النتائج دليل على فساد المدخلا ت.
· تربويًا: تحذرك من الاغترار بالوسائل والكم، وتدعوك لفحص الغايات والكيف. إياك أن تكون تابعًا لا متبصرًا، تسير خلف قافلة الباطل، ثم تنتظر مصير أهل الحق!
· نفسيًا: تزرع فيك يقينًا بأن العدالة الإلهية مطلقة، وتشرح صدرك بأن هلاك الظالمين لم يكن تشفيًا، بل هو نتيجة حتمية لاختياراتهم.

الشطر الثاني من الآية: تفسير مصير المؤمنين

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾

بعد أن جلّى ظلام الباطل، يشرق نور الحق. هنا العلة الثانية: ذلك (أي تكفير السيئات وإصلاح البال) كان بسبب أن المؤمنين اتبعوا الحق.

ما هو الحق؟ وما سر وصفه بأنه "من ربهم"؟

الحق هو الثابت الذي لا يتغير، وهو مطابقة الاعتقاد والقول والعمل للواقع الذي أراده الله. والحق هنا هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ.
وتأمل يا رعاك الله وصفه بأنه مِن رَبِّهِمْ. هذه الكلمة كنز! فـ "الرب" هو المربي والراعي والحامي و المصلح. فالحق الذي اتبعوه صادر من عند من يحبهم ويربيهم ويريد لهم الخير لا من عند عدو لهم. هذا يزرع في قلب المؤمن الطمأنينة والثقة وهو يسير على هذا الطريق. أنا لا أسير خلف أوامر جافة ، بل خلف تعاليم "ربي" الذي هو أرحم بي من نفسي.

المحور الثاني: كيف قادهم اتباع الحق إلى إصلاح البال؟

الحق بطبيعته واحد، مستقيم، واضح المعالم. من سار عليه سار في طريق مأمون العواقب، موصول برضوان الله. فاتباع الحق يورثك التركيز ووحدة الهدف، فينجيك من تشتت الجهود. والأهم، أنه يصلك بالله، فتنزل السكينة على قلبك، ويبارك في عمرك وعملك، ويصلح شأنك كله. كيف لا يصلح با ل من يتبع الحق الذي جاءه من ربه؟ إن إصلاح البال ثمرة طبيعية لاتباع الحق، كما أن إضلال الأ عمال نتيجة حتمية لاتباع الباطل.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية:

· عقليًا: الطريق الوحيد الموصل إلى النجاة والسكينة هو طريق واحد لا ثاني له: اتباع الحق. ما عداه متاهة.
· تربويًا: تريد إصلاح البال؟ لا تبحث عنه في عيادات الطب النفسي فقط، بل ابحث عنه في أصل الداء. أصلح "اتباعك"، يصلح الله "بالك".
· نفسيًا: تملأ قلبك راحةً حين تعلم أنك لست مضطرًا لتجربة كل الطرق، بل عليك فقط أن تتبع الحق الذي أنزله الذي خلقك ويعلم ما يصلحك. إنها راحة الاستسلام للخبير.

خاتمة الآية: السنة الإلهية في ضرب الأمثال

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾

هنا تتوج الآية معانيها بقاعدة كلية وسنة إلهية ماضية.

معنى "يضرب الله للناس أمثالهم":

أي على هذا النحو الذي وصفنا لك، وبهذا البيان الواضح الجلي الذي كشف لك حقيقة الفريقين، يبين الله تعالى للناس أحوالهم وأوصافهم وأقدارهم ومصايرهم. فهو يجعل من الفريقين "مثلا ً" أي نموذجًا حيًا وآية بينة. فالمؤمنون المتبعون للحق أصبحوا مثلًا ونموذجًا للخير والفلاح، والكافرون المتبعون للباطل أصبحوا مثلًا ونموذجًا للشر والخسران.

دلالة "كذلك":

لفظة كذلك تشير إلى هذا النوع من البيان الفاصل، والحكم القاطع، وكشف العلة والمعلول. أي مثل هذا البيان الشافي، يضرب الله الأمثال. إنها دعوة لك لتتأمل في آيات الله في الأنفس والآفاق.

المحور الثالث: دور "ضرب الأمثال" في التربية والتوجيه

ضرب الأمثال هو أسلوب قرآني فريد في تقريب المعاني، وتحويل الأفكار المجردة إلى صور حية ملموسة. فبدلا ً من أن يقال لك: "الكفر عاقبته سيئة"، يُعرض عليك نموذج حي: "هؤلاء هم الكفار، انظر إلى حالهم، إلى ضياع أعمالهم". هذا الأسلوب:

· يثبت المعنى في القلب أكثر من الكلام النظري.
· يوقظ الضمير، فترى نفسك في إحدى الصورتين فتحاسب نفسك.
· يخلق عبرة، فتتعظ بأهل الباطل وتقتدي بأهل الحق.
· يعلمك أن تنظر إلى الواقع من حولك بعين المتعظ، فترى السنن الإلهية جارية على الأفراد والأمم.

ثانيًا: أهم الدروس والتوجيهات والرسائل والمفاهيم

الآن، وقد تجلت لنا معاني الآية، كيف نعيشها واقعًا؟ هذا هو جوهر "القراءة الواعية".

الأمر الأول: القراءة الواعية وتحويلها إلى واقع ملموس في الحياة

القراءة الواعية لـ ﴿اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ تجعلك تقف مع نفسك وقفة مراجعة جريئة:

· محاسبة النفس على الاتباع: أتفحص ما أفعله في يومي. ما الذي أتبعه فعلا ً لا قولا ً؟ هل ما أتابعه من توجهات فكرية، أو عادات اجتماعية، أو مناهج عمل، أو برامج إعلامية، هو من "الحق" أم من "الباطل"؟
· التطبيق العملي: انظر إلى أهدافك في الحياة. لأجل ماذا تعمل وتكد؟ أهو هدف حق وُعدت عليه بصلاح البال، أم هدف باطل ستضل فيه أعمالك؟ ضع كل مشاريعك على ميزان هذه الآية.

القراءة الواعية لـ ﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ تقودك إلى:

· تجديد النية وتصحيح البوصلة: أن أجعل كل حركاتي وسكناتي تابعة لهذا الحق. ليس فقط في العبادات، بل في البيع والشراء، في الدراسة والعمل، في العلاقات الأسرية. أن أسأل نفسي قبل أي فعل: هل هذا يرضي ربي؟ هل هو من الحق الذي أنزله؟
· التطبيق العملي: عندما تشعر بالحيرة، اسأل نفسك: ماذا يقول "الحق" في هذه المسألة؟ ابحث في الكتاب والسنة، واستشر أهل العلم، وستجد أن اتباعك للحق يمنحك طمأنينة فورية ويُذهب عنك حيرتك. هذا هو إصلاح البال الذي تلمسه مباشرة.

القراءة الواعية لـ ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾: تمنحك بصيرة نافذة:

· النظر إلى التاريخ والواقع كدروس: أن تنظر إلى من حولك وإلى الأمم السابقة على أنهم "أمثال". فـ لان الذي اتبع الحق وانظر كيف أصلح الله باله، وفلان الذي اتبع الباطل وانظر كيف ضاعت أعماله. اجعل من هذا التأمل مادة لإيمانك.
· أن تكون أنت "مثلا ً" صالحًا: والأهم من ذلك، اسأل نفسك: أي مثل ونموذج أقدمه أنا للناس؟ هل أنا مثلٌ يُحتذى في اتباع الحق، فيهدي الناس إليه بسلوكي قبل قولي؟ أم أني مشوه للصورة؟ تذكر أنك مراقَب، وأنت "مثل" يُضرب لغيرك، فاجعل نفسك مثل خير.

الأمر الثاني: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1قيمة وحدة البوصلة) اتباع الحق(: في حياتنا العملية، النجاح ليس في تعدد المهارات فقط، بل في وحدة الوجهة .اجعل "اتباع الحق" بوصلتك الوحيدة في كل قرار.
.2قيمة السببية) كل نتيجة لها سبب(: إن أردت صلاح البال، فاسبق إليه باتباع الحق .تريد تيسير الأ مور؟ التزم طريق الاستقامة .لا تفصل بين النتيجة وسببها.
.3قيمة الوعي بالمقدمات: كثير من الناس يريدون حسن الخاتمة، لكنهم يسيرون في درب الباطل .كن واعيًا أن الغايات العظيمة تتطلب مقدمات صحيحة، وأولها اتباع الحق.
.4قيمة أن تكون "مثالا ً": أدرك أن كل تصرفاتك تصنع منك "مثالا ً" للخير أو الشر، فكن حريصًا على صورتك أمام نفسك وأمام الناس.

الأمر الثالث: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا إلى حصر الخيارات: أن ندرك أنه لا يوجد طريق ثالث. إما اتباع الحق أو اتباع الباطل. وما يبدو أنه "منطقة رمادية" هو في حقيقته اتباع للهوى.
· تعلمنا الفرق بين أن تعمل خيرًا وأن تتبع الحق: قد يعمل الكافر خيرًا ظاهريًا، لكنه لا يتبع الحق الكلي. العمل الصالح الحق هو ما صدر عن اتباع كامل للحق الإلهي.
· تدعونا إلى قراءة الواقع والأحداث كـ"أمثال": أن نتعظ بمن حولنا. أن نرى انهيار الظالمين درسًا في أن الباطل لا يدوم، ونرى طمأنينة الصالحين درسًا في أن الحق هو المآل.

الأمر الرابع: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس الأصالة لا التقليد: لا تكن إمّعة. افحص ما تتبعه بعقلك وقلبك. أهو حق ثابت أم باطل زائف؟
· درس التكامل بين المصدر والوجهة: الحق من ربهم. مصدره إلهي، وهذا يمنحه القداسة والثقة. فاتباعك له ليس تقليدًا أعمى، بل ثقة في المصدر.
· درس المسؤولية الفردية: "كذلك يضرب الله للناس أمثالهم"، أنت مسؤول عن مثلك الذي ترسمه. الناس تنظر إليك، وسيرتك هي مثال عملي. فاجعل سيرتك مثالًا لاتباع الحق.

الأمر الخامس: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع

· مفهوم اتباع الحق يبني إنسانًا حائرًا ضائعًا في صحراء الأهواء.
· مفهوم "الحق من ربهم" يبني مجتمعًا مطمئنًا واثقًا بقوانينه وتشريعاته، لأنه يؤمن أنها من عند الخبير الرحيم.
· مفهوم "ضرب الأمثال" يبني أمة على وعي بالتاريخ وسنن الله في الأرض.

رسالة ختامية إليك

هيا بنا نجعل من هذه الآية ميزانًا نزن به كل صباح مسيرنا. اسأل نفسك: ما هو الحق الذي سأتبعه اليوم؟ وما هو الباطل الذي سأجتنبه؟ واعلم أنك في هذه الحياة تخوض معركة الوجود، والنصر فيها ليس بكثرة السلاح، بل بقوة الحق الذي تحمله، وصفاء الاتباع الذي تسير عليه.

فاختر أن تكون ممن اتبعوا الحق من ربهم، ليصلح الله بالك، وليجعلك مثالًا صالحًا يُقتدى به، فتكون بذلك قد انتصرت في المعركة الكبرى، معركة النفس والاتباع.

المبحث الثالث

التمهيد: موقع الآية من البناء المتكامل للسورة (سياق التمكين والمواجهة)

تخيل معي -يا رعاك الله- أننا في رحلة عظيمة. بدأناها في ظلال سورة الأحقاف، حيث كان الأمر الإلهي ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾. في تلك المرحلة، كان سلاحنا هو الصبر والثبات، وكنا نتحمل الأذى ولا نرد الإساءة. كان ذلك تكتيك المرحلة المكية، حيث لا دولة ولا جيش، بل بناءٌ للنفس والعقيدة.

ثم انتقل بنا الوحي إلى المدينة، حيث قامت الدولة، وتأسس المجتمع، وصار للمؤمنين كيان. وهنا، حان وقت التمكين والمواجهة، فجاءت سورة محمد التي تسمى أيضًا بـ سورة القتال. إنها إعلانٌ أن الصبر لم يكن خنوعًا ولا استسلامًا، بل كان تأسيسًا لمرحلة جديدة، مرحلة حماية الحق وصيانة بيضة الدين.

ولكي تكون المواجهة حقيقيةً وفاعلة، كان لا بد من وضوح الرؤية. لقد رسمت لنا الآيات الثلاث الأولى خارطة المعركة:

· في الآية الأولى، رأينا نموذج العدو: إنهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، أولئك الذين تحول كفرهم من داء ذاتي إلى وباء مُعدٍ .رأينا مصيرهم: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي أن كل جهدهم وسعيهم في الحياة ذهب هباءً منثورًا.
· في الآية الثانية، رأينا نموذجنا نحن المؤمنين: إنهم الذين جمعوا بين الإيمان بالله، والعمل الصالح، والإيمان الجازم بما نُزّل على محمد ﷺ .ورأينا جزاءهم: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، أي محو الذنوب وطمأنينة القلب وصلاح الدنيا.
· في الآية الثالثة، توقف بنا المولى -عز وجل- ليكشف لنا عن العلة الجذرية لهذين المصيرين: لماذا خسر أولئك وفاز هؤلاء؟ الجواب كان حاسمًا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ .إنها قضية "اتباع" .من اتبع الباطل ضلّ سعيه، ومن اتبع الحق صلح باله.

والآن، وقد تكشفت لنا أبعاد المعركة، وفهمنا طبيعة الخصم، وموقعه الفكري والعقدي، وعرفنا سرّ قوته وسرّ ضعفه، يأتي النداء العملي المباشر. يأتي الأمر الإلهي بالانتقال من التحليل والتوصيف إلى التنفيذ والمباشرة. إنها لحظة الحسم التي تتوج كل ما سبق. بمعنى آخر، بعد أن بين الله لك لماذا تقاتل هؤلاء، يبين لك الآن كيف تقاتلهم، وما هي قوانين هذا القتال.

لهذا، تأتي الآية الرابعة لتكون أول آية صريحة في السورة تبدأ بأمر القتال. إنها لحظة فارقة، وتشريع محكم، ونظام متكامل لإدارة الصراع، يفيض بالحكمة والرحمة والعدل.

تفسير الآية (4) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد أن بين الله -عز وجل- أن أعداء الحق هم الذين اتبعوا الباطل، يأتي هنا ليرسم للمؤمنين منهج التعامل العملي معهم في ساحة المعركة. يأمرهم عند لقائهم في القتال بأن يمضوا في المواجهة بكل قوة وحزم حتى ينهوا قدرتهم على القتال (إثخانهم)، وبعد أن يصبحوا أسرى تحت السيطرة الكاملة، يُخيّر أولياء الأمر بين المنّ عليهم بإطلاق سراحهم مجانًا، أو المفاداة بهم بمال أو أسرى. ويستمر هذا الحكم حتى تنتهي الحرب وتضع أوزارها. ثم يبين الله -سبحانه- حكمتين عظيمتين من وراء تشريع القتال: الأولى، أنه قادر على الانتصار من الكفار وحده دون قتالكم، لكنه شرّع القتال ليختبر المؤمنين والكافرين بعضهم ببعض، فيتميز الخبيث من الطيب. والثانية، تطمين المجاهدين بأن من يُقتل في سبيل الله منهم فإن الله لن يضيع عمله أبدًا، على عكس الكفار الذين أضل أعمالهم.

مقاصد وأهداف الآية:

1.إعطاء التوجيه العملي لإدارة المعركة، في مراحلها المختلفة، منذ بدايتها إلى ما بعد انتهائها.
2.بيان رحمة الإسلام وعدالته حتى في أوقات الحرب والضراعة، بإعطاء الخيار بين المنّ والفداء بعد السيطرة على الأسير.
3.تحديد الغاية النهائية من القتال، وهي ليس استئصال العدو، بل وضع الحرب لأوزارها وتحقيق السلام العادل.
4.تزكية نفوس المجاهدين وربطهم بالله، ببيان أن النصر بيد الله وحده، وأن القتال إنما هو ابتلاء واختبار من الله.
5.تثبيت المجاهدين وبث الطمأنينة في قلوبهم، بالتأكيد على أن الشهادة في سبيل الله ليست نهاية، بل هي بابٌ لعدم إضلال الأعمال، في مقابلة واضحة مع آية إضلال أعمال الكفار في أول السورة.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

القسم الأول: الأمر بالحزم في المعركة

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾

المحور الأول: دلالة الفاء في قوله "فإذا لقيتم"

هذه الفاء تسمى "الفاء الفصيحة" وهي تربط هذه الآية بما قبلها. كأنها تقول لك: إذا تقرر لديكم، أيها المؤمنون، أن خصمكم قد اختار الباطل واتبعه، وإذا عرفتم أن طريقكم هو اتباع الحق، فحينئذٍ، إذا لقيتموهم في ميدان القتال فاعملوا كذا وكذا. إنها توحي بأن القتال هو النتيجة الطبيعية والمباشرة لذلك التضاد العقدي الجذري. لا يمكن بعد هذا البيان أن تكون هناك مساومة أو مداهنة، بل الحسم.

المحور الثاني: معنى "لقيتُم" ودلالة المواجهة

لم يقل "إذا رأيتم" أو "إذا صادفتم"، بل قال: لقيتُم. اللقاء أبلغ، فهو يعني المواجهة والمقابلة وجهًا لوجه. إنه يصف لك مشهد الصِدام المباشر في أرض المعركة. عندما تلتقي الجموع بالجموع، والسيوف بالسيوف، حينها يبدأ التطبيق.

المحور الثالث: "فضرب الرقاب" – رمزية التعبير وحقيقته

هذا تعبير عن القتال بكل قوة وحزم، وليس بالضرورة الاقتصار على ضرب الرقاب حصرًا، بل هو كناية عن القتل في الحرب بأي وسيلة كانت. لكن اختيار هذه العبارة تحديدًا (ضرب الرقاب) يحمل دلالات نفسية وعملية قوية:

· الحسم وعدم التردد: إنها إشارة إلى أن تكون الضربة قاضية، لا تترك للعدو مجالا ً للمراوغة أو معاودة الكرّة بسرعة.
· الشجاعة والإقدام: إنها مواجهة لا ختلاس فيها ولا غدر، بل هي قوة تعلن عن نفسها في صدر الميدان.
· الرمزية الرادعة: إنها تبعث الرعب في قلب العدو قبل المعركة لما تحمله من معاني القوة والإمضاء.

المحور الرابع: "حتى إذا أثخنتموهم" – ضوابط القوة وغاية الحزم

وهنا يتجلى البعد الأخلاقي والقانوني العظيم في التشريع الإسلامي للحرب. كلمة أثخنتموهم مشتقة من "الثُخْن"، وهو الغلظ والكثرة والقوة. والمعنى: استمروا في القتال بكل حزم حتى يُصبح العدو في حالة من:

· الضعف والعجز التام عن مواصلة القتال.
· الكثرة في القتلى والجرحى بحيث تنكسر شوكته وتخور قواه.
· الوهن الذي يمنعهم من إعادة تنظيم صفوفهم.

إذن، القوة ليست عشوائية، وليست للانتقام، بل لها هدف استراتيجي واضح: إنهاء قدرة العدو على القتال، أو ما يُعرف في الاستراتيجيات الحديثة بـ إنها غاية عسكرية بحتة، لا غاية دموية. وهذا قيد عظيم يمنع التمثيل بالجثث أو الإجهاز على الجرحى العاجزين عن القتال، لأن الهدف قد تحقق.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية من هذا القسم الأول:

· تربويًا: تعلمنا هذه الآية أن القوة ضرورة لمواجهة الباطل، وأن الضعف ليس فضيلة .وأن الحزم في موضعه يحقق السلام ويمنع إطالة أمد الصراع.
· نفسيًا: تزرع في قلب المؤمن المجاهد التوازن بين الشجاعة في مواجهة العدو، والرحمة بغير المحاربين، وبين القوة في المعركة والانضباط بعدها.
· عمليًا: ترسم للقائد العسكري سياسة واضحة: ركز على هدف إنهاء قدرة العدو، لا على مجرد إراقة الدماء.

القسم الثاني: تشريع ما بعد المعركة (الأسرى)

﴿فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾

المحور الأول: "فشدوا الوثاق"

بعد أن تحقق الإثخان، وانهارت قوة العدو، يأتي الأمر بأسر من تبقى منهم أحياءً. "الوثاق" هو ما يُشدّ به الأسير من حبل أو قيد. وهذا يدل على الانتقال إلى مرحلة جديدة، مرحلة ما بعد القتال المباشر. والأمر بشد الوثاق يحمل في طياته:

· تأمين الأسرى ومنعهم من الهرب وإعادة تنظيم صفوفهم.
· حفظ حياتهم، فبمجرد أسرهم يصبحون تحت حماية الدولة الإسلامية ولا يجوز قتلهم إلا لسبب شرعي خاص في أحوال نادرة.

المحور الثاني: "فإما منًّا بعد وإما فداءً" – قمة الرحمة والعدل

هنا يصل بنا المشرّع الحكيم إلى ذروة العدالة والرحمة في التعامل مع الأسرى، بعد أن انتصر المؤمنون. لقد أعطى الله لولاة الأمر خيارين واضحين لا ثالث لهما في الأصل:

1.المنّ) إطلاق السراح بلا مقابل(: وهو أن يُطلق سراح الأسير مجانًا، دون أي مقابل مادي أو بشري . إنه العفو عند المقدرة في أسمى صوره .هذا الخيار يفتح بابًا لكسب القلوب، وإظهار سماحة الإسلام، وربما كان سببًا في إسلام الأسير وقومه .إنه رسالة سامية تقول: "نحن لا نقاتلكم لنستعبدكم، بل لتكون كلمة الله هي العليا".
2.الفداء) الإطلاق مقابل عوض(: وهو أن يُطلق سراح الأسير مقابل فدية مالية، أو علم يعلمه للمسلمين، أو مقابل إطلاق سراح أسرى مسلمين لدى العدو .هذا الخيار يحقق مصالح عملية كبيرة للأ مة، من تقوية اقتصادها أو استرجاع أسراها.

دلالة أسلوب التقسيم "إما... وإما":
هذا الأسلوب القرآني يفيد الحصر والتخيير، ويدل على أن الإمام يتخير الأصلح من هذين الأمرين، و لا يلجأ إلى غيرهما إلا لضرورة تقتضيها المصلحة. إنه تشريع يمنع التعسف، ويسن قانونًا إنسانيًا

متحضرًا لم تعرفه البشرية من قبل.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية من هذا القسم:

· تربويًا: تعلمنا هذه الآية أن المعركة لا تنتهي بانتهاء القتال، بل بمرحلة بناء السلام .وتعلمنا العفو عند المقدرة، والحلم بعد القوة.
· نفسيًا: تشعر المؤمن المنتصر بأنه ليس متعطشًا للدماء، بل هو عبدٌ لله ينفذ أوامره، والتي تفيض بـ الرحمة .هذا يطهر قلبه من الغل والحقد.
· عمليًا: ترشد القائد إلى أن إدارة ما بعد الحرب لا تقل أهمية عن إدارتها، وأن الأسرى ثروة بشرية يمكن استثمارها عبر المنّ أو الفداء لخدمة الأهداف العليا للأمة.

القسم الثالث: غاية القتال الكبرى

﴿حَتَّىٰ تضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾

المحور الأول: تصوير الحرب ككائن حي له أوزار

انظر إلى روعة التعبير القرآني وتصويره الفني البليغ! لقد جُعِلت الحرب كأنها كائن حي، امرأة أو دابة مثقلة، تحمل على ظهرها وكتفها أثقالا ً وأحمالا ً ثقيلة، هي "الأوزار" (آلات الحرب وأعباؤها). ثم تأتي لحظة تضع فيها هذه الأثقال لتستريح، فتسكن وتخبو. هذا التشبيه يجعلك تدرك أن الحرب:

· حالة استثنائية وطارئة.
· ثقيلة ومكروهة للنفس البشرية السوية.
· لها نهاية محتومة، كمخلوق متعب لا بد أن يلقي بما يحمله.

المحور الثاني: بيان الغاية النهائية

هذا القيد العظيم (حَتَّىٰ تضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا) يبين أن كل هذه الأحكام، من القتال إلى أسر العدو و المنّ أو الفداء عليه، ليست أبدية، بل هي مستمرة حتى تتحقق الغاية الكبرى: أن تضع الحرب أوزارها، أي أن تنتهي الحرب تمامًا، ويحل السلام، وتزول أسباب القتال. هذه الغاية هي:

· إعلان أن السلام هو الأصل في الإسلام، والحرب فرع وضرورة.
· تحديد الهدف الاستراتيجي الأسمى بأنه ليس القتال في ذاته، بل الوصول إلى عالم تسوده كلمة الله ويعمه الأمن والاستقرار.

الرسائل العملية من هذا القسم:

· فكريًا: تصحيح مفهوم الجهاد في الإسلام، وأنه ليس حربًا دائمة، بل هو وسيلة لتحقيق غاية سامية هي السلام العادل تحت راية الإسلام.
· عمليًا: على القادة والسياسيين المسلمين ألا يستمرئوا الحرب، بل أن يظلوا نصب أعينهم الهدف النهائي وهو إنهاؤها وإحلال السلام.

القسم الرابع: الحكمة الإلهية من تشريع القتال

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾

المحور الأول: إشعار المؤمن بأن النصر من عند الله لا من قوته

في الآية الأولى، توعد الله الكفار بأنه ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، وفي الثانية وعد المؤمنين بأنه ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾. هنا يعود ليذكرك بقدرته المطلقة، فيقول: وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ. لو أراد الله -سبحانه- لأهلكهم بصيحة، أو بخسف، أو بجند من عنده، دون أن تسيل منكم قطرة دم واحدة. إذن، ليس الله بعاجز عن نصرتكم، فلماذا شرع لكم القتال؟

المحور الثاني: "ولكن ليبلو بعضكم ببعض" – الابتلاء المتبادل

الجواب يكمن في حكمة عظيمة مرتبطة بجوهر الوجود الإنساني: الابتلاء. شرع الله القتال لكي يختبركم، أيها المؤمنون، ويختبر الكفار أيضًا:

· ابتلاء المؤمنين بالكافرين: ليظهر إيمانكم الصادق في بذل النفس والمال، وليتميز الصادق من الكاذب، والثابت من المتزلزل .هذا الابتلاء هو الذي يُخرج منكم معادنكم الحقيقية.
· ابتلاء الكافرين بالمؤمنين: حينما يسلط الله المؤمنين عليهم، يكون ذلك ابتلاءً للكافرين، علهم يرجعون، أو يكون هلاكهم على أيديكم مما يزيد في إكرامكم وشرفكم .فأنتم أداة الابتلاء لهم، وهم أداة الابتلاء لكم.

الربط بالآية الأولى (أضل أعمالهم):
هذا الابتلاء هو الميدان الذي تتحقق فيه هذه الحقيقة. ففي ميدان القتال، يبذل الكافر قصارى جهده في القتال، ولكن لأن هذا الجهد مبذول في سبيل الباطل، فإن الله يضله ويجعله هباءً منثورًا.

الرسائل النفسية والتربوية من هذا القسم:

· نفسيًا: تطمئن قلب المؤمن، فلا يخاف من مواجهة عدوه لأنه يدرك أن المعركة في حقيقتها ابتلاء من الله، وأن النصر ليس بكثرة العدد والعدة فحسب، بل بتوفيق الله .وتذهب عنه الغرور، فلا يقول انتصرت بقوتي، لأن الله قادر على النصر بدوني.
· تربويًا: تعلمنا أن الحياة كلها دار ابتلاء، وأن الصراع بين الحق والباطل سنة ماضية لغاية حكيمة هي تمحيص الصفوف وتمييز الخبيث من الطيب.

القسم الخامس: بشارة للشهداء وتأكيد على الفرق بين المصيرين

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

المحور الأول: تخصيص الشهداء بالذكر والوعد

بعد الحديث عن القتال، وبعد توجيه المؤمنين لخوض هذا الابتلاء، يأتي الخطاب مباشرة لأولئك الذين قدموا أغلى ما يملكون، ألا وهم الشهداء. وكأنهم كانوا في قلب المعركة ووجدان المشرع. يعدهم الله وعدًا مؤكدًا ب-"لن" التي تفيد النفي المؤبد: فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ.

المحور الثاني: عظمة المقابلة بين خاتمة الآية الأولى وخاتمة هذه الآية

وهذا من بديع النظم القرآني وروعة التناسب:

· في الآية الأولى، كان مصير الكافرين الذين قاتلوا في سبيل الباطل: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، لأنهم اتبعوا الباطل.
· في الآية الرابعة، وعد الله المؤمنين الذين قتلوا في سبيله: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، بل سينميها ويضاعفها ويجزيهم بها خير الجزاء.

انظر كيف تطابق الوعد مع الوعيد، وكيف تقابل المصيران! إنها مقابلة تزرع الطمأنينة في قلب كل مجاهد، فحتى لو كانت نهاية جهاده في الدنيا هي القتل، فإن عمله لن يضيع، ومستقبله في الآخرة مضمون، بعكس عدوه الذي خسر الدنيا والآخرة.

الرسائل النفسية والعملية من هذا القسم:

· نفسيًا: تزرع هذه الآية في قلب المجاهد أقصى درجات السكينة والرضا، وتجعله لا يهاب الموت، لأ نه يعلم أن الموت في سبيل الله ليس فناءً بل هو باب للحياة الأبدية وعدم ضياع الأجر .إنها دفعة معنوية هائلة.
· عمليًا: تعلمنا أن قيمة العمل مرتبطة بكونه في سبيل الله .فمن عمل لله، فلن يضيع سعيه أبدًا، مهما كانت التضحيات.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية تعني أن نسأل أنفسنا: أين موقعي من هذه الآية؟ كيف أعيشها؟ اسأل نفسك هذه الأ سئلة وتفاعل معها:

.1في دائرة "مواجهة الباطل":
· في نفسي: ما هو "الباطل" الذي يجب أن "أثخنه" في داخلي؟ ما هي الشهوة، أو الشبهة، أو العادة السيئة التي يجب أن أضرب عنقها بكل حزم، وألا أتركها حتى أثخنها وأقضي على قدرتها في نفسي؟) هذا هو الجهاد الأكبر.(
· في واقعي: أين أنا من مواجهة الباطل بالحق في محيطي؟ هل أملك من قوة الحجة والبيان و العمل ما يُثخن به الباطل ويوهن قوته في المجتمع؟
.2في دائرة "إدارة ما بعد الانتصار":
· على المستوى الشخصي: عندما تنتصر على عدوٍ لك، أو تظفر بحق، هل أنت ممن "يمُن" ويعفو عند المقدرة، أم أنك تشفي غيظك وتنتقم؟ تذكر أن الخيار الأول هو الأقرب للتقوى.
· على المستوى التربوي: كيف تربي أبناءك على أن القوة ليست سيفًا مسلطًا على رقاب الآخرين، بل هي وسيلة لإحقاق الحق، وأن العفو بعدها هو قمة الشجاعة؟
.3في دائرة "الغاية الكبرى من الصراع":
· في كل خلاف أو صراع تخوضه في حياتك، اسأل نفسك: ما هو هدفي النهائي؟ هل هو الا نتصار للنفس، أم أن تضع "حرب" هذا الخلاف أوزارها، وأن يحل السلام الحقيقي القائم على الحق؟ اجعل غايتك هي الإصلاح لا الانتقام.
.4في دائرة "الابتلاء والثبات":
· انظر إلى مصاعب حياتك، في عملك، في دراستك، في علاقاتك، على أنها "ابتلاء" من الله ليرى صدقك وصبرك .هذا المنظور يحول المصيبة إلى فرصة، والبلاء إلى اختبار يرتقي بك.
· عندما ترى أهل الباطل يصولون ويجولون، تذكر: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لكنه يمهلهم ليبتليهم ويبتليك، فثق بعدله ولا تستعجل.
.5في دائرة "ضمان المستقبل":
· تفاعل مع وعد الله ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ .كل تعب تتحمله، وكل جهد تبذله في سبيل الله، في عملك، في دعوتك، في تربية أولادك، هو في "سبيل الله" .ثق تمامًا أن هذا العمل لن يضيع سدى، حتى لو لم تر ثمرته في الدنيا.

ثالثًا: أهم الدروس والمفاهيم من الآية وتحويلها إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هيا بنا نستخرج الطاقة الكامنة في هذه المفاهيم:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) الحسم والإثخان(: تحويله إلى طاقة يعني أن تبني إنسانًا حاسمًا، لا يعرف التردد في نصرة الحق، وفي قطع دابر الباطل من نفسه ومجتمعه .على المستوى المجتمعي، يبني هذا المفهوم مؤسسات قوية وفاعلة، قادرة على تطبيق القانون بحزم، ومواجهة الفساد بلا تردد.
.2مفهوم) شد الوثاق(: تحويله إلى طاقة يعني إتقان فن إدارة الأزمات، والانتقال من مرحلة المواجهة إلى مرحلة السيطرة والتنظيم .إنه يدرب العقل العملي على التفكير فيما بعد الأزمة، وكيفية تأمين الموقف وتحصينه.
.3مفهوم) المنّ والفداء(: تحويله إلى طاقة هو أبلغ درس في فن إدارة العلاقات واستثمار الفرص . إنه يعلم القائد كيف يحول الخصم المهزوم إلى صديق) بالمنّ(، أو إلى مصدر قوة ومورد استراتيجي)بالفداء .(هذا هو الذكاء الاستراتيجي بعينه .مجتمع يطبّق هذا المفهوم هو مجتمع تسوده العقول الراجحة التي تنظر إلى ما بعد الصراع، فتبني السلام الحقيقي.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) ولو يشاء الله لانتصر منهم(: تحويله إلى طاقة نفسية ينتج عنه إنسان متوكل، شجاع، غير مغرور .إنه يذهب الغرور من قلبك بعد النصر، ويذهب اليأس من قلبك في أثناء المعركة .أنت تعلم أنك أداة، وأن النصر من عند الله، فتتوكل عليه حق التوكل، وتبذل الأسباب وأنت مطمئن.

.2مفهوم) ليبلو بعضكم ببعض(: تحويله إلى طاقة يعني أن ترى كل تحدٍ في حياتك كفرصة للارتقاء وكشف معدنك الحقيقي .هذا يعطيك مناعة نفسية ضد الإحباط، ويجعلك تنظر للفشل على أنه نتيجة اختبار يجب التعلم منه، لا نهاية المطاف.
.3مفهوم) فلن يضل أعمالهم(: تحويله إلى طاقة هو بناء الإنسان الواثق في موعود الله .هذا المفهوم هو أكبر دافع للعطاء والتضحية .فهو سلاح ضد التسويف والإحباط، ويجعلك تقدم وتضحي وتعطي، وأنت موقن أن كل قطرة عرق، وكل لحظة تعب، محفوظة عند الله، ولن تذهب سدى.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) الغائية(: حتى تضع الحرب أوزارها .(تحويل هذا المفهوم يبني عقلا ً استراتيجيًا لا يغرق في التفاصيل التكتيكية، بل يظل محدقًا في الهدف الاستراتيجي الكبير .هذا العقل هو الذي يخطط للحضارة، ويبني المجد، لأنه يعرف أن كل خطوة هي في طريق غاية كبرى.
.2مفهوم) السنن الإلهية(: ليبلو بعضكم ببعض .(تحويله إلى طاقة فكرية يبني عقلا ً مؤمناً بالسنن، فيدرس التاريخ والواقع ليكتشف هذه السنن .هذا العقل يتجاوز التفسيرات السطحية للأحداث، ويغوص في أعماقها ليرى يد الله تعمل في الكون، فيخطط للمستقبل على هدى وبصيرة.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

انظر -يا رعاك الله- كيف تتكامل هذه المفاهيم لتشكل منظومة متكاملة لبناء الحضارة:

· نحتاج للحسم والإثخان) مفهوم عملي (لردع المعتدين وإقامة العدل، لكن هذا الحسم يجب أن يكون مبنيًا على التوكل على الله وعدم الاغترار بالقوة) مفهوم نفسي(، ساعيًا إلى غاية نبيلة وهي إحلال السلام) مفهوم فكري.(
· وعندما ننتصر، لا ننتقم، بل نلجأ إلى المنّ والفداء) مفهوم عملي (لأننا ندرك أنه ابتلاء من الله ليمتحن رحمتنا وعقولنا) مفهوم نفسي(، ولأن غايتنا هي بناء عالم مستقر لا يغرق في دوامة الثأر)مفهوم فكري.(
· وخلال كل هذا، يظل الجندي والمفكر والعامل والمربي يعملون ويضحون بلا كلل، لأنهم واثقون بأن الله لن يضل أعمالهم) مفهوم نفسي وإيماني(، مما يطلق طاقاتهم للعطاء اللامحدود.

هكذا، تتحول آية واحدة في كتاب الله إلى منهج متكامل، يبني الإنسان القوي الأمين، الذي يشكل الأ سرة الصالحة، والتي تكون المجتمع المتماسك، الذي يصنع في النهاية الحضارة الإنسانية الراقية التي تظل العالم بنور الحق والعدل.

المبحث الرابع

اخى المؤمن اختى المؤمنه

تعال معى نتابع رحلتنا معًا في بستان سورة محمد، هذه السورة التي تنقلنا من طور الصبر إلى طور التمكين، وتضع بين أيدينا خارطة المواجهة مع الباطل. لقد وقفنا معًا في الآيات الأولى على نماذج الفريقين، وعرفنا علة مصيريهما، وتلقينا التوجيه العملي في ميدان المواجهة. واليوم، نستكمل هذا البناء المتين مع الآيتين الخامسة والسادسة.

أشعر معي بهذا التساؤل الذي قد يدور في خلدك بعد تلاوة الآية الرابعة: لقد وعد الله الشهداء بألا يضل أعمالهم، وبيّن أن القتال ابتلاء، فلماذا لا يدخلنا الله الجنة فورًا ونحن على الحق؟ لماذا هذا الا بتلاء بالقتال والمشقة؟ هنا، وكأن الآية تقرأ ما في نفسك، يأتي الجواب الإلهي ليمسح على قلبك، ويهديك إلى الحكمة العظمى من هذا كله.

التمهيد: موقع الآيتين من السياق العام للسورة

تخيل معي - رعاك الله - أننا في رحلة عظيمة، بدأناها في ظلال سورة الأحقاف، حيث كان الأمر الإ لهي ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾. في تلك المرحلة، كان سلاحنا الصبر والثبات، كنا نبني النفوس والعقائد. ثم انتقل بنا الوحي إلى المدينة، حيث قامت الدولة، وصار للمؤمنين كيان، فنزلت سورة محمد (القتال)، لتعلن أن الصبر لم يكن خنوعًا، بل كان تكتيك مرحلة، والآن حانت مرحلة التمكين والمواجهة.

ولكي تكون المواجهة فاعلة، رسمت لنا السورة خارطة متكاملة:

· في الآية ١، رأينا نموذج العدو ومصيره: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.
· في الآية ٢، رأينا نموذجنا ومصيرنا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ

بَالَهُمْ}.
. في الآية ٣، تجلت لنا العلة الجذرية لهذين المصيرين: {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ}.
. في الآية ٤، جاء التوجيه العملي للمواجهة في الميدان، واختُتمت بوعد الشهداء المطمئن: {فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}.

وهنا، بعد أن وعد الله الشهداء بألا تضل أعمالهم، يبرز في ذهنك سؤال: لماذا لا يدخلنا الله الجنة مباشرة ونحن على الحق؟ لماذا الابتلاء بالقتال؟ تأتي الآيتان (5-6) لتجيباك إجابة شافية، كاشفتين عن منهج الله في الابتلاء والتمحيص، ومؤكدتين الوعد للمؤمنين بالهداية وإصلاح البال والجنة، ليكتمل البناء الفكري والنفسي للمجتمع المجاهد.

تفسير الآيتين (5-6) من سورة محمد

قال تعالى:
{سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)}

المعنى العام للآيتين:

بعد أن ذكر الله -عز وجل- في خاتمة الآية (4) أن الشهداء الذين قتلوا في سبيله {فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}، يأتي هنا بوعد متصل ومباشر، فيقول: بل سَيَهْدِيهِمْ إلى طريق السعادة الأبدية، ويُصْلِحُ بَالَهُمْ أي شأنهم وحالهم وقلبهم في الدنيا والآخرة، ويُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ التي هيأها لهم ووصفها لهم في كتابه، فاشتاقت إليها أرواحهم، وعرفوا منازلهم فيها حتى كأنهم ألفوها. وهذه الآيات، مع أنها نزلت في الشهداء، فهي بشارة لكل مؤمن سار على دربهم، وثبت على الحق، وجاهد في سبيل الله.

مقاصد وأهداف الآيتين:

.1قطع اليقين بوعد الله للشهداء والمؤمنين المجاهدين، بأن جزاءهم ليس فقط حفظ الأعمال من الضياع، بل يتعداه إلى الهداية وإصلاح الحال ودخول الجنة.
.2تثبيت المجاهدين وبعث الطمأنينة في قلوبهم، بأن مستقبلهم بيد الله الذي سيهديهم ويصلح أحوالهم في كل مرحلة.
.3ربط الجنة بالإيمان والعمل الصالح والجهاد، وتصويرها بصورة محببة مشوقة، عبر معرفة المؤمنين بها وتفصيلها لهم كأنهم رأوها.
.4استكمال حلقة بناء النفس المجاهدة، فبعد أن عرف المؤمن عدوه) آية1 -(3، وتلقى توجيهات المعركة) آية(4 ، يتلقى هنا البشارات التي تهون عليه كل مشقة.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الخامسة

{سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5)}

هنا نجد أنفسنا أمام وعدين عظيمين، هما بمثابة النور الذي يسطع في قلب المجاهد.

المحور الأول: "سَيَهْدِيهِمْ" – وعد بالهداية المستمرة

.1دلالة السين في "سَيَهْدِيهِمْ" على تحقق الوعد وقربه

تأمل معي حرف "السين" في قوله {سَيَهْدِيهِمْ}! إن السين تفيد الاستقبال القريب، وتفيد الوعد المؤكد. فكأن الله يقول لك: لا تقلق، الهداية قادمة، وهي محققة لا ريب فيها، وستأتيكم عما قريب. إنها تزرع في قلب المجاهد روح التفاؤل واليقين بأن الفرج والمستقبل المشرق في طريقه إليه.

.2من هم المخاطبون بالهداية؟

الضمير في {سَيَهْدِيهِمْ} يعود على {الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في الآية السابقة. هؤلاء هم الشهداء. ولكن، ألا ترى أن هذا الوعد يتسع ليشمل كل من سار على دربهم، وثبت على الجهاد، ولم ينل الشهادة بعد؟ نعم، إنها بشارة لكل من صدق مع الله، بأن الله سيهديه سواء في حياته أو بعد مماته.

.3أنواع الهداية المذكورة هنا

الهداية هنا ليست نوعًا واحدًا، بل هي هدايات متعددة:

· هداية التثبيت: عند سؤال الملكين في القبر، يثبت الله الشهيد. إنها هداية في أحلك اللحظات.
· هداية السداد والإرشاد: في كل أطوار الآخرة، يهديهم الله إلى طريق الجنة، ويسدد خطاهم على الصراط.
· هداية المعرفة والإلهام: في حياتهم الدنيا، يهديهم الله إلى ما فيه الخير والصلاح، ويلهمهم رشدهم. إنها الهداية التي تتدفق على القلب لحظة بلحظة، فتجعله يرى الحق حقًا والباطل باطلا ً.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: عندما تعلم أن الله "سيهديك"، تشعر بطمأنينة عجيبة. كأنك في سفينة تتقاذفها الأمواج، ولكن ربانها هو الله، وهو يعدك بأنه سيهديك إلى شاطئ الأمان. هذا الشعور يبدد القلق والخوف من المستقبل.
· تربويًا: هذه الآية تربينا على الاستمرار، فطالما أن الهداية في المستقبل، فلا نيأس من إصلاح أنفسنا وتربيتها، فالله يعدنا بمزيد من الهدى.

المحور الثاني: "وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ" – وعد بإصلاح الحال الشامل

هنا نصل إلى كلمة مفتاحية تكررت في السورة، إنها كلمة "البال".

.1سر التكرار ومقارنته بالآية الثانية

لقد وعد الله المؤمنين عامة في الآية الثانية بقوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (بصيغة الماضي). وهنا يعيد الوعد نفسه للشهداء خاصة بقوله: ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (بصيغة المضارع).

· في الآية الثانية: كان الوعد عامًا لكل من آمن وعمل صالحًا بأن الله "أصلح" حاله في الدنيا، فجعل قلبه مطمئنًا بالإيمان.
· في الآية الخامسة: الوعد خاص بالمجاهدين والشهداء، بأن الله "يُصْلِحُ" حالهم في المستقبل، في الآ خرة، في قبرهم، وفي موقف الحشر، بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إنه تأكيد على أن إصلاح البال هو هبة إلهية تتجدد وتستمر.

.2معاني إصلاح البال للشهداء والمجاهدين

ما الذي يصلحه الله في "بالهم"؟

· إصلاح القلب: تطهيره من الحزن على الدنيا، ومن الخوف من المستقبل.
· إصلاح الشأن كله: جعل حالهم في البرزخ روضة من رياض الجنة، وجعل حالهم يوم القيامة في أمان من الفزع الأكبر.
· إصلاح الذكر الحسن: جعل ألسنة الناس تلهج بالثناء عليهم، وجعلهم قدوة للأجيال.
· إصلاح أمر أهليهم من بعدهم: يتولى الله رعاية من تركوا وراءهم، فيكون ذلك من تمام إصلاح ب الهم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: تعلمنا هذه الآية أن نبحث عن "إصلاح البال" في طاعة الله والجهاد في سبيله. من أراد السكينة الحقيقية، فعليه أن يضحي لأجل الحق، وسيتولى الله إصلاح حاله.
· نفسيًا: إنها تمنح المجاهد سكينة عظيمة، فهو يعلم أنه إذا قُتل، فإن الله سيتولى إصلاح كل ما أهمه، وسيجبر كسر أهله من بعده.

ثانيًا: التحليل التفصيلي للآية السادسة

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

هنا ذروة الوعد، وجائزة الرب الكريم.

المحور الأول: "وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ" – وعد مطلق بدخول دار النعيم

بعد الهداية وإصلاح البال، تأتي الخاتمة المسك: دخول الجنة. إنه الهدف الأسمى، والمقصد الأعلى لكل مؤمن.

.1التدرج في الوعد

لاحظ التدرج البديع في العطاء الإلهي:

.1الوعد الأول: ألا تضل أعمالهم) صيانة من الخسارة.(
.2الوعد الثاني: سيهديهم) نور وطمأنينة.(
.3الوعد الثالث: ويصلح بالهم) سعادة وراحة.(
.4الوعد الرابع: ويدخلهم الجنة) فوز مطلق.(

هذا التدرج يبنى في قلب المؤمن يقينًا لا يتزعزع. كأنه يصعد سلم الكرامات درجة درجة، حتى يصل إلى القمة.

المحور الثاني: "عَرَّفَهَا لَهُمْ" – المعرفة الدقيقة بالجنة

وهنا الجوهرة الفريدة في هذه الآية! تأمل معي قوله: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾. لم يقل "أدخلهم الجنة" فقط، بل قال قبلها: عَرَّفَهَا لَهُمْ. ما أروع هذه العبارة وما أعمق معانيها!

.1كيفية تعريف الله الجنة لعباده المؤمنين

كيف يعرّف الله الجنة لهم؟

· في الدنيا: عرّفها لهم عبر آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، التي وصفت أنهارها وقصورها ونعيمها، فاشتاقت نفوسهم إليها، وسعوا لها سعيها.
· في البرزخ: تُعرض عليهم مقاعدهم من الجنة بالغداة والعشي، فيرون منزلهم فيها، فيزدادون شوقًا وحبورًا.
· يوم القيامة: يهديهم الله إلى منازلهم في الجنة، فيعرفونها كما يعرفون بيوتهم في الدنيا، بل أشد. يشعرون بألفة تامة، فلا يحتاجون إلى دليل أو قائد. يجدون أماكنهم مُعَدّة ومُهيّأة بكل تفاصيلها كما وُصفت لهم.

.2دلالة "عرّفها لهم" على اليقين ورفعة الذوق الروحي

· عرفان لا تنكير: لم يقل الله "أدخلهم جنة لا يعرفونها" فيكون فيها شيء من الغربة. بل جعلها معروفة لهم، مألوفة لديهم. هذا يذهب وحشة الغربة، ويملأ القلب أنسًا. إنها كأنها وطنهم الأصلي الذي اشتاقوا إليه!
· كريم يعرّف بجودته: هذا يشبه فعل الكريم الذي يدعو أضيافه إلى وليمة، فلا يتركهم حائرين، بل يصف لهم كل شيء، بل ويبعث لهم خارطة ومرشدًا، حتى إذا وصلوا وجدوا كل شيء كما وُصف لهم تمامًا، فيكون سرورهم مضاعفًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· تربويًا: إنها تدعونا إلى أن نتعرف على الجنة الآن، بأن نقرأ أوصافها في القرآن، ونتصور نعيمها، ليزداد شوقنا لها، فيهون علينا كل تعب في طريق الوصول إليها.
· نفسيًا: يشعر المؤمن المجاهد أن تعبه لم يذهب سدى، بل هو في طريقه إلى "دارٍ عرّفها له"، يعرفها حق المعرفة. هذا يعطيه طاقة هائلة على الاحتمال والصبر.

ثالثًا: كيف تكون قراءة الآيتين قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية تعني أن تسأل نفسك: كيف أعيش هذه المعاني؟ اسمح لي أن أطرح عليك بعض الأ سئلة للتفاعل معها:

· في دائرة "الهداية":
· هل تشعر في قلبك أن الله "سيهديك"؟ إذا كان كذلك، فما هو أثر هذا اليقين على مخاوفك من المستقبل؟ ألا تشعر أنك تسير في الحياة ومعك مرشد خبير لا يُخطئ؟
· تطبيق عملي: عندما تقف حائرًا بين أمرين، قل: "اللّهم اهدني لأحسنهما، فإنك وعدت عبادك بـ الهداية". وثق أن الله سيهديك.
· في دائرة "إصلاح البال":
· ما الذي يعكر بالك اليوم؟ هل هي هموم مالية، أم عائلية، أم نفسية؟ تذكر أن إصلاح البال هو وعد من الله للمجاهدين الصادقين. فهل أنت تجاهد نفسك وهواك؟ هل أنت ثابت على مبدأ الحق في عملك ودراستك؟
· تطبيق عملي: كلما ضاق صدرك، ردد هذا الدعاء بيقين: "اللّهم يا من وعدت عبادك المجاهدين بأن تصلح بالهم، أصلح بالي، واجبر كسري، ويسر أمري".
· في دائرة "تعريف الجنة":
· كم من الوقت تمضي في قراءة وصف الجنة؟ هل تعرف منزلك فيها؟ هل تشتاق إليها؟ يقول الحسن البصري: "عرفوها في الدنيا، فاشتاقوا إليها، فلما دخلوها عرفوها".
· تطبيق عملي: اجعل لك وِرْدًا أسبوعيًا لقراءة آيات الجنة وأحاديثها، وتأملها بقلبك، واسأل الله أن يريك إياها، ليزداد شوقك، وتهون عليك مشاق الطريق.

رابعًا: أهم الدروس والمفاهيم وتحويلها إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

لنستخرج معًا الطاقة الكامنة في هذه المفاهيم لبناء نهضتنا:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) الهداية المستمرة(: حين يتربى الإنسان على يقين أن الله "سيهديه"، يتحول إلى إنسان مبادر، لا يخاف من خوض غمار الحياة وتجاربها .إنه إنسان يتحرك ويخطط ويعمل، وهو واثق أن الله سيسدده .مجتمع هذه صفة أفراده، هو مجتمع متحرر من الخوف من الفشل، دائم التطور و التقدم، لأن أفراده يوقنون بأنهم في رعاية الله وهدايته.
.2مفهوم) إصلاح البال المستمر(: يبني هذا المفهوم إنسانًا متوازنًا، يعرف كيف يجمع بين العمل للدنيا وسلامة القلب .إنه لا يحرق نفسه في طلب الرزق وينسى روحه .وعلى المستوى المجتمعي، فهو يبني مجتمعًا مطمئنًا، ليس سعيدًا بمادياته فحسب، بل براحة باله وعدالته، لأنه قام على أكتاف أناس أصلح الله بالهم.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) عَرّفَهَا لَهُمْ(: تحويل هذا المفهوم إلى طاقة نفسية هو قمة الذكاء العاطفي .إنه يمنح المؤمن السعادة بالترقب والشوق .تخيل إنسانًا يعلم أن هناك جائزة عظيمة في انتظاره، وقد عرّفها له، فهو في كل خطوة نحوها لا يشعر بالتعب، بل يشعر بالمتعة .هذا المفهوم يحول الصبر على البلاء إلى متعة روحية، ويبني إنسانًا لا تكسره الملمات، لأن عينه على النهاية السعيدة المعروفة.
.2مفهوم) التدرج في العطاء الإلهي(: يبني هذا المفهوم إنسانًا صبورًا، لا يستعجل الثمرة .إنه يرى كيف تدرج الله في وعده) هدى، أصلح، أدخل(، فيتعلم التدرج في عمله وتربيته، فلا يصيبه اليأس إذا تأخرت النتائج.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) مركزية الآخرة(: يبني هذا المفهوم عقلا ً استراتيجيًا بعيد المدى .الحضارة التي تقوم على أكتاف أناس يعملون لدنيا وأخرى، لا يمكن أن تنهار عند أول أزمة .لماذا؟ لأن أفرادها لا يعملون لأجر عاجل فقط، بل لأجر آجل أكبر .هذا يعطيهم صبرًا استراتيجيًا، ويجعل استثماراتهم في الخير والتعليم والبناء لا تنقطع، لأنهم يرون أثرها في الدنيا وفي الآخرة.

.2مفهوم) التكامل بين العلم والعمل(: "عَرَّفَهَا لَهُمْ" تعني أن العلم) معرفة الجنة (مقدم على العمل)دخولها .(لا يمكن دخول جنة في الآخرة بلا معرفة في الدنيا .ولا يمكن بناء جنات في الأرض)حضارة (بلا "تعريف" بمعاييرها ومواصفاتها .هذا المفهوم يقدس العلم والمعرفة، ويجعلها أساس كل عمل.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

انظر -يا رعاك الله- كيف تتكامل هذه المفاهيم لتشكل منظومة متكاملة لبناء الحضارة:

· نحتاج لإنسان مهتدٍ (سَيَهْدِيهِمْ)، هدايته تمنحه البوصلة الصحيحة.
· وإنسان مطمئن النفس (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)، طمأنينته تعطيه القدرة على الصمود.
· وإنسان يعرف غايته (عَرَّفَهَا لَهُمْ)، معرفته بغايته تمنحه الوقود للعمل الدؤوب.

هكذا، يخرج من رحم هذه الآيات جيل من بنائي الحضارة، جيل يعمل لله، ويهتدي بالله، وتسكن نفسه بذكر الله، ويمضي في طريقه إلى جنةٍ عرّفها له، فيحول الأرض إلى جنة مصغرة بالعدل و العمران، انتظارًا للجنة الكبرى في الآخرة.

القسم الثاني

المبحث الأول

ها نحن نعود لنستكمل معًا رحلتنا المباركة في رحاب سورة محمد، هذه السورة التي ترسم لنا خارطة التمكين والمواجهة، وتنقلنا من طور الصبر إلى طور الحماية الواقعية للحق. لقد وقفنا معًا عند ست آيات محكمات، بدأت بتوصيف الفريقين ومصيريهما، ثم كشفت لنا عن العلة الجذرية لهذين المصيرين (اتباع الحق أو الباطل)، ثم أمرتنا بالقتال ورسمت لنا أحكامه وضوابطه، وختمت بوعد الشهداء و المجاهدين بالهداية وإصلاح البال ودخول الجنة التي عرفوها حق المعرفة.

والآن، ونحن ماضون في هذه السورة الكريمة، يبرز أمامنا سؤال وجودي عظيم: كيف نحقق هذا النصر؟ كيف نصل إلى ذلك التمكين؟ كيف تكون لنا الغلبة على أعداء الله الذين عرفنا صفاتهم ومصيرهم؟ هل هي أمانٍ نتمناها؟ أم هي قوانين ثابتة يجب أن نلتزمها؟

تأتي الآية السابعة لتجيب عن هذا السؤال المحوري إجابة جامعة مانعة، في نداء حبيب إلى قلوب المؤمنين، لتكشف لهم عن قانون النصر الإلهي ومعادلته الدقيقة.

التمهيد: موقع الآية من السياق العام للسورة

تخيل أنك تقرأ هذه السورة وكأنها بيان عسكري وإيماني صادر من القيادة العليا للمؤمنين.

· في الآيات الأولى1) -(3، تعرفت على عدوك، وفهمت حقيقته، وعرفت مصيره.
· في الآية الرابعة، صدرت لك الأوامر المباشرة بالقتال، وتعلمت كيف تدير المعركة.
· في الآيتين الخامسة والسادسة، سمعت الوعود العظيمة للشهداء والصادقين، فاشتقت إلى تلك المنازل.

والآن، وأنت على أعتاب الميدان، وقد اشتقت نفسك إلى النصر وإلى تلك الجنة، يأتي النداء الإلهي المباشر ليوجه قلبك إلى الشرط الأساسي، وإلى المفتاح الذي بدونه لا يُفتح باب النصر: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

إن هذه الآية هي قانون المواجهة كما أراده الله. فبعد أن بين الله أنه قادر على نصر المؤمنين بلا قتال (آية 4)، ها هو يبين لهم الحكمة من تكليفهم بالقتال، ويربط النصر بشرط عظيم. إنها آية محورية في السورة، بل في فهم حركة التاريخ والصراع بين الحق والباطل.

تفسير الآية (7) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

ينادي الله -عز وجل- عباده المؤمنين بذلك النداء الحبيب، ليضع بين أيديهم معادلة النصر والتمكين.

إنها معادلة واضحة، طرفها الأول شرط، وطرفها الثاني جواب. يقول لهم ربهم: إن تنصروا دين الله، وتنصروا رسوله، وتنصروا شريعته، بأن تجاهدوا أنفسكم وأعداءكم لإعلاء كلمته، فإن الله يضمن لكم في المقابل نصرين عظيمين: الأول، أن ينصركم على أعدائكم في الدنيا. والثاني، أن يثبت أقدامكم في مواطن القتال، وفي مواطن الفتن، وعلى صراط الحق، فلا تزلوا ولا تنهزموا.

مقاصد وأهداف الآية:

1. ترسيخ سنة إلهية ثابتة: وهي أن النصر مقرون بنصرة الدين، وليس مجرد أمنية أو تفضيل عرقي.
2. تحفيز المؤمنين على بذل الجهد في سبيل الله، وربط عملهم بالنتائج الحاسمة في الدنيا والآخرة.
3. توجيه أنظار المؤمنين إلى أن القوة المادية ليست وحدها سبب النصر، بل لا بد من اكتمال الشرط الإيماني.
4. غرس روح المسؤولية الجماعية والفردية في الأمة، فكل فرد مطالب بنصرة دينه بقدر استطاعته.
5. تثبيت القلوب في زمن الفتن والمعارك، عبر بيان أن الثبات هو عطاء من الله يُستجلب بنصرته.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

النداء الإلهي: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"

1. دلالة النداء وتأثيره النفسي

تأمل معي كيف يستفتح الله -عز وجل- هذه الآية. لم يقل "قل لهم" أو "وقلنا"، بل نادى المؤمنين مباشرة بوصف الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

· "يا": هي أداة نداء للبعيد، وفيها تشويق وإيقاظ للغافل، كأنها تقول: "انتبه! اسمع! الأمر الذي يأتيك بعد هذا النداء عظيم الشأن".
· "أيها": لفظ توكيد وتنبيه يزيد من قوة النداء.
· "الذين آمنوا": الوصف الذي اختاره الله لهم .إنه تذكير لهم بمن هم، وبالعهد الذي بينهم وبين الله . كأنه يقول: "أنتم الذين انتسبتم إلي بالإيمان، فاسمعوا ما يليق بهذا الانتساب، وما يقتضيه هذا الشرف" .هذا النداء يملأ القلب محبة ورجاء، ويجعلك تستجمع كل ذرة في كيانك لتسمع وتطيع.

المحور الأول: "إن تنصرُوا اللهَ" – الشرط العظيم

1. كيف ينصر العبد ربّه؟ وما هو مفهوم نصرة الله؟

هنا جوهر الآية! قد تقول في نفسك: "وكيف لي أن أنصر الله وهو الغني الحميد؟!". السؤال في غاية العمق، والجواب يريك محبة الله لك وتشريفه إياك.
نصرة الله لا تعني أنه -سبحانه- محتاج إليك، حاشاه! بل تعني:

· نصرة دينه: بأن تتعلم شرعه، وتطبقه في نفسك وأهلك، وتدعو إليه بلسانك ومالك وجهدك، وتدافع عنه بفكرك وقلمك وسلاحك.
· نصرة رسوله ﷺ: بأن تؤمن به، وتحبه، وتتبعه، وتنشر رسالته، وتدفع الشبهات عنه، وتغضب لما يغضبه.
· نصرة كتابه: بأن تقرأه، وتتدبره، وتعلمه، وتحكمه في حياتك، وتجعله دستورك الذي لا تحيد عنه.
· نصرة عباده المؤمنين: بأن تكون عونًا لهم، وناصرًا لقضاياهم، ومحاميًا عن أعراضهم، ومساعدًا لهم في مواجهة الظلم.

باختصار، نصرة الله هي أن تجعل كل ما وهبك الله -من قوة وعلم ومال وجاه- في خدمة إعلاء كلمته ونشر دينه. إنها أن تنحاز إلى الحق انحيازًا كاملا ً بكل كيانك.

2. دلالة تقديم الشرط "إن تنصرُوا اللهَ" على الجواب

إن تقديم الشرط على الجواب يُفيد الحصر والسببية. فكأن الآية تقول لك بكل وضوح: الطريق الوحيد لنصر الله لكم، هو أن تنصروا أنتم دينه أولا ً. لا نصر بلا استحقاق، ولا تمكين بلا تضحية. إنها معادلة ربانية عادلة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· تربويًا: تربي فيك الآية روح المبادرة والإيجابية .النصر لا ينزل عليك وأنت قاعد، بل لا بد أن تتحرك أنت أولا ً.
· نفسيًا: يحملك هذا الشرط مسؤولية عظيمة، ولكنه في نفس الوقت يمنحك كرامة لا توصف .أنت لست مجرد جندي، بل أنت "ناصر لله" .أي شرف هذا!
· عمليًا: يجب أن تتحول حياتك كلها إلى ميدان لنصرة الله .في عملك، في دراستك، في علاقاتك، في إعلامك، في كل شيء.

المحور الثاني: "يَنصُرْكمْ" – جواب الشرط الأول

.1مظاهر نصر الله للمؤمنين

عندما تحقق الشرط، يأتيك وعد الله الذي لا يتخلف. كيف ينصرك الله؟

· النصر المادي في المعارك: كما نصر رسوله في بدر والأحزاب وحنين.
· النصر المعنوي والهيبة: يلقي الله الرعب في قلوب أعدائك قبل لقائهم.
· النصر بالحجة والبرهان: يهديك إلى قوة المنطق، ويفتح لك من أبواب البيان ما تسكت به الخصوم.
· النصر على النفس والهوى والشيطان: وهو أعظم أنواع النصر، وأصله الذي تبنى عليه الانتصارات الأ خرى.
· النصر في الآخرة: وهو النصر الأكبر، بالنجاة من النار ودخول الجنة.

.2دلالة المطابقة بين الشرط والجزاء

لاحظ المطابقة الجميلة! "تنصروا" قابلها "ينصركم". أنت تقدم النصرة، فيقدمها لك من هو أكرم الأ كرمين. وكما كانت نصرة دينك متنوعة وشاملة، يأتي نصر الله لك متنوعًا وشاملا ً. وكما نصرت الحق بقدر وسعك، ينصرك الله بقدرته المطلقة التي لا يعجزها شيء.

الرسائل التربوية والنفسية:

· نفسيًا: يملأ قلبك يقينًا بأنك لست وحدك في المعركة .معك قوة عظمى لا تغلب .هذا الشعور هو أعظم سلاح .المؤمن الذي يوقن بأن الله ينصره لا يمكن أن ينهزم نفسيًا، حتى لو انهزم مؤقتًا في جولة.
· تربويًا: تعلمك أن النصر ليس بعدد ولا عدة، بل هو من عند الله .فلا تغتر بقوتك، ولا تيأس من ضعفك، بل نِصْر الله هو المطلوب، وهو يأتي بنصرة دينه.

المحور الثالث: "وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكمْ" – جواب الشرط الثاني

.1الفرق بين النصر وتثبيت الأقدام

النصر هو الغلبة على العدو، أما تثبيت الأقدام فهو أمر أعمق:

· الثبات في المعركة: عدم الفرار والانهزام.
· الثبات على الحق: عدم التزلزل والارتداد.
· الثبات عند الشدائد: الصبر وعدم اليأس.
· الثبات على الصراط المستقيم: الاستمرار على دين الله حتى الممات.

انظر كيف جمعت الآية بين الأمرين! النصر بدون تثبيت أقدام قد يكون انتصارًا مؤقتًا يعقبه سقوط. وتثبيت الأقدام بدون نصر قد يكون صبرًا سلبيًا. لكن الله يجمع لعباده الناصرين بين الغلبة (النصر) وا لاستمرار عليها (تثبيت الأقدام).

.2كيف يُثبّت الله أقدام المؤمنين؟

· في القتال: يقذف في قلوبهم السكينة، ويثبت أبدانهم، فتراهم كالجبال الراسيات.
· في الفتن: يثبت قلوبهم على الإيمان، فلا تزيغ بهم الشهوات ولا الشبهات.

· في ساعة الموت: يثبتهم بالقول الثابت، فيخرجون على الفطرة والتوحيد.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: كثير من الناس يطلب النصر، لكنه يغفل عن طلب الثبات .هذه الآية تعلمك أن تسأل الله الثبات كما تسأله النصر .ما فائدة أن تنتصر إذا كنت بعد النصر ستسقط في المعصية أو الكبر؟
· عمليًا: تثبيت الأقدام هو ثمرة لنصرة الله .إذا كنت تريد أن تثبت على دينك، وأن تبقى على الحق، فالزم نصرة دين الله.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية لهذه الآية تعني أن تسأل نفسك هذه الأسئلة وتتفاعل معها بصدق:

· في دائرة "نصرة الله":
· محاسبة النفس: بماذا أنصر الله اليوم؟ هل أنصر دينه في أسرتي، في عملي، في جامعتي، في مواقع التواصل؟ هل لي أثر ولو بسيط في إعلاء كلمة الحق؟
· التطبيق العملي: حدد هدفًا يوميًا أو أسبوعيًا لنصرة الدين: آية تعلمها لأهلك، منشور خير تنشره، كلمة طيبة تزرعها في قلب صديق، صدقة تنفقها، دفع شبهة عن دين الله بقلمك أو لسانك .لا تحقرن من المعروف شيئًا .تذكر أنك لكي ينصرك الله، لا بد أن تنصره أنت.
· في دائرة "النصر":
· تفاعل مع وعد الله: هل أنت موقن بأنك إن نصرة الله نصرك؟ إذا كان كذلك، فانظر إلى تحدياتك ومخاوفك من منظور جديد .قلها بيقين: "اللهم إني أسعى لنصرة دينك بقدر ما أستطيع، فأنزل نصرك علي".
· التطبيق العملي: إذا واجهت صعوبة أو عداوة في طريق الحق، تذكر هذه الآية .لا تنشغل بالعدو، بل انشغل بتحقيق شرط النصر .ركز على نصرة دينك، واترك لربك تدبير النصر لك.
· في دائرة "تثبيت الأقدام":
· اسأل نفسك: هل أشتكي من التقلب، من عدم الثبات على العبادة، من سهولة الانجرار وراء الشهوات؟ راجع نصرة دينك .فالله يثبت أقدام من يثبتون دينه.
· التطبيق العملي: في نهاية كل يوم، راجع ثبات قدمك: هل زللت اليوم؟ هل سقطت في معصية؟ إن كان كذلك، فابحث عن الخلل في تحقق شرط النصرة .واجعل دعاءك دائمًا: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

ثالثًا: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1قيمة الشرطية) السببية(: النتائج الكبرى لا تأتي صدفة، بل لها شروطها .النصر العظيم له ثمن عظيم، وهو نصرة دين الله .هذه القيمة تحررك من الأماني الكاذبة، وتدفعك للعمل.
.2قيمة المسؤولية الفردية والجماعية: "إن تنصروا" خطاب للجميع .الأمة كلها مسؤولة عن نصرة دينها، وكل فرد فيها يستطيع أن يقدم شيئًا.
.3قيمة التجرد والإخلاص: النصرة تكون لله، لا لحظ النفس، ولا للعصبية، ولا للقومية ."إن تنصروا الله" تعني كونوا نصرتكم خالصة لله وحده.
.4قيمة الثقة بوعد الله: الآية تزرع في قلبك يقينًا بأن الله لا يخلف الميعاد .إن قمت بالشرط، فأبشر بجوابه.
.5قيمة الجمع بين المادي والمعنوي: المؤمن يخطط ويعد العدة) النصر(، ولكنه يعتمد في النهاية على الله) التثبيت.(
.6قيمة الاستمرارية: "ويثبت أقدامكم" تعني أن النصر ليس محطة، بل طريق طويل .الثبات بعد النصر أصعب وأهم من النصر نفسه.

رابعًا: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا إلى أن نكون فاعلين لا مفعولا ً بهم: أن نصنع النصر بأيدينا، بأن ننصر دين الله، لا أن

ننتظر النصر ينزل علينا من السماء.
· تدعونا لتحويل الإيمان إلى عمل: الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد من ترجمته إلى نصرة عملية للدين في كل مجال.
· تدعونا إلى الثبات في زمن المتغيرات: في عصر تكثر فيه الفتن، ويزلزل فيه الناس، هذه الآية هي مرساة لك .تمسك بنصرة دينك، يثبت الله قدمك.
· تدعونا إلى التفاؤل والأمل: مهما اشتدت الظلمة، ومهما عظمت قوى الباطل، فإن النصر آتٍ لا محالة، متى صدقنا في نصرة دين الله.

خامسًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس السببية: لا نصر بلا ثمن .والثمن هو الجهد المبذول في سبيل الله.
· درس التركيز: إن أردت النصر، ركز على تحقيق شرطه، لا على النصر نفسه .اهتم بنصرة دينك، و النصر سيأتيك تابعًا.
· درس الأمل والرجاء: لا تيأس مهما طال الطريق، فوعد الله حق ."إن تنصروا" فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد .فداوم على النصرة، والنصر آت.
· درس العزة: العزة في أن تكون ناصرًا لله .إنه شرف لا يدانيه شرف .فمن نصر الله، أعزه الله ورفعه.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هيا بنا نستخرج الطاقة الكامنة في هذه المفاهيم لبناء نهضتنا:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) نصرة الله(: تحويله إلى طاقة يعني خلق إنسان إيجابي مبادر، يرى نفسه شريكًا في المشروع الإلهي لإعلاء كلمة الحق .هذا الإنسان لا يكون عبئًا على مجتمعه، بل هو محور ارتكازه . مجتمع يقوم على أفراد هذا همهم هو مجتمع حيوي وفاعل، كل فرد فيه يسأل: ماذا أستطيع أن أقدم لديني وأمتي؟ وليس: ماذا ستقدمان لي؟
.2مفهوم) تحقيق شرط النصر(: يبني هذا المفهوم عقلا ً عمليًا استراتيجيًا، يبحث عن الأسباب ويفعّلها، بدلًا من الاستسلام للأماني .هذا يبني مجتمعًا علميًا منظمًا، يحسن التخطيط، ويعد العدة، ويعمل بجد، ويوقن بالنتيجة.
.3مفهوم) النصر والتمكين(: حين يتحول إلى طاقة، فإنه يبني إنسانًا واثقًا لا يقبل الهزيمة النفسية . وهو يبني أمة ذات إرادة، لا ترضى بالتبعية والذل، لأنها تعرف أن نصر الله مشروط بنصرتها لدينه، وهي قادرة على ذلك.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) النداء الحبيب "يا أيها الذين آمنوا"(: تحويله إلى طاقة يعني أن تشعر بعلاقة حب واتصال مع الله .هذا الشعور هو مصدر القوة النفسية الحقيقي .الإنسان الذي يحس أن الله يناديه هو إنسان لا ينهار، لأنه موصول بالمصدر الأزلي للقوة.
.2مفهوم) تثبيت الأقدام(: تحويله إلى طاقة يبني إنسانًا راسخًا، لا تهزه العواصف ولا تزعزعه الفتن . في زمن القلق الوجودي والهشاشة النفسية، هذه الآية تقدم الحل: اطلب الثبات من مصدره، بالتزام نصرة دين الله .هذا يبني مجتمعًا متماسكًا، أفراده ثابتون على مبادئهم، لا يبيعونها بثمن بخس.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) سنة النصر والهزيمة(: يبني هذا المفهوم عقلا ً يقرأ التاريخ قراءة صحيحة .تعلمنا الآية أن صعود الأمم وسقوطها ليس عشوائيًا، بل له قوانين إلهية .أمة تفهم هذه السنة هي أمة واعية، لا تكرر أخطاء الماضي، وتبني مستقبلها على أساس متين.
.2مفهوم) مركزية الدين في الصراع(: تحويله إلى طاقة يبني حضارة ذات هوية واضحة .إنها حضارة لا تقوم على العنصر أو الدم، بل على الفكرة والعقيدة ."إن تنصروا الله" تعني أن الحضارة التي نريد بناءها هي حضارة تنصر القيم الإلهية: العدل، الرحمة، العلم، الإيمان .هذا يعطي للحضارة روحًا وأخلاقًا

، ويجعلها جديرة بالبقاء.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

انظر -يا رعاك الله- كيف تتكامل هذه المفاهيم:

· البداية تكون بـ نصرة الله) مفهوم عملي (منطلقًا من حب الله والشعور بندائه) مفهوم نفسي.(
· هذه النصرة تؤدي إلى النصر والتمكين) مفهوم عملي (مصحوبًا بـ الثبات والرسوخ النفسي) مفهوم نفسي.(
· هذا كله يبني لنا قوانين وسننًا) مفاهيم فكرية (نؤسس عليها حضارة راسخة لا تنهار بسرعة.

هكذا، تتحول آية واحدة إلى منهج حياة، وإلى مصنع للرجال، وإلى دستور للأمة. إنها تعلمنا أن مستقبل هذه الأمة مرهون بمدى استجابتها لهذا النداء الإلهي: ﴿إِن تنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقدَامَكُمْ﴾.

رسالة ختامية إليك

يا من تنادي باسم الإيمان، ويا من تبحث عن النصر في حياتك، وعلى أعدائك، وعلى نفسك الأمارة بـ السوء، اسمع هذا النداء جيدًا:
إن كنت تريد النصر على الشيطان، فانصر دين الله.
إن كنت تريد النصر على الهوى، فانصر دين الله.
إن كنت تريد النصر على الأعداء، فانصر دين الله.
إن كنت تريد الثبات حتى الممات، فانصر دين الله.

اسأل نفسك كل صباح: "كيف سأنصر الله اليوم؟". واجعل حياتك كلها نصرًا للحق، وإعلاءً لكلمة الله. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

المبحث الثاني

لقد وقفنا معًا في ظلال سورة محمد، سورة التمكين والمواجهة، التي نقلتنا من طور الصبر النفسي إلى طور الحماية الواقعية للحق. لقد رأينا في الآيات السابقة كيف أسست السورة لمعركة الوجود الكبرى: بدأت برسم نموذجي الفريقين (آية 1-2)، وكشفت عن العلة الجذرية لمصيريهما وهي الاتباع (آية 3)، ثم أرست أحكام المواجهة وواعدت الشهداء (آية 4-6)، وختامًا وضعت قانون النصر الإلهي في معادلة واضحة: ﴿إِن تنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقدَامَكُمْ﴾ (آية 7).

والآن، وقد وعد الله عباده المؤمنين بالنصر والتثبيت، يبرز في أذهاننا سؤال منطقي ومشروع: طالما أن النصر آتٍ للمؤمنين، فما هو مصير الطرف الآخر؟ ما هو مصير الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واتبعوا الباطل؟ هل يكون مصيرهم مجرد الهزيمة في الدنيا فحسب؟ أم أن وراء ذلك خسرانًا أعظم؟

ها هي ذي الآيتان الثامنة والتاسعة تأتيان لتجيبانا عن هذا السؤال، وترسمان المشهد الختامي البائس للفريق الآخر، ليس على سبيل التشفي والانتقام، بل على سبيل العدل الإلهي، وتثبيت قلب المؤمن، وتحذير من لا يزال في قلبه مثقال ذرة من خير من أن يسلك درب الهالكين. إنها آيتان تفيضان بـ التصوير الفني البليغ، والمشاهد الحية التي تجعل المصير ماثلا ً أمام عينيك كأنك تراه رأي العين.

التمهيد: موقع الآيتين من السياق العام للسورة

تخيل معي -رعاك الله- أنك تقف في ميدان المعركة، وقد سمعت للتو قانون النصر: ﴿إِن تنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾. قلبك يمتلئ يقينًا، لكن بشرًا، قد يختلج في صدرك سؤال: "يا رب، هؤلاء الأعداء الذين ط الما طغوا وصدوا، هل يفلتون من العقاب؟".

تأتي الآيتان (8-9) لتؤكدا لك أن العدالة الإلهية مطلقة، وأنه كما أن للمؤمنين الناصرين دينهم وعدٌ بـ الهداية والنصر والجنة، فإن للكافرين الصادين عن سبيل الله وعيدًا بالتعاسة والخيبة والهلاك. لقد عرفنا من الآيات الأولى أن أعمالهم قد ضلت، وهنا نرى كيف تضل، وكيف تكون نهايتهم.

إن موقع هاتين الآيتين بعد آية النصر مباشرة له دلالة عظيمة، فهو يبين لك أن النصر الإلهي للمؤمنين لا يعني مجرد انتصار عسكري، بل هو جزء من سنة إلهية شاملة تهلك الباطل وأهله،

وتديلهم كأن لم يكونوا. إنهما تزفان إليك البشرى بأن أعداءك الذين نصرك الله عليهم، ليس لهم أي مستقبل، بل مصيرهم إلى بوار.

تفسير الآيتين (8-9) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9)﴾

المعنى العام للآيتين:

بعد أن وعد الله المؤمنين بالنصر والتثبيت، يأتي هنا ليعلن المصير المضاد لأولئك الكافرين الذين يواجهونهم. يبتدرهم بالدعاء بالتعاسة والخيبة والهلاك (فتعسًا لهم)، ويعيد التأكيد على المآل الذي ذكره في أول السورة وهو إضلال الأعمال (وأضل أعمالهم). ثم في الآية التالية، يعود ليكشف عن العلة الجذرية لهذا المصير البئيس، وهي أن هؤلاء كرهوا ما أنزل الله من الحق والهدى، فكان الجزاء الطبيعي أن يحبط الله أعمالهم ويجعلها باطلة لا خير فيها.

مقاصد وأهداف الآيتين:

1. تثبيت المؤمنين وتطييب خواطرهم بإعلان الهلاك المحتوم لأعدائهم، فلا يحزنوا على ما يصيبهم، و لا يشفقوا عليهم.
2. إعلان سنة إلهية مطلقة، وهي أن كراهية شرع الله وما أنزله يفضي حتمًا إلى إحباط جميع الأ عمال، فلا تنفع معها أي جهود أو إنجازات.
3. توجيه ضربة نفسية معنوية للكافرين، ببيان أنهم في مسيرهم التعيس، وأن ما يبنونه هو بناء على شفا جرف هار.
4. ترسيخ حقيقة أن أساس قبول الأعمال وبركتها هو محبة ما أنزل الله، لا مجرد أدائها في ظاهرها.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الثامنة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(8) ﴾

المحور الأول: دلالة صيغة "فتعسًا لهم" – الدعاء بالهلاك والخيبة

1. "تعسًا" لغة ومعنى

انظر إلى روعة التعبير القرآني ودقته المذهلة! كلمة "تعسًا" في اللغة العربية أصلها يدل على العثار و السقوط والانحطاط والهلاك. تقول العرب: "تعِسَ فلانٌ" أي سقط على وجهه وانكبّ وهلك. و"التعس" هو ضد السعادة والنجاح والفلاح.

فمعنى الدعاء بـ "فتعسًا لهم" أي: فخيبة وهلاكًا وسقوطًا وانحطاطًا لهم! إنه دعاء جامع لكل معاني الفشل والخسران والبوار في الدنيا والآخرة.

2. دلالة صيغة المصدر "تعسًا"

جاءت الكلمة على صيغة المصدر "تعسًا" وهي صيغة تفيد الدوام واللزوم والاستمرار. فكأنه يقول: ليس لهم هلاك عابر، بل لهم تعسٌ مستمر، وسقوط دائم، وخسران مقيم. إنه حال ملازم لهم أينما كانوا.

3. الفاء في "فَتَعْسًا" ودلالتها على السببية والاستحقاق

الفاء هنا هي فاء السببية (أو الفاء العاطفة مع إفادة الترتيب والتعقيب). كأنه يقول: "لأنهم كفروا، استحقوا هذا المصير البئيس فورًا". إنها تشير إلى أن التعاسة والخيبة هي النتيجة الحتمية المباشرة المترتبة على الكفر.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: يشعر المؤمن وهو يسمع هذا الدعاء على عدوه بالراحة والطمأنينة .إن الله لم يترك أعداءه، بل توعّدهم وتوعدهم، وتولى هو -سبحانه- الدعاء عليهم بالهلاك .هذا يبرد غليل صدرك، ويجعلك لا تشغل بالك بالأخذ بالثأر، بل تكل الأمر إلى الله.
· تربويًا: تربي فيك الآية كراهية الكفر وأهله، وتعلمك أن العاقبة السيئة لهم، فلا تغتر ببهرجتهم وما هم فيه من قوة ظاهرية.

المحور الثاني: "وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ" – إعادة التأكيد على المصير

.1دلالة التكرار والتأكيد

لاحظ -يا رعاك الله- أن هذا المصير (إضلال الأعمال) قد ورد في الآية الأولى من السورة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. والآن يتكرر هنا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

لماذا هذا التكرار؟

· لتقرير الحكم وتأكيده: إن إضلال أعمال الكافرين ليس حدثًا عابرًا، بل هو حكم إلهي ثابت لا يتخلف.
· لربط أجزاء السورة: إن السورة كلها وحدة موضوعية متماسكة .ما بدأته الآية الأولى تؤكد عليه الآ ية الثامنة، ويجيء بعد كل تكرار مزيد من البيان والتعليل) كما سنرى في الآية التاسعة.(
· لتثبيت المؤمن: التكرار يرسخ المعنى في القلب، ويجعلك لا تشك لحظة في أن كل ما يبنيه أهل الباطل سينهار.

.2إضلال الأعمال – صورة بليغة للخسران

إضلال الأعمال يعني: إضاعتها، وجعلها تائهة لا يجد صاحبها أثرها، وإبطال كل جهد بذله. تخيل إنسانًا أفنى عمره يكد ويكدح، يجمع المال، يبني السمعة، يسعى في الأرض، ثم في لحظة يكتشف أن لا شيء في يديه، كل ما عمله تبخر كالسراب، أو كالرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. هذا هو ح ال الكافر يوم القيامة، وهذا هو معنى أن يضل الله أعماله.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: تعلمنا هذه الآية ألا نركن إلى أعمالنا الظاهرة، بل أن نراجع نياتنا باستمرار .فالعمل الذي لا يكون لله، وإن بدا عظيمًا، مصيره الضياع.
· نفسيًا: تزرع في نفسك اليقين بأن الباطل لا بقاء له، وأن جهد أهله مهما عظم فهو زائل.

ثانيًا: التحليل التفصيلي للآية التاسعة

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(9) ﴾

هنا تأتينا العلة الكبرى، والجذر العميق الذي يفسر كل هذا المصير البئيس.

المحور الأول: "ذَٰلِكَ" – الإشارة إلى المصير البئيس

اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعود على ما ورد في الآية السابقة: التعاسة والخيبة وإضلال الأعمال. كل ذلك البؤس، ما سببه؟ إنه ليس أمرًا عشوائيًا، ولا ظلمًا من الله، بل ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾. إنها السببية الإلهية العادلة: أنت تزرع الكراهية لوحي الله، فتحصد إحباط العمل والخيبة والتعاسة.

المحور الثاني: "بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ" – كراهية الحق

.1ما هو "ما أنزل الله"؟

"ما أنزل الله" هو أعم وأشمل ما يكون .إنه يشمل:

· القرآن الكريم: كلام الله المنزل على محمد ﷺ.
· السنة النبوية: فهي وحي من عند الله.

· شرع الله وأحكامه: من صلاة، وصيام، وزكاة، وحجاب، وجهاد، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وكل ما أحله الله وحرمه.
· العقائد الإيمانية: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

فالذي يكره شيئًا من هذا فقد كره ما أنزل الله.

.2الفرق بين "عدم الإيمان" و "الكراهية"

هنا يتجلى عمق الوصف. لم يقل الله: "ذلك بأنهم لم يؤمنوا بما أنزل الله"، بل قال: ﴿كرِهُوا﴾. لماذا؟

· لأن الكراهية أشد من مجرد الترك أو الجهل .إنها موقف نفسي وعاطفي، شعور بالنفور والبغض والا شمئزاز.
· الكراهية تولد المقاومة والصد .الذي يكره شيئًا لا يكتفي بعدم الإيمان به، بل يسعى لمحوه ومنع الآ خرين عنه .وهذا هو حال الكفار الصادين.
· الكراهية دليل على خبث الباطن .ففي القلب مرض، وهذا المرض هو الذي يحول دون قبول الحق، بل يجعله مكروهًا بغيضًا إلى النفس.

إن وصفهم بأنهم "كرهوا" ما أنزل الله يفسر كل شيء. هم لم يقفوا موقفًا محايدًا، بل أعلنوا الحرب على الحق وكرهوه بقلوبهم. فكان الجزاء من جنس العمل: كما كرهوا ما أنزله الله، أحبط الله ما عملوا وأضله.

.3دلالة "أنزل الله" – تذكير بالمصدر الإلهي

والوصف بأنه ﴿مَا أنزَلَ اللهُ﴾ يفيد تعظيم شأنه، وأن الذي كرهوه ليس كلام بشر، بل هو تنزيل من حكيم حميد. فكراهيتهم هي في حقيقتها كراهية لله ومن عند الله، وليس مجرد خلاف فكري.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· فكريًا: تعلمنا هذه الآية أن أساس قبول الأعمال ليس كمّها، بل موقف القلب من وحي الله .محبة الوحي هي التي تعطي للأعمال روحها وبركتها.
· نفسيًا: تدعونا إلى أن نبحث في قلوبنا: هل في قلبي مثقال ذرة من كراهية لحكم من أحكام الله؟ إن كان كذلك، فهذا نذير خطر .يجب أن أجاهد نفسي لأحب كل ما أنزل الله.
· تربويًا: تعلمنا كيف نتعامل مع الشبهات: ليس بالمنطق فحسب، بل بتطهير القلب من كراهية الحق، وحبب إليه الإيمان.
· عمليًا: على الدعاة ألا يصطدموا بالناس فقط لعدم التزامهم، بل أن يبحثوا عن جذور المشكلة: هل هناك كراهية للوحي في قلوبهم؟ يجب أن يعملوا على تأليف القلوب لما أنزل الله، وتحبيب الشريعة إليهم، قبل أن يطالبوهم بالعمل.

المحور الثالث: "فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" – نتيجة الكراهية المباشرة

.1الفرق بين "أضل" و "أحبط"

لاحظ الانتقال من ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ في الآية الثامنة إلى ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ في الآية التاسعة. هناك فرق دقيق بين اللفظين:

· أضل: جعلها ضالة تائهة لا ثواب لها ولا أثر.
· أحبط: بطلها وأفسدها وجعلها هباءً، ومنع وصول أثرها وثوابها.

استخدام ﴿أَحْبَطَ﴾ هنا قوي جدًا، فالحبوط يعني البطلان والفساد والذهاب سدى. إنه يصور مشهد العمل وكأنه جثة سقطت، أو بناء انهار.

.2الفاء في "فَأَحْبَطَ" دلالة التعقيب والسببية المباشرة

الفاء هنا للتعقيب. فمجرد كراهيتهم لما أنزله الله، كان النتيجة المباشرة المترتبة عليها هي حبوط أعمالهم وبطلانها. لا فاصل زمنيًا. السبب والنتيجة متلازمان.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: هذا تحذير رهيب .ألا يكفي أن العمل يضيع، بل إنه يحبط ويفسد .فلا يغرتك كثرة أعمال أهل الباطل، فهي محبطة بحكم الله.
· نفسيًا: يبعث في نفس المؤمن رهبة وخوفًا من أن يصيبه شيء من هذا .فيدعو الله دائمًا أن يجنبه كراهية شيء من دينه.

ثالثًا: كيف تكون قراءة الآيتين قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية تعني أن أسأل نفسي بصدق، وأن أفعل ما يلي:

· في دائرة "التعس":
· محاسبة النفس: أسأل نفسي: أين أنا من التعس؟ هل أنا في طريق الفلاح أم في طريق التعس؟ التعس ليس فقط للكفار، بل قد يصيب المسلم في جوانب من حياته إذا كره شيئًا مما أنزل الله.
· التطبيق العملي: عندما أرى أهل الباطل ينتشرون ويعلون، أتذكر هذه الآية .أتذكر أنهم في تعس وخيبة، حتى وإن بدا لي العكس .هذا يحميني من الانهزام النفسي، ويجعلني أنظر إلى ما هم فيه من قوة على أنها سراب زائل.
· في دائرة "كراهية ما أنزل الله":
· محاسبة النفس: هذا هو لب الموضوع .أسأل نفسي بصراحة: هل أكره شيئًا من شرع الله؟ هل أجد في نفسي ضيقًا بحكم من أحكام الدين؟) مثلا ً: أحكام الميراث، أحكام الحجاب، أحكام المعاملا ت المالية، عقوبة بعض الجرائم .(إن وجدت في نفسي شيئًا من ذلك، فأنا في خطر عظيم .يجب أن أعالج هذا بالعلم والدعاء ومجاهدة النفس.
· التطبيق العملي: أتعهد قلبي بأن أربيه على محبة كل ما أنزله الله .أقول بلساني وقلبي: "رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولا ً" .أقرأ في حكم التشريع، وأسباب الأحكام، لتقتنع نفسي وتعظم محبتها لدين الله.

رابعًا: أهم الدروس والمفاهيم وتحويلها إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

لنستخرج معًا الطاقة البنائية الهائلة من هذه الآيات؛ إنها ليست مجرد آيات وعيد، بل هي منهج حياة.

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) أهمية الدافع القلبي "الكراهية/المحبة"(: يبني هذا المفهوم إنسانًا صادقًا مع نفسه، يعلم أن قيمة العمل ليست في صورته الخارجية، بل في الدافع القلبي الكامن وراءه .هذا يبني مجتمعًا نبيلا ً، لا يخدع بالمظاهر، بل يزن الأعمال بميزان النوايا والمشاعر القلبية تجاه الحق .في هذا المجتمع، الفساد يُقتلع من جذوره لأن الناس لا تكتفي بمحاربة الأعراض، بل تحارب الدوافع.
.2مفهوم) إحباط أعمال الكارهين للحق(: تحويله إلى طاقة يعني بناء إنسان صاحب رسالة، لا يخاف من قوة الباطل المادية .فهو يعلم أن أي حضارة لا تقوم على محبة الحق الذي أنزله الله هي حضارة إلى زوال، وكل إنجازاتها محبطة .هذا يحرر طاقة المؤمن للعمل والإبداع، لأنه لا ينظر إلى الباطل على أنه منافس حقيقي، بل هو مجرد فقاعة على وشك الانفجار.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) التعاسة الملازمة للكفر(: "فتعسًا لهم" .تحويل هذا المفهوم إلى طاقة نفسية يعني التحرر تمامًا من الحسد لأهل الباطل .أنت تنظر إليهم في قصورهم وسياراتهم ومناصبهم، فتقول: "هذا كله ظاهره جميل، ولكن باطنه تعس وخيبة، لأنهم لا يحملون الإيمان" .هذا المفهوم يمنح المؤمن قناعة ورضا لا يوصفان، ويجعله أغنى الأغنياء.
.2مفهوم) السببية العادلة "ذلك بأنهم كرهوا"(: يبني هذا إنسانًا مطمئنًا لعدالة الله .فهو يرى أن ما يصيب أهل الباطل ليس عشوائيًا، بل هو نتيجة حتمية لموقف قلبي .هذا يمنح القلب سكينة، ويُذهب عنه وساوس الشك في عدالة القدر.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) مركزية الوحي في الحضارة(: يبني هذا المفهوم عقلا ً حضاريًا متميزًا .إنه يضع الأساس الذي تقوم عليه الحضارة: محبة ما أنزل الله .أمة تقوم حضارتها على كراهية الوحي هي أمة محكوم عليها بالفناء، وأعمالها محبطة مهما بلغت من التقدم المادي .أما الأمة التي تحب وحي ربها، فإن أعمالها مباركة، وتقدمها حقيقي ومستدام.
.2مفهوم) تحويل الكراهية إلى محبة(: هذا هو المشروع الفكري والتربوي الأكبر .كيف نبني حضارة؟ بأن نحول في نفوس الناس كراهية الجهل والظلم والفساد إلى محبة، وكراهية الوحي إلى محبة .هذا هو الجهاد الفكري الحقيقي.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

تأمل كيف تتكامل هذه المفاهيم لتشكل معًا خطة عمل متكاملة:

· البداية هي تشخيص الداء: وهو كراهية ما أنزل الله) مفهوم فكري.(
· العلاج هو العمل على غرس محبة الوحي في القلوب، عبر التربية والتعليم) مفهوم تربوي.(
· النتيجة الحتمية لنجاح هذا العلاج هي بركة الأعمال ونموها، وبناء حضارة مباركة) مفهوم حضاري.(
· في المقابل، من يصر على الكراهية، فله التعاسة الدائمة وإحباط الأعمال) مفاهيم عملية ونفسية.(
· ووظيفة المؤمن في هذا كله أنه يعيش مطمئنًا) مفهوم نفسي(، فاعلا ً) مفهوم عملي(، صاحب رؤية) مفهوم فكري.(

هكذا تنهض الأمة من جديد، لا بكثرة الأموال ولا بسعة الأراضي، بل بـ محبة ما أنزل الله في قلوب أبنائها. تلك المحبة التي تجعلهم يضحون من أجله، ويعملون بوحيه، فيبارك الله في أعمالهم، ويفتح عليهم بركات السماء والأرض.

المبحث الثالث

لقد وقفنا في الآيات السابقة على بناء متكامل: فبعد أن بين الله -عز وجل- مصير الفريقين (1-2)، وكشف عن علته (3)، ورسم للمؤمنين أحكام المواجهة (4)، ووعد الشهداء بالجنة (5-6)، ووضع قانون النصر الإلهي (7)، ثم أردف بإعلان مصير الكفار البئيس وإحباط أعمالهم بسبب كراهيتهم لما أنزل الله (8-9).

والآن، يأتي سؤال قد يثيره الكافر في نفسه، أو قد يثيره الشيطان في قلب المؤمن: ألا يرى هؤلاء الكافرون إلى ما هم فيه من قوة وتمكين في الأرض؟ كيف تقولون إن أعمالهم محبطة وإنهم في تعس، ونحن نراهم يصولون ويجولون؟ ألم يكونوا هم الأقوى والأكثر؟

تأتي الآيتان (10-11) لتجيبا على هذا السؤال، وتنقلا المعركة من مجرد مواجهة عسكرية إلى صراع فكري ونفسي، داعية الكافرين للنظر في سنن التاريخ، ومؤكدة للمؤمنين أن ولاية الله ونصره لأوليائه حقيقة ثابتة لا تتغير، لا ترتبط بظواهر القوة المادية. إنهما بمثابة درس في قراءة التاريخ وفلسفة القوة، تزرع في قلب المؤمن الطمأنينة، وفي عقل الكافر - لو كان يعقل - الرعب واليقين بمصيره المحتوم.

التمهيد: موقع الآيتين من السياق العام للسورة

تخيل معي -يا رعاك الله- أن المعركة التي خضناها في الآيات الماضية قد هدأت قليلا ً. لقد عرفت عدوك، وعرفت نفسك، وقاتلت، ووعدت بالنصر. ثم يأتيك قائدك ومعلمك ﷺ بالوحي، فيأخذ بيدك ليجلس معك على ربوة عالية، ويقول لك: "انظر! أترى هؤلاء الأعداء الذين يحاربونك؟ أترى قوتهم وبأسهم؟ تعال لأريك حقيقة ما هم فيه. تعال لأريك كيف عامل الله أمثالهم من قبل. تعال لتتعلم كيف تقرأ التاريخ، وكيف تفهم طبيعة الصراع، لتطمئن وتزداد يقينًا، وتعلم أن العاقبة للمتقين".

هذا هو بالضبط موقع هاتين الآيتين. إنهما استراحة تأمل، ونظرة متأنية في سنن الله في الأرض. إنهما تنقلان الصراع من مستوى السيف والسنان إلى مستوى الفكر والبرهان، ليكتمل بناء المجاهد. فـ المجاهد ليس فقط قوي البدن، بل هو قبل ذلك قوي العقل، بصير بالتاريخ، واعٍ بسنن الله في الكون.

تفسير الآيتين (10-11) من سورة محمد

قال تعالى:

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (11)}

المعنى العام للآيتين:

بعد أن توعد الله الكافرين بالتعاسة وإضلال وإحباط أعمالهم، يأتي هنا ليقيم عليهم الحجة، ويدعوهم -والسورة سورة مواجهة- إلى دليل حسي واقعي على صدق وعيده. يقول لهم: ألم يتحركوا بأجسادهم وعقولهم في الأرض، فيشاهدوا آثار الأمم المكذبة من قبلهم، ويعاينوا كيف أن الله دمر عليهم ديارهم وأهلكهم بسبب كفرهم؟ وإن لهؤلاء الكافرين المعاصرين للنبي ﷺ أمثال تلك العواقب الوخيمة. ثم يختم السياق ببيان العلة الكبرى والضمانة العظمى: ذلك النصر للمؤمنين والتدمير للكافرين سببه أن الله هو ولي المؤمنين وناصرهم ومولاهم، وأن الكافرين لا يجدون لهم أي ولي أو نصير يدفع عنهم بأس الله.

مقاصد وأهداف الآيتين:

1. دعوة الكافرين إلى إعمال العقل والنظر في سنن الله في التاريخ، لعلهم يرجعون عن كفرهم قبل فوات الأوان.
2. تثبيت المؤمنين، بأن هلاك الظالمين ليس مجرد نصوص وعيد، بل هو واقع تاريخي مشهود، وسنة ماضية.
3. تقرير سنة إلهية ثابتة، وهي أن ولاية الله للمؤمنين هي سبب النجاة والتمكين، وأن فقدان الكافرين لهذه الولاية هو سبب الهلاك والدمار.
4. تحويل الصراع من منظور القوة المادية إلى منظور القوة الإيمانية، فالنصر ليس بالأبدان والأموال فقط، بل بالولاية الإلهية.
5. تربية العقل المسلم على قراءة التاريخ، والسير في الأرض لا للتفرج، بل لأخذ العبرة والعظة.

أولاً: التحليل التفصيلي للآية العاشرة

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}

المحور الأول: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ" – دعوة إلى السياحة الإيمانية الواعية

1. دلالة الاستفهام في "أفلم"

تبدأ الآية بهمزة الاستفهام: أَفَلَمْ. وهذا الاستفهام ليس استفهامًا حقيقيًا عن حقيقة سيرهم، بل هو استفهام توبيخي إنكاري. كأنه يقول لهم: ألم تسيروا؟ كيف لم تسيروا؟! أكان يجب أن تبلغكم هذه الحجة وأنتم قاعدون في بيوتكم؟! إنه توبيخ للغافلين، وتقريع للجاهدين عن الحق.
ثم تدخل الفاء لتربط هذا التوبيخ بما قبله: "أبعد كل ما سمعتم من آيات الوعيد والوعد، لم يبق لكم عذر، فلماذا لم تسيروا؟!".

2. "يسيروا" – ليس مجرد سير بالأقدام

السير في الأرض هنا ليس مجرد الانتقال الجسدي من مكان إلى مكان. إنه سير شامل:

- سير بالأبدان: أي السفر الحقيقي، وزيارة آثار الأمم السابقة، كمساكن ثمود وديار عاد وقصور فرعون. إنه دعوة إلى سياحة حقيقية ولكن بعين واعية.
- سير بالعقول والقلوب: وهو الأهم. فليس كل من سافر رأى. وليس كل من رأى اعتبر. السير المطلوب هو السير الذي يعقبه نظر وتدبر واعتبار. إنه دعوة إلى التأمل التاريخي، وإلى جعل التاريخ كتابًا مفتوحًا للعظة.

3. "في الأرض" – سعة المنهج

لفظ الأَرْضِ عام يشمل كل بقعة من بقاع الدنيا، فيها أثر لهالكين. إنها دعوة مفتوحة لا تقتصر على جزيرة العرب، بل تمتد لتشمل كل آثار الغابرين في كل مكان. وهذا يعطينا درسًا بأن قراءة التاريخ

ليست قاصرة على المسلمين، بل هي دعوة عالمية لإدراك السنن.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· تربويًا: تعلمنا الآية منهجًا تربويًا عظيمًا في التعامل مع الخصوم. بدلًا من الاكتفاء بالوعظ المباشر، ندعوهم إلى رحلة فكرية وتاريخية يتوصلون فيها بأنفسهم إلى الحقيقة. هذا أدعى للإقناع.
· عمليًا: تفتح الآية لنا باب "السياحة الإيمانية". لا تسافر لتلهو فقط، بل سافر لتعتبر. زُر الآثار، واقرأ تاريخ الأمم، وابحث عن أسباب هلاكها، لتجتنبها.
· نفسيًا: هذا التوجيه يخرج المؤمن من الأفق الضيق إلى أفق أرحب. مشاكلك الصغيرة قد تهون عندما تنظر إلى مصارع الأمم.

المحور الثاني: "فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" – غاية السير هي الاعتبار

.1الفرق بين "ينظروا" و "يروا"

لم يقل "فيروا"، بل قال: فَيَنظُرُوا. "النظر" هنا هو النظر بالبصيرة، وليس مجرد الإبصار بالعين. إنه التأمل العميق، والتفكر المفضي إلى العلم بالشيء. أنت تنظر لتعرف "كيف" حدث ذلك، وما هي أسبابه، وما هي نتائجه. إنها نظرة بحث وتحليل، لا نظرة عبور وسياحة.

.2"كيف كان عاقبة" – سؤال عن الكيفية والسنن

السؤال عن "الكيفية" هو سؤال عن المنهج الإلهي في إهلاك الأمم. كيف حدث ذلك؟ ما الذي فعلوه حتى استحقوا تلك العاقبة؟ إنه سؤال يجعلك تبحث عن السنن، لا عن مجرد القصص.

درس عظيم: العاقبة هنا تشمل الدمار المادي (الخسف، الغرق، الريح...) والأهم من ذلك، الخسارة المعنوية والدينية، أي سوء العاقبة في الآخرة. وهذا يعلمنا أن ننظر إلى العواقب، لا إلى البدايات. كم من أمة بدأت قوية، وانتهت إلى لا شيء! فانظر إلى النهايات لتزن بها البدايات.

المحور الثالث: "دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" – صورة التدمير الشامل

.1دلالة لفظ "دمّر"

التدمير هو الإهلاك الشامل الذي لا يبقي ولا يذر. إنه أبلغ من مجرد الإهلاك. فالتدمير يوحي بـ التحطيم والهدم والخراب، جاعلًا ما كان قائمًا أثرًا بعد عين.

.2دلالة التعبير بـ"عليهم"

لاحظ دقة التعبير: دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. لم يقل "دمرهم". فعندما تدمر "على" شخص، فأنت تدمر ما حوله، وما يحتويه، وما يعتصم به، فيصبح التدمير واقعًا عليه محيطًا به من كل جانب. إنه دمار مع تضييق وإطباق. لقد دمر الله عليهم ديارهم، فسقطت عليهم سقفها. دمر عليهم حضارتهم، فاندثرت. دمر عليهم أسباب قوتهم، فانقلبت وبالا ً عليهم. إنها صورة بليغة للهلاك المطبق المحكم.

المحور الرابع: "وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا" – وعد ماضٍ ووعيد آتٍ

.1خطورة الإطلاق في "وللكافرين"

هذا هو الشق الأهم في الآية. بعد أن ساق الدليل التاريخي، يطبقه على الواقع مباشرة. وَلِلْكَافِرِينَ المعاصرين لك يا محمد، والمكذبين لك إلى يوم القيامة، أَمْثَالُهَا. أي أمثال تلك العاقبة المدمرة. هذا الكلام موجه:

· للكافرين: إنذار وتهديد بأن ما حل بالأمم السابقة سينزل بكم، فلا تغتروا بإمهال الله لكم.
· للمؤمنين: بشارى وتثبيت، بأن سنة الله جارية، وسينزل بأعدائكم ما أنزله بأعداء الرسل من قبل.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: في قلب المؤمن، تسكب هذه الآية طمأنينة لا توصف. أنت لست مضطهدًا في عالم بلا

قانون، بل هناك سنة إلهية عادلة. ما تمر به الأمة ليس بدعًا، بل هو طريق مسلوك، وله نهاية معروفة.
· فكريًا: تعلم الآية أن التاريخ يعيد نفسه. من لم يقرأ التاريخ ويستفد منه، محكوم عليه أن يعيش أخطاءه ويدفع ثمنها. وهذا يبني عقلا ً استراتيجيًا قادرًا على التنبؤ بالمستقبل بناءً على فهم السنن.
· عمليًا: تحذر الآية المسلمين من سلوك طريق الكافرين، فمن فعل فعلهم ناله ما نالهم. فليس مجرد اسم الإسلام ينجيك إن كنت تعمل عملهم.

ثانيًا: التحليل التفصيلي للآية الحادية عشرة

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾

هنا الجوهر! هنا علة العلل، وسر النصر والهزيمة، والفلاح والخسران.

المحور الأول: "ذَٰلِكَ" – الإشارة الجامعة

اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعود على كل ما سبق:

· التدمير الواقع على الكافرين السابقين.
· الأمثال التي تنتظر الكافرين اللاحقين.
· إضلال الأعمال وإحباطها.
· التعاسة التي تلازمهم.

كل ذلك البأس، وكل ذلك النصر للمؤمنين، سببه وعلته ما يأتي بعد اسم الإشارة.

المحور الثاني: "بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا" – ضمانة المؤمنين

.1من هو "المولى"؟

كلمة مَوْلَى من أروع الكلمات القرآنية وأكثرها ثراءً. إنها تحمل في طياتها معاني:

· الناصر: الذي ينصرك ولا يخذلك.
· المحب: الذي يتولاك برحمته وعنايته.
· الحليف: الذي يقف في صفك.
· الصاحب: الذي لا يتركك وحيدًا.
· السيد والمالك: الذي له عليك حق، ولكن له أيضًا أن يدافع عنك لأنه مولاك.
· المتولي للأمور: الذي يدبر شأنك ويرعاك.

فالله -عز وجل- هو كل هذا للمؤمنين. إنها ولاية شاملة، تشمل الحب والنصرة والرعاية والتدبير.

.2لماذا كانت هذه الولاية للذين آمنوا خاصة؟

لأنهم آمنوا به، واستجابوا له، ونصروا دينه (كما جاء في الآية السابعة). عندما تكون في صف الله، يكون الله في صفك. إنها معادلة بسيطة، ولكنها عميقة الأثر. الله وليك لأنك توليته، وناصرك لأنك نصرته، وأحبك لأنك آمنت به. هذه الآية تفسر كل تاريخ الصراع. المؤمنون كانوا أقل عددًا وعدة، ولكنهم كانوا موصولين بمصدر القوة الحقيقي، فانتصروا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: ما أعظمها من طمأنينة! أن يكون الله مولاك! معه لا تخاف، وبه لا تستوحش، وفي جواره لا تضام. هذا الشعور وحده هو الكنز الذي يمشي به المؤمن على الأرض.
· عمليًا: كيف أحصل على هذه الولاية؟ بالإيمان الحقيقي. يجب أن أراجع إيماني، فأقويه، وأثبته، لأن ولاية الله ومقدارها في حياتي ترتبط بمقدار إيماني.

المحور الثالث: "وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ" – حسرة الكافرين

.1المقابلة العظمى

انظر إلى المقابلة بين الشطرين: ﴿اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في مقابل ﴿الكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

· المؤمنون: لهم مولى واحد، لكنه هو الله القوي العزيز.
· الكافرون: لا مولى لهم مطلقًا. لا إلههم الباطل ينفعهم، ولا شركاؤهم المزعومون يغيثونهم، ولا قادتهم ولا أموالهم ولا جيوشهم تدفع عنهم. إنهم متروكون، أذلاء، لا ناصر لهم ولا معين.

.2دلالة نفي المولى عنهم

لم يقل "وأن الكافرين أولياؤهم الطواغيت"، بل قال: لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ. نفى عنهم أي مولى على الإطلاق، ليبين حقيقة عريهم المطلق وخذلانهم التام. إنها صورة أشد في البؤس. حتى لو ظنوا أن لهم أولياء، فهم في الحقيقة أعداء لهم. أما المؤمنون فمولاهم هو الله الحق، ومولاهم معهم وبهم وعليهم بالخير.

العلة الكبرى مكتملة: الآن فهمت لماذا دمر الله على الكافرين، ولماذا أضل أعمالهم، ولماذا هم في تعس. لأنهم انقطعوا عن المصدر الوحيد للقوة والحماية، إنهم بلا مولى. والمؤمنون ٹصروا وأفلحوا لأ نهم اتصلوا بهذا المصدر، فصار الله مولاهم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا وعمليًا: تملأ الآية قلب المؤمن عزة، فلا يذل ولا يخاف. أنا في ولاية الله، فمن عليّ؟ وأنا معي الله، فمن يغلبني؟ هذا الشعور هو الذي يصنع الإباء والكرامة في شخصية المسلم.
· فكريًا: تفسر الآية ظاهرة "القوة المادية الزائفة". قد ترى الكافر في قوة ومنعة، لكنه من الداخل فارغ، "لا مولى له". قوته مستعارة، ومصيرها إلى زوال. فلا تغتر بها.
· تربويًا: أن تربي أبناءك على أن قيمتهم ليست بما يملكون، بل بمن هم في ولايته. "اللهم أنت مولانا، فانصرنا". هذه التربية تبني إنسانًا قويًا بنفسه، لا يلهث وراء القوة المادية الزائفة.

ثالثًا: كيف تكون قراءة الآيتين قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية تعني أن أسأل نفسي بصدق، وأن أفعل ما يلي:

· في دائرة "السير في الأرض والنظر":
· محاسبة النفس: متى آخر مرة سافرت فيها سفرًا للاعتبار؟ متى قرأت تاريخ أمة من الأمم بتدبر وبحث عن سنن الله في هلاكها؟
· التطبيق العملي: اجعل لك برنامجًا في قراءة التاريخ وفي السياحة. لا تمر على خبر أو قصة في القرآن دون أن تقف لتسأل: لماذا حدث هذا؟ وما الذي يجب أن أتعلمه؟ اقرأ في تفسير الآيات التي تذكر قصص الأمم. وإذا سافرت إلى بلد، فابحث في تاريخه لتعتبر.
· التطبيق العملي الدائم: "أفلم يسيروا في الأرض" دعوة مستمرة لتكون متأملا ً. في كل ما تراه من أحداث يومك، من صعود أنظمة وسقوط أخرى، من غنى فاحش وفقر مدقع، تأمل وابحث عن السنن الإلهية.
· في دائرة "وللكافرين أمثالها":
· التطبيق العملي: عندما ترى ظلمًا في الأرض، لا تيأس. تذكر أن هذه سنة. ما حدث لفرعون سيحدث لكل فرعون. هذا يمنحك صبرًا استراتيجيًا، ويمنعك من الاستعجال.
· في دائرة "الله مولى الذين آمنوا":
· محاسبة النفس: هل أشعر في أعماقي أن الله مولاي؟ هل أعيش بهذا الشعور؟ هل أثق بولايته ثقة مطلقة؟ أم أنني في الشدائد أبحث عن مولى غيره؟ هل أتسخط عندما يبتليني، وأنا أعلم أن البـ لاء من مولاي الحكيم؟
· التطبيق العملي: جدد إيمانك بولاية الله كل صباح. قل: "حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم". إذا نزلت بك نازلة، فاستحضر هذه الآية، واعلم أن لك ناصرًا لن يخذلك.
· التطبيق العملي: راجع علاقتك بالله. هل تستحق أن يكون الله مولاك؟ "الله مولى الذين آمنوا" فقوّ إيمانك، تزداد ولايته لك.

رابعًا: أهم القيم للآيتين في حياتنا العملية

.1قيمة قراءة التاريخ وفقه السنن: الحياة ليست مجموعة أحداث عشوائية، بل تسير بقوانين إلهية . من يفقه هذه القوانين يفز، ومن يجهلها يخسر.
.2قيمة) العبرة بالعاقبة(: لا تغتر بالمقدمات والبهرجات، بل انظر إلى النهايات .هذه القيمة تجعلك تبني حياتك على أسس صحيحة، تضمن لك حسن العاقبة.
.3قيمة) الولاية الإلهية(: أعظم رأس مال تملكه هو أن يكون الله مولاك .هذه القيمة تجعلك تستثمر كل طاقاتك في الحفاظ على هذه الولاية وتعزيزها.
.4قيمة) العزة بالله(: لا تبحث عن عزة في مال أو جاه أو سلطة .العزة كل العزة في ولاية الله . هذه القيمة تحررك من الذل للبشر.
.5قيمة) التفاؤل والأمل(: مهما اشتدت الظلمة، فإن العاقبة للمؤمنين، لأن الله مولاهم .هذه القيمة تمنحك طاقة إيجابية للعمل والتضحية.
.6قيمة) التفكير الناقد(: "أفلم يسيروا في الأرض" هي دعوة لاستعمال العقل، وعدم التسليم للموروثات والأفكار السائدة دون تمحيص.

خامسًا: ما الذي تدعونا إليه الآيتان وما نتعلمه منهما في حياتنا العملية

· تدعونا الآيتان إلى أن نكون أمة قارئة للتاريخ، ليس للتفاخر بالأمجاد، بل لاستخراج القوانين التي تحكم صعود الأمم وسقوطها، وتطبيقها على واقعنا.
· تدعونا إلى السياحة الإيمانية الواعية، فلا يكون سفرنا للهو والترف فقط، بل لرؤية آثار الأمم والا عتبار بها، وتذكر الآخرة.
· تدعونا إلى الثبات واليقين بأن العاقبة للمتقين، مهما طال ليل الظلم.
· تدعونا إلى أن نجعل من أنفسنا ومن أمتنا أهلا ً لولاية الله. وذلك بالرجوع إلى الإيمان الحقيقي، وتحويله إلى واقع عملي في حياتنا. فلا ولاية بلا إيمان.
· تعلمنا أن قوة الكافر المادية وهمية ومؤقتة، لأنه بلا مولى، وأن قوة المؤمن المعنوية هائلة ودائمة، لأنها مستمدة من الله.
· تعلمنا أن نعيد تعريف القوة. القوة الحقيقية ليست في كثرة السلاح والمال، بل في قوة الإيمان وو لاية الله. بهذا المفهوم، يمكن لأمة قليلة العدد والعدة أن تنتصر، كما حدث في غزوة بدر وغيرها.
· تعلمنا أن لا نيأس من رحمة الله، وأن نوقن بأن سنته في نصر عباده المؤمنين ماضية لا تتخلف.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هيا بنا نستخرج الطاقة الكامنة في هذه المفاهيم لبناء نهضتنا:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) السير في الأرض والنظر(: تحويله إلى طاقة يعني بناء إنسان باحث متأمل، لا يأخذ الأمور بظاهرها .على المستوى المجتمعي، هذا يبني أمة علمية بحثية، تدرس التاريخ والجغرافيا والسنن الا جتماعية، وتخطط لمستقبلها بناءً على هذه المعرفة .أمة تجوب العالم لتأخذ العبرة والعلم، لا لتكون ذي لا ً للحضارات الأخرى.
.2مفهوم) الولاية الإلهية(: تحويله إلى طاقة عملية يعني خلق إنسان شجاع مقدام، لا يهاب قوى الباطل .أما على مستوى المجتمع، فيعني بناء دولة ذات سيادة، لا تخضع لغير الله، ولا تتلقى أوامرها من جهة أخرى غير شرع الله.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) الله مولانا(: تحويله إلى طاقة نفسية يعني خلق إنسان آمن مطمئن .الخوف والقلق سببهما الشعور بالوحدة والضعف .فإذا استقر في قلبك أن الله مولاك، ذهب عنك الخوف والقلق .مجتمع هذه صفة أفراده هو مجتمع قوي متماسك، لا تهزه الأزمات.
.2مفهوم) عاقبة المكذبين(: تحويله إلى طاقة نفسية يمنحك صبرًا عظيمًا على البلاء .أنت ترى بأم عينيك أن للظالمين نهاية .هذا المنظور يجعل الابتلاء محتملا ً، ويجعلك تنظر إليه على أنه مرحلة عابرة .وهذا يبني إنسانًا صبورًا لا يستعجل النتائج.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) سنن التاريخ(: تحويله إلى طاقة فكرية يبني عقلا ً عِلميًا يؤمن بأن للكون قوانين ثابتة . هذا العقل هو الذي يصنع حضارة، لأنه قادر على اكتشاف القوانين الطبيعية والاجتماعية وتسخيرها . الحضارة الإسلامية قامت على هذا المبدأ.
.2مفهوم) نفي المولى عن الكافرين(: يبني هذا المفهوم الفكري عقلا ً ناقدًا للحضارة المادية .يجعلك ترى أن الحضارة الغربية المعاصرة، على الرغم من تقدمها التقني، هي حضارة قلقة ومفككة، لأنها "لا مولى لها" .هذا يمنعك من الانبهار الأعمى بها، ويجعلك تبحث عن نموذجك الحضاري الخاص، المبني على ولاية الله.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

تأمل كيف يكمل بعضها بعضًا:

· المؤمن الذي يشعر في قلبه بـ ولاية الله (مفهوم نفسي)، يعيش في أمان وسلام، ويواجه مصاعب الحياة بشجاعة.
· هذا الشعور يدفعه إلى السير في الأرض والنظر في سنن الله (مفهوم عملي/فكري)، فيزداد علمًا ويقينًا.
· وعندما يرى كيف دمّر الله على المجرمين (مفهوم تاريخي/فكري)، يزداد إيمانه بعدالة الله، فيثبت ويصبر.
· وكلما رأى نجاحًا ماديًا للكافرين، يتذكر أنهم لا مولى لهم (مفهوم فكري)، فلا ينهار، ولا يفتن، ويبقى ثابتًا على مبدئه.
· هذه الدائرة المتكاملة من المفاهيم، إذا ترسخت في أمة، أخرجت جيلا ً من صناع الحضارة الحقيقيين، الذين يملكون الرؤية والإرادة والقوة النفسية.

رسالة ختامية

أيها السائر في طريق الحق، لقد أرانا الله في هاتين الآيتين خارطة الطريق كاملة. لقد دعانا أن نفتح أعيننا على سننه في الكون، وأن نقرأ تاريخ الأمم بعين البصيرة. لقد طمأننا بأنه مولانا، ويكفينا به مولى ونصيرًا. فلنثق به، ولنسر في الأرض معتبرين، ولنعمل لدنيانا وآخرتنا، ولنوقن أن العاقبة للمتقين ، وأن المستقبل لهذا الدين.

القسم الثالث

المبحث الأول

. لقد رأينا كيف بدأت السورة بتوصيف الفريقين ومصير أعمالهم (1-2)، وكشفت عن علة المصيرين وهي الاتباع (3)، ورسمت أحكام المواجهة العملية (4)، وواعدت المؤمنين بالهداية وإصلاح البال و الجنة (5-6)، ووضعت قانون النصر الإلهي ﴿إِن تنصرُوا اللهَ يَنصرْكمْ﴾ (7)، وأنذرت الكافرين بالتعاسة وإحباط الأعمال لكرههم ما أنزل الله (8-9)، ودعتهم للسياحة في الأرض ليروا مصارع الغابرين، وقررت الحقيقة الكبرى: أن الله مولى المؤمنين، وأن الكافرين لا مولى لهم (10-11).

والآن، وبعد أن تمهد كل شيء، وبعد أن وضحت الرؤية الفكرية والعقدية، تأتي الآية الثانية عشرة لتضع النهاية القطعية، وتختم هذا المقطع من السورة بمشهدين لا ثالث لهما. إنها تنقلنا من عالم الأسباب والسنن إلى عالم المصائر النهائية، لترينا بعين البصيرة منازل الفريقين في نهاية المطاف.

التمهيد: موقع الآية من السياق العام للسورة

تخيل معي -يا رعاك الله- أنك في قاعة محكمة كونية كبرى. لقد استمعت إلى المرافعات كلها. عرفت منطق فريق الإيمان وفريق الكفر. سمعت الحجج، ورأيت الأدلة من التاريخ (آية 10)، وعرفت السر الأعظم: ولاية الله لأوليائه (آية 11). لقد اكتمل ملف القضية.

والآن، يدخل القاضي العادل، رب العزة -سبحانه-، ليصدر الحكم النهائي القاطع. إنه لا يصدر حكمًا جافًا، بل يرسم لك مشهدًا تراه رأي العين، يجعلك تحس بمصير كل فريق وكأنك تعيشه.

هذا هو موقع هذه الآية تمامًا. إنها حكم ختامي، ومشهد فني بليغ، يصور التضاد بين أبديتين: أبدية في النعيم المطلق، وأبدية في العذاب المهين. ولكي يزيد المشهد وضوحًا، فإنه لا يكتفي بذكر المصير الأخروي، بل يمد البصر ليرينا هذين الفريقين في الحياة الدنيا أيضًا، لنعلم أن المصير الأخروي هو ثمرة طبيعية لحياتهم الدنيا.

تفسير الآية (12) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

تختم هذه الآية المقطع ببيان المصير النهائي الحتمي للفريقين، في الدنيا والآخرة معًا. فأما المؤمنون، فجزاؤهم الذي ينتظرهم هو جنات النعيم المطلق. وأما الكافرون، فحتى حياتهم الدنيا التي هي غاية أملهم وسعيهم، ليست سوى حياة بهيمية، غايتها التمتع الحسي والأكل كالأنعام، لا يعرفون معنى ساميًا ولا هدفًا نبيلا ً. ثم تأتي نهايتهم الحتمية: النار مسكنًا دائمًا ومأوى أبديًا.

مقاصد وأهداف الآية:

1.تصوير التناقض المطلق بين مصيري الفريقين، في مشهد حسي بليغ يوقظ القلب والعقل.
2.تكريم المؤمنين ببيان ما أعده الله لهم من نعيم، وتحقير الكافرين ببيان أنهم في أحط منزلة، وهي منزلة البهائم التي لا هم لها إلا الأكل والتمتع.
3.تفسير واقع الكافرين النفسي والسلوكي في الدنيا، فهم ليسوا فقط سيئي المصير في الآخرة، بل هم في الدنيا يعيشون حياة خالية من المعنى والقيمة، تدور حول غرائزهم فقط.
4.تحفيز المؤمنين على الصبر على ما قد يرونه من تمتع الكفار في الدنيا، لأن ذلك التمتع هو غاية ما ينالونه، وأما المؤمنون فلهم ما هو أعظم وأبقى.
5.إقامة الحجة على الكافرين، بأنهم باختيارهم طريق الكفر، قد اختاروا لأنفسهم حياة الأنعام، واستحقوا النار.

المحور الأول: مشهد أهل الإيمان – النعيم المطلق

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

1.دلالة افتتاح الآية ب- "إنّ الله"

تأمل -يا رعاك الله- كيف تبدأ الآية باسم الجلالة مؤكدًا بحرف التوكيد "إنّ". إنها تشعرك بثقل الخبر وأهميته وقدسيته. ليس ملكًا هو الذي يدخلهم، وليس وليًا، بل الله -عز وجل- بنفسه، بجلاله وجماله، يتولى إدخالهم. إنه تكريم للعبد أن يكون المضيّف هو الله.

2."يُدْخِلُ" – فعل الاستقبال والتجدد

استخدام الفعل المضارع يُدْخِلُ بدل الماضي (أدخل) يفيد التجدد والاستمرار. إن وعد الله لهم بالجنة متجدد دائمًا، وباب الدخول مفتوح لهم، وهذه البشارى تتجدد في قلوبهم كلما تلوا الآية.

3."الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" – شرط الدخول

لم يقل "الذين آمنوا" فقط، بل قرن الإيمان بالعمل الصالح. إنها القاعدة القرآنية الثابتة. الإيمان وحده لا يكفي للنجاة، بل لا بد أن يتبعه عمل صالح يصدقه. وهنا تطالعنا رسالة عظيمة: الجنة لا تنال بالأ ماني، بل بالإيمان والعمل.

.4"جَنَاتٍ تجْرِي مِن تحْتِهَا الأَنْهَارُ" – صورة النعيم المتكامل

وصف الجنة هنا بأنها "جنات" بصيغة الجمع، للدلالة على سعة النعيم وتنوعه. ثم هذا الوصف البديع: ﴿تجْرِي مِن تحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾. تخيل المشهد! أنهار الماء واللبن والعسل والخمر تجري من تحت قصورها وأشجارها، لا تحتاج إلى ساقية تسوقها، ولا إلى آلة ترفعها، بل هي دائمة الجريان بنفسها، سائغة للشاربين. إنه رمز للرزق الدائم الذي لا ينقطع، والنعيم الذي لا يحتاج إلى جهد.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا المشهد يملأ قلبك سكينة وشوقًا .إنك تعلم أن تعبك في هذه الدنيا ليس عبثًا، بل هو ثمن لهذا النعيم المقيم .هذا الشعور يهون عليك كل مشقة.
· تربويًا: تربي فيك الآية حب الجنة، وتجعلها نصب عينيك .وهذا الحب يدفعك للعمل الصالح برغبة وشوق، لا برهبة فقط.

المحور الثاني: مشهد أهل الكفر – حياة الأنعام والمآل المهين

﴿وَالذِينَ كفَرُوا يَتَمَتعُونَ وَيَأكلُونَ كمَا تأكلُ الأَنعَامُ وَالنَارُ مَثْوًى لهُمْ﴾

هنا قمة الإعجاز البياني والتصويري. هنا المشهد المقابل الذي يهز الوجدان.

.1"يَتَمَتعُونَ" – وصف دقيق لحياتهم

التمتع هو الانتفاع بالشيء مع التلذذ به، ولكن لفترة قصيرة. والمضارع يَتَمَتعُونَ يدل على أن هذا حـ الهم الدائم. إن حياتهم كلها محصورة في التمتع العاجل، ولا يفكرون في الآجل. همهم تحصيل اللذة بأي ثمن، كالبهيمة التي تأكل وتشرب وتستمتع ولا تحمل هم غد.

.2"وَيَأكلُونَ كمَا تأكلُ الأَنعَامُ" – الصورة الأشد إهانة

هنا التحقير الأعظم، والوصف الأبلغ. إنهم يأكلون كما تأكل الأنعام! وما الفرق بين أكل الإنسان وأكل ا لأنعام؟

· الأنعام تأكل بدون تفكر: لا تسأل: من أين هذا الرزق؟ من خلقه؟ ما واجبي نحوه؟ تأكل بنهم، ولا تعرف شكرًا.
· الأنعام تأكل بدون هدف أسمى: همها أن تملأ بطنها، لا تسعى بطعامها إلى مقصد روحي أو إنساني.
· الأنعام تأكل لا تعرف الحلال من الحرام: لا تحكمها شريعة، ولا تردعها أخلاق.
· الأنعام تأكل لتسمن ثم تذبح: غاية أكلها هو اللحم أو الموت، وهكذا الكفار؛ يأكلون ويتمتعون، ثم ينتهون إلى النار.

شتان بين من يأكل ليأكل، ومن يأكل ليحيا لهدف أسمى!

.3"وَالنَارُ مَثْوًى لهُمْ" – المصير بعد التمتع

اللام هنا لام الملك والاختصاص. وكلمة مَثْوًى تعني مقامًا وإقامة دائمة، مأوى لا يغادرونه. وكأن الآية تقول: بعد هذا التمتع القصير، وهذا الأكل كالأنعام، لا شيء ينتظرهم إلا الإقامة الأبدية في النار. إنه ا لانتقال من حياة الأنعام إلى عذاب الحميم، ومن القصور الفارهة إلى حفر الجحيم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: هذه الآية تدعونا إلى مراجعة نمط حياتنا .هل نعيش لنأكل ونتمتع، أم نأكل لنعيش ونعمل لله؟ إنها تزرع فينا الزهد في الدنيا، والقناعة بالكفاف، وتجعلنا نأكل ونشرب ونتمتع ولكن بضوابط الشرع، وبهدف عبادة الله.
· نفسيًا: إنها تحررك -يا عبد الله- من الحسد لأهل الكفر والفسق على ما هم فيه من تمتع .هم كالأ نعام في مراعيها، وغدًا إلى النار .فلماذا تحسدهم؟!
· تربويًا: تربي في نفسك العزة بالإسلام .فالإسلام هو الذي رفعك عن درجة البهائم، وجعلك إنسانًا

تسمو بروحك، وتأكل بهدف، وتشكر وتشعر.

ثالثًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية تعني أن أسأل نفسي بصدق، وأن أفعل ما يلي:

· في دائرة "الإيمان والعمل الصالح":
· محاسبة النفس: أسأل نفسي كل يوم: ما هو عملي الصالح الذي أعددته اليوم ليكون ثمنًا للجنة؟ هل أكتفي بالإيمان القلبي فقط، أم أن حركاتي وسكناتي تترجم هذا الإيمان؟
· التطبيق العملي: أجعل لي وردًا يوميًا من العمل الصالح لا أتركه مهما كان صغيرًا .فالجنة غالية، وتحتاج إلى جهد .أستحضر وأنا أعمل أن هذا العمل سأجد ثمرته نهرًا في الجنة.
· في دائرة "التمتع والأكل":
· محاسبة النفس: أسأل نفسي وأنا آكل: لماذا آكل؟ هل آكل لأشبع فأقوى على طاعة الله، أم آكل بنهم كالأنعام؟ هل أراعي الحلال في طعامي؟ هل أشكر الله على نعمته؟ هل أذكر اسم الله عليه؟
· التطبيق العملي: أجعل من مائدتي منهجًا لعبادة الله .أبدأ طعامي بالتسمية، وأختمه بالحمد .آكل لأقوى على الطاعة، ولا أسرف .أتذكر الفقراء والمحرومين فأطعمهم، لأرتقي بأكلي عن أكل الأنعام.
· في دائرة "المشهدين معًا":
· التطبيق العملي: عندما أمر بضيق أو شدة، أستحضر مشهد الجنة التي أعدها الله لي، فيهون عليّ كل بلاء .وعندما تغريني الدنيا بزخارفها، أستحضر مشهد الكافرين وهم يأكلون كالأنعام ثم إلى النار، فأرفض أن أكون مثلهم، وأتذكر أن لي ما هو أعظم.

رابعًا: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1قيمة الإيمان المقترن بالعمل: لا يكفي أن تكون مؤمنًا بقلبك، بل لا بد أن يظهر إيمانك في سلوكك .النجاة ليست مجرد شعور، بل هي موقف وعمل.
.2قيمة سمو الغاية: الإسلام يريد منك أن تسمو على البهيمية .أن تأكل لتقوى، وأن تتمتع بضوابط، وأن تجعل حياتك كلها لله .هذه القيمة تجعل لحياتك معنى وطعمًا لا يعرفه أصحاب الأهداف الدنيا.
.3قيمة الزهد في الدنيا: لا يعني الزهد أن تحرم نفسك، بل يعني ألا تكون الدنيا أكبر همك، وألا تنبهر بمتاعها .الكفار غايتهم التمتع، أما أنت فغايتك الجنة.
.4قيمة النظرة الشمولية للحياة: المؤمن لا يفصل بين الدنيا والآخرة .يعمل للدنيا لكن بنية صالحة، فيكون عمله للآخرة .والكافر يعمل للدنيا فقط، فيخسر كل شيء.
.5قيمة الشكر: الأكل من أجل الأكل صفة بهيمية .أما الأكل مع الشكر لله، ومعرفة أن النعمة منه، فهو صفة إنسانية إيمانية.
.6قيمة العزة بالإيمان: لا تحقر نفسك أمام كافر بسبب ماله أو متاعه .أنت أكرم عند الله، ومصيرك خير من مصيره.

خامسًا: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا الآية إلى أن نكون ربانيين في أكلنا وشربنا وتمتعنا، فلا نكون ماديين لا هم لنا إلا بطوننا وفروجنا.
· تدعونا إلى التخطيط للمستقبل الأخروي، كما نخطط للدنيوي، بل أكثر ."جَنَّاتٍ تجْرِي مِن تحْتِهَا الأَنْهَارُ" تحتاج إلى استثمار حقيقي، هو الإيمان والعمل الصالح.
· تدعونا إلى النظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة .فما تأكله وتتمتع به هو زاد لك في رحلتك، لا غاية رحلتك.
· تعلمنا أن قيمة الإنسان ليست في جنسه، بل في إيمانه وهدفه .فبلا إيمان، يرتكس الإنسان إلى أسفل سافلين، ويصبح كالأنعام بل أضل.
· تعلمنا كيف نقرأ واقعنا .فعندما نرى حضارة استهلاكية غارقة في التمتع والأكل، نعرف أنها تسير وفق نموذج "الأنعام"، وأن مصيرها إلى زوال وخسران.

سادسًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس النية الصالحة في المباحات: تعلمنا الآية أن نأكل ونشرب ونتمتع بالحلال، ولكن بنية التقوي على الطاعة .بهذا تتحول المباحات إلى عبادات.
· درس عدم الاغترار بالماديات: تذكر دائمًا أن غاية الكافر من الحياة هي التمتع والأكل .فإذا رأيت هذه الحضارة المادية التي تغرق في الملذات، فاعلم أنها حضارة هالكة، لأنها تعيش حياة الأنعام.
· درس لذة العبادة وطعمها: تعلمنا الآية أن المؤمن له لذة أعظم من لذة الطعام، وهي لذة الإيمان ومناجاة الله .بهذه اللذة تستطيع أن تقاوم إغراءات الشهوات.
· درس الموازنة في الحياة: لا تكن راهبًا، ولا تكن بهيمة .كل واشرب وتمتع، ولكن لا تنسَ نصيبك من الآخرة .هذه هي الوسطية الإسلامية التي تجعل من حياتك متعة وسموًا في آن واحد.
· درس الاستعداد للموت: تذكر أن "النار مثوى لهم" فتعوذ بالله منها، واعمل على النجاة منها .وتذكر أن "الجنات" هي مثوى المؤمنين، فاشتق إليها واسعَ لها سعيها.

سابعًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هيا بنا نستخرج الطاقة الكامنة في هذه المفاهيم العظيمة لبناء نهضتنا:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) الجمع بين الإيمان والعمل(: هذا المفهوم يبني إنسانًا متكاملا ً، لا يكتفي بالشعارات، بل يحول الإيمان إلى واقع عملي ملموس .وفي المجتمع، يبني هذا المفهوم أمة منتجة وفاعلة، لأن كل فرد فيها يعمل ويجتهد، متيقنًا أن عمله عبادة وجزاؤه الجنة .هذه الأمة لا تعرف البطالة ولا التواكل.
.2مفهوم) سمو الغاية على الشهوة(: يبني هذا المفهوم إنسانًا قوي الإرادة، لا تتحكم فيه شهواته . يبني مجتمعًا رشيدًا، ليس استهلاكيًا منحلا ً، بل هو مجتمع يستهلك ليبني ويعمر، لا ليهدم ويخرب.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) لذة الإيمان أعلى من لذة المادة(: تحويل هذا المفهوم إلى طاقة نفسية يصنع إنسانًا غنيًا بروحه، لا يشعر بالفقر والحاجة النفسية، لأنه وجد لذته في القرب من الله .هذا الإنسان لا يمكن شراؤه بمال الدنيا، وهو قوي في مواجهة إغراءات الفساد.
.2مفهوم) الصبر على فوات الملذات الدنيوية(: عندما تستقر في قلبك صورة الجنة، يصبح حرمانك من بعض الملذات الدنيوية) لحرمتها أو لعدم قدرتك عليها (أمرًا هيّنًا .أنت تنتظر نعيمًا لا يفنى، فما قيمة أن تفوتك لذة فانية؟ هذا المفهوم يبنى إنسانًا صابرًا زاهدًا، لا ينهار إذا ضاق به العيش.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) الحياة الهادفة(: تقدم الآية فلسفة متكاملة للحياة .الحياة ليست للأكل، بل الأكل للحياة . هذا المفهوم يبني حضارة ذات رسالة .حضارتنا الإسلامية لا تقوم على الاستهلاك والترف، بل على العبادة والعمارة.
.2مفهوم) تصنيف البشر بحسب غاياتهم(: تعلمنا الآية أن البشر يصنفون بحسب غاياتهم: غاية المؤمن الجنة، وغاية الكافر التمتع .هذا المفهوم الفكري يمنحك نظارة ثاقبة، تستطيع بها أن تحلل أي حضارة أو مجتمع، فقط انظر إلى غايته الكبرى، وستعرف إلى أين يسير.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

تأمل كيف تتآلف هذه المفاهيم لتشكل معًا مركبًا حضاريًا فريدًا:

· إنسان يعمل ويجد) مفهوم عملي...(
·... وتدفعه إلى العمل غاية سامية هي الجنة) مفهوم فكري...(
·... ويصبر على مشقة الطريق لأنه يوقن بالنهاية السعيدة) مفهوم نفسي...(
·... ولا يغتر بتمتع أهل الباطل، لأنه يراهم "كأنعام") مفهوم فكري...(
·... فيبني مجتمعًا قويًا، منتجًا، صابرًا، ذا رسالة، لا تهزه الأزمات.
·... وهذه هي لبنات الحضارة الحقيقية التي وعد الله بها عباده المؤمنين.

رسالة ختامية

أيها المؤمن الكريم، هذه الآية هي ميثاق بينك وبين الله. هي دعوة مفتوحة لك لتختار: إما أن تكون إنسانًا مؤمنًا، غايتك الجنة، تأكل وتشرب لتؤدي رسالتك في الأرض، وإما أن ترتكس إلى مرتبة الأنعام، غايتك بطنك، ومصيرك النار.

اسأل نفسك الآن، وأنت تقرأ هذه السطور: من أنا؟ وأين أنا من هذين الطريقين؟

واجعل لنفسك شعارًا في الحياة: "اللّهم اجعلني ممن أعددتَ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولا تجعلني ممن يتمتعون ويأكلون كالأنعام والنار مثوى لهم".

المبحث الثاني

بعد أن وقفنا عند الآية الثانية عشرة ورأينا كيف صور الله لنا مصير الفريقين في الدنيا والآخرة، يأتي سؤال يختلج في صدر المؤمن، وقد يثيره الشيطان في نفسه، أو يقذفه الكافر في وجهه: إذا كان الله قد وعدنا بالنصر، ووصف الكافرين بأنهم يأكلون كالأنعام ومصيرهم النار، فلماذا تأخر النصر؟ لماذا ترى الكافرين يصولون ويجولون؟ ولماذا أُخرج النبي ﷺ من قريته مكة، والكافرون فيها آمنون متمكنون؟ ألا يتناقض هذا مع وعد الله؟!

تأتي الآية الثالثة عشرة لتجيب عن هذا السؤال، ولتغلق الباب على كل شك، ولتزرع في قلب النبي ﷺ والمؤمنين من بعده طمأنينة لا تزول. إنها آية تنتقل بالمؤمن من منظور اللحظة الراهنة الضيقة، إلى منظور التاريخ الواسع وسنن الله الماضية. إنها بمثابة درس استراتيجي في الصبر، وتفسير واقعي لتأخر النصر أحيانًا، وتأكيد على أن إمهال الله للظالمين ليس نصرًا لهم، بل هو استدراج.

التمهيد: موقع الآية من السياق العام للسورة

تخيل معي -رعاك الله- أنك في مجلس النبي ﷺ وهو يتلو القرآن. لقد سمع الصحابة الكرام الآيات السابقة: وعدهم الله بالنصر والتثبيت (آية 7)، وأخبرهم أن الكافرين في تعس وإحباط أعمال (آية 8-9)، وأن الله مولى المؤمنين (آية 11)، وأن مصير الكافرين النار (آية 12). ولكن الواقع الملموس أمامهم شيء آخر. النبي ﷺ قد أُخرج من مكة، والمسلمون يعانون، والكافرون في مكة يملكون القوة والسلطة. قد يقول قائل في نفسه: كيف يكون الله مولانا ونحن على هذه الحال؟!

هنا، وكأن الله -عز وجل- يسمع حديث النفوس، فتنزل هذه الآية لتلامس جراحهم، وتمسح على قلوبهم، وتنقل أنظارهم من حاضرهم المؤلم إلى ماضٍ حافل بالدروس والعبر. إنها تقول للنبي ﷺ ولمن معه: "انظر إلى التاريخ. انظر إلى سنن الله في الأرض. لا تحزن، فما أنت فيه هو سنة ماضية". إنها آية مواساة وتثبيت للنبي ﷺ، وهي لكل داعية ومؤمن إلى يوم القيامة.

تفسير الآية (13) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

يُخاطب الله -عز وجل- نبيه محمدًا ﷺ، مسليًا إياه، ومثبتًا لقلبه، ومذكرًا إياه بقدرته المطلقة وسنته الماضية في عباده. فيقول له: لا تحزن يا محمد على إخراجك من قريتك مكة، ولا تستعظم قوة قومك الذين كفروا بك. فكثير من القرى والأمم قبل قريتك، كانت أشد وأقوى قوة وبأسًا وأكثر أموالا وأعظم تمكينًا، فلما طغوا وكفروا، أهلكهم الله تدميرًا، فلم يجدوا لهم ناصرًا يدفع عنهم عذاب الله أو يعينهم على ما حل بهم. فلتطمئن، فإن سنة الله في الظالمين ماضية، وعاقبة الكافرين إلى هلاك، وإن تأخر ذلك لحكمة يريدها.

مقاصد وأهداف الآية:

.1تسلية قلب النبي ﷺ وتثبيته، وتذكيره بأنه ليس بدعًا من الرسل، وأن إيذاء قومه له سنة جارية.
.2بيان أن القوة المادية ليست معيار النصر والهلاك، بل المعيار هو الإيمان والكفر، والطغيان والإعراض عن الله.
.3إعلان سنة إلهية ثابتة وهي أن البطش الإلهي لا ترده قوة، وأن الهلاك نازل بالطغاة مهما بلغ بأسهم.
.4تربية المؤمنين على الصبر وعدم استعجال النصر، لأن تأخر العقوبة عن الظالمين ليس عجزًا، بل هو إمهال لحكمة بالغة.
.5غرس اليقين في قلوب المؤمنين بأن نصر الله آتٍ لا محالة، وأن العاقبة للمتقين.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ" – افتتاحية التذكير التاريخي

.1دلالة لفظ "وكأين"

وَكَأَيِّن لفظ قرآني عربي بليغ، يفيد معنى "الكثرة" و"التكثير". كأنه يقول: "وكم من قرية!"، "وما أكثر القرى التي!". إنها تفتح أمام مخيلتك مشهدًا رهيبًا لعدد لا يحصى من الأمم والمدن والحضارات التي كانت ثم بادت. إنها تدل على أن ما سيُذكر ليس حادثة واحدة، بل هو سنة ماضية في أمم لا تُحصى.

.2دلالة "قرية"

ذكر كلمة قَرْيَةٍ يشمل المدينة، والناحية، والبلدة، والحاضرة. والقصد بالقرية هنا أهلها وسكانها. فالقرية مكان، ولكن الهلاك نزل بأهلها. وهذا من مجاز الحذف والإيجاز في القرآن. وهو تذكير بأن العمران و المباني لا تغني شيئًا إذا فسد أهلها. كم من قرى عامرة بأهلها وتسربت إليهم عوامل الكفر والظلم فدُمرت واندثرت!

المحور الثاني: "هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ" – صورة القوة المادية الكاذبة

.1دلالة المقارنة بين قوة الأمم الماضية وقوة مكة

هنا تأتي الطمأنة الكبرى للنبي ﷺ. كأن الله يقول له: حبيبي يا محمد، لا تنظر إلى قوة قريش، ولا تظنن أن بأسهم وعددهم ومالهم سينجيهم أو يعجزني. لقد كانت هناك أمم ومدن وقرى أشد قوة بكثير مما ترى. ووصفهم بأنهم أَشَدُّ قُوَّةً، أي أشد من قريش في كل أسباب القوة المادية:

· أشد في البطش والبأس.
· أشد في العدد والعدد.
· أشد في المال والثروة.
· أشد في التمكين في الأرض، كعاد وثمود وفرعون.

كانوا أشد قوة من مكة التي أخرجتك، ومع ذلك، ماذا كان مصيرهم عندما طغوا وتجبروا؟

.2وصف مكة بـ "قريتك" – تذكير بالمكانة والموطن

في هذا الوصف حنو وتطييب لقلب النبي ﷺ. وصف الله مكة بأنها قَرْيَتِكَ، أي قريتك أنت يا محمد. إنها مسقط رأسك، وبلدك الحرام، وموطن آبائك. ومعنى هذا: أنت أحق بهذا البلد منهم، وقد أخرجوك منها ظلمًا وعدوانًا. إنه إشعار للنبي ﷺ بأن الله لا ينسى ما حدث له، وهو معه، وسينصره ويعيده إليها.

.3وصف الكافرين بوصف "التي أخرجتك"

لم يقل: "التي كفرت بك" أو "التي عصتك"، بل قال: الَّتِي أَخْرَجَتْكَ. هذا الوصف يحمل في طياته وعيدًا شديدًا لهم. جريمتهم ليست فقط الكفر، بل تعدت إلى الإخراج والإيذاء للرسول ﷺ. فوصفهم بهذا الجرم العظيم يستتبع في السياسة الإلهية عقابًا عظيمًا. وكأنه يقول: لا تحزن، فجريمتهم هذه

إنما هي سبب لهلاكهم، كما كانت جرائم الأمم السابقة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تمنح هذه الآية المؤمن ثقة وطمأنينة عظيمة .أنت تعيش أحيانًا تحت وطأة الشعور بأن أعداءك أقوى منك، وأن الموازين مختلة .تأتي الآية لتقول لك: هذه هي سنة الحياة .أعداء الأنبياء كانوا دائمًا أشد قوة في البداية .فلا تخف ولا تحزن.
· تربويًا: تربي الآية المؤمن على قراءة التاريخ كما ينبغي .ليس المهم من هو الأقوى الآن، بل المهم من معه الحق .فالقوة في ظاهرها قد تكون فتنة واستدراجًا، لا علامة رضا.

المحور الثالث: "أَهْلَكْنَاهُمْ" – الفعل الإلهي القاطع

.1دلالة استخدام ضمير الجمع "نا"

أَهْلَكْنَاهُمْ أي أهلكهم الله -عز وجل- وحده. ضمير الجمع هنا للتعظيم. إنه يؤكد أن الهلاك لم يكن بحرب أو بجيش من البشر، بل كان بفعل الله المباشر. صيحة، ريح، خسف، طوفان. إنها قوة الله التي لا تقاوم، والتي تأتي للظالمين في لحظة لا يتوقعونها.

.2سرعة الفعل وحسمه

"أهلكناهم" فعل ماض، يدل على أن الأمر قد تم وانتهى .كأنك تنظر إلى نهايتهم، وقد أصبحوا أثرًا بعد عين .إنها رسالة لكل ظالم: إن إمهال الله لك ليس إهمالا ً، وسيأتي يوم يقال فيه عنك: "أهلكناه".

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: على المؤمن ألا يطلب الانتقام لنفسه، بل يكل الأمر إلى الله .الله هو الذي سينتقم من أعدائه ، كما انتقم من أعداء الرسل من قبل.
· نفسيًا: تذهب هذه الآية باليأس من قلب المؤمن .قد يطول ليل الظلم، لكن فجر الهلاك للظالمين آتٍ لا ريب فيه .طالما أن الله هو الذي سيتولى ذلك.

المحور الرابع: "فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ" – الحقيقة المرة للكافرين

.1دلالة الفاء في "فلا ناصر لهم"

الفاء هنا فاء السببية. أي أن نتيجة تدميرهم وهلاكهم أنهم لم يجدوا لهم ناصرًا. لما نزل بهم أمر الله ، ذهب عنهم كل من كانوا يظنون أنهم ينصرونهم. لا مال ينفع، ولا جاه يرفع، ولا جيش يدفع. فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أي لا أحد يدفع العذاب عنهم، ولا أحد يغيثهم، ولا أحد يقف في وجه قضاء الله.

.2ربطها بولاية المؤمنين في الآية السابقة

هذا هو الإعجاز في النظم القرآني! تأمل معي هذه المقابلة:

· في الآية(11) : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.
· في الآية(13) : ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

في آية (11) قرر المبدأ العام: الكافرون لا ولي لهم ولا نصير. وفي آية (13) يقدم الدليل التاريخي العملي: هؤلاء أمم كثيرة، جاءهم الهلاك، فلم يجدوا ناصرًا. إنها رؤية متكاملة. المؤمن وليه الله، فلا يخاف مطلقًا. والكافر لا ولي له، فلا ينجو مطلقًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تملأ قلبك شعورًا بالأمان والعزة .أنت معك الله، وكفى به .أما عدوك فوحيد، متروك، حتى قوته المادية لا تنفعه .هذا الشعور يجعلك تمشي على الأرض مرفوع الهامة، لا تخشى في الله لومة لا ئم.
· فكريًا: تعلمنا هذه المقابلة بين لفظي "مولى" و"ناصر" أن الولاية أوسع وأعمق من مجرد النصرة .

النصرة جزء من الولاية .المؤمنون لهم ولاية شاملة من الله، من ضمنها النصرة .أما الكافرون فلا ولاية ولا نصرة.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية لهذه الآية تعني أن أتأمل في نفسي وفي واقعي، وأفعل ما يلي:

· في دائرة "النظر إلى قوة الباطل":
· محاسبة النفس: أسأل نفسي: هل أخاف من قوة الباطل؟ هل في قلبي رهبة من الظالمين أكثر من رهبتي من الله؟ هل أشعر باليأس عندما أرى قوى الكفر والإلحاد تعلو؟
· التطبيق العملي: عندما أرى قوة لأهل الباطل، أتذكر هذه الآية .أتذكر أنهم مهما بلغوا، فلن يكونوا أشد قوة من عاد وثمود وفرعون .أتذكر أن هذه القوة مؤقتة، وأن عاقبتها الهلاك .أكرر على قلبي: " الله أكبر، الله أكبر، سبحانك إنك أنت القوي العزيز".
· في دائرة "الثقة بوعد الله":
· محاسبة النفس: هل أوقن أن نصر الله آتٍ؟ هل يؤثر هذا اليقين في صبري وثباتي؟
· التطبيق العملي: أقرأ قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن بتدبر .أجعلها زادًا يوميًا ليذكرني بسنن الله .عندما أتأخر في أمر، أو يظلمني أحد، أتذكر أن إمهال الله للظالم ليس نصرًا له، بل هو سنة ماضية.
· في دائرة "التعامل مع الظلم الشخصي":
· التطبيق العملي: إذا تعرضت لظلم أو إيذاء، أتذكر أن النبي ﷺ أُخرج من قريته .أتذكر أن الله وصف مكة بأنها "قريتك"، ليشعره بالحنو والعوض .أنا أيضًا، الله معي، ولن يضيعني .أدعو على ظالمي لا بالانتقام، بل بأن يهديه الله أو يقصمه، وأكل الأمر إلى الله.

ثالثًا: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1قيمة الصبر الاستراتيجي: النصر لا يأتي فورًا .الطريق طويل، والتاريخ يقول إن الباطل قد يعلو لفترة، لكن النهاية للحق .هذه القيمة تمنحك القدرة على الاستمرار دون يأس.
.2قيمة قراءة التاريخ بعين السنن: لا تنظر إلى التاريخ كمجرد قصص، بل استخرج منه القوانين . سنة الله في هلاك الظالمين لا تتبدل.
.3قيمة عدم الانخداع بالمظاهر: القوة المادية) أشد قوة (ليست كل شيء .لا تنبهر بها، ولا تظن أنها دليل على صحة الموقف.
.4قيمة الثقة بالله في وجه الظلم: عندما تُظلم، أو يُظلم غيرك، لا تيأس .الله يرى، وسينتقم .هذه الثقة تمنحك سلامًا نفسيًا عظيمًا.
.5قيمة العزة بالإيمان: أنت أيها المؤمن لست وحدك .لك ناصر ومولى .هذه العزة تجعلك لا تنحني لغير الله.
.6قيمة الإمهال الإلهي: لا تستعجل هلاك الظالمين .في تأخير العقوبة حكم كثيرة .ثق بحكمة الله وتوقيته.

رابعًا: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا الآية إلى أن نكون أصحاب رؤية تاريخية، لا أسرى اللحظة الراهنة .ما تمر به الأمة اليوم من ضعف وهوان ليس نهاية المطاف، بل هو حلقة في سلسلة طويلة.
· تدعونا إلى أن نعي أن الإخراج والإيذاء في سبيل الله هو سنة الأنبياء، فلا نستغرب إذا أوذينا، بل نصبر ونحتسب.
· تعلمنا أن نعيد تقييم "القوة" .القوة الحقيقية هي قوة الإيمان وولاية الله، لا قوة المال والسلاح . فاستثمر في إيمانك قبل كل شيء.
· تعلمنا كيف نسلّي أنفسنا وإخواننا وقت الشدائد، بأن نذكرهم بسنة الله في الأمم السابقة، وكيف أن العاقبة كانت للمتقين.
· تعلمنا أن نفوّض الأمر إلى الله، وألا نستعجل النتائج .هو أعلم بالوقت المناسب لنصره وهلاك أعدائه.

خامسًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس من قرية أشد قوة: لا تجعل قوة الظالمين تفتنك أو تخيفك .تذكر دائمًا أن الله أهلك من هم أشد وأقوى قبلهم.
· درس الإخراج: ربما يكون إخراجك من مكانك أو وظيفتك أو بلدك ظلمًا، هو في حقيقته بداية طريق لنصر الله لك .ثق بالله.
· درس الفاعل الحقيقي: "أهلكناهم" .لا تنتظر هلاك الظالمين بيديك، بل اعمل بما عليك، واترك النتائج لله.
· درس الوحدة في مواجهة الباطل: الكافرون "لا ناصر لهم" .في المقابل، المؤمنون لهم ولاية الله .هذا يدفعنا لنكون في صف واحد، في ولاية الله، لنستحق النصر.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هيا بنا نستحضر الطاقة الكامنة في هذه الآية لبناء نهضتنا:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) إهلاك القرى الأقوى(: تحويله إلى طاقة عملية يعني خلق إنسان جريء، لا ترهبه قوى الباطل .فهو يعلم أن جيش الله هو الأقوى .هذا يبني مجتمعًا مقاومًا، لا ينكسر تحت الاحتلال أو الا ستبداد، لأنه يؤمن بأن جبروت الظالم إلى زوال.
.2مفهوم) الإخراج في سبيل الله(: تحويله إلى طاقة عملية يعني أن يُضحّي المؤمن بكل غالٍ في سبيل دينه .هذا يبني مجتمعًا يقدم المبادئ على المصالح، ولا يبيع دينه بعرض من الدنيا .أمة هذا ديدنها لا يمكن أن تُستعبد.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) فلا ناصر لهم(: تحويله إلى طاقة نفسية يمنح المؤمن قوة نفسية هائلة .أنت تعلم أن عدوك مهما بدا قويًا، هو في الحقيقة ضعيف، وحيد، لا ناصر له في ساعة الحقيقة .هذا الشعور يبدد الخوف من قلبك.
.2مفهوم) التاريخ كمسكن(: "وكأين من قرية" بمثابة بلسم للقلب المجروح .عندما تنظر إلى التاريخ، وترى كم من ظالم طغى ثم باد، تهدأ نفسك، وتسكن جوارحك .إنه علاج نفسي رباني لأمراض اليأس والإحباط.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) سنة إهلاك الظالمين(: هذا المفهوم يبني عقلا ً يؤمن بالحتميات التاريخية .الحضارة التي نؤسس عليها فهمنا للتاريخ لا تقوم على الصدفة، بل على سنن ثابتة .هذا يعطينا القدرة على التنبؤ بمستقبل الظالمين، ويمنعنا من التعاون معهم أو الركون إليهم.
.2مفهوم) نسبية القوة المادية(: يُقدم هذا المفهوم فلسفة متكاملة للقوة، تُحرر العقل المسلم من عقدة النقص أمام الحضارة المادية الغربية ."هم أشد قوة" في المادة، لكن مصيرهم الهلاك إذا لم تكن قوتهم قائمة على الإيمان والحق .هذا يمنحنا تفوقًا فكريًا وحضاريًا.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

تأمل -رعاك الله- كيف تتكامل هذه المفاهيم لتشكل بناءً واحدًا متماسكًا:

· المؤمن الذي يعيش بـ الثقة بوعد الله) مفهوم نفسي (ويحمل يقينًا بأن الظالمين لا ناصر لهم)مفهوم فكري(، يكون إنسانًا جريئًا لا يخاف) مفهوم عملي.(
· هذا الإنسان الجريء، عندما يُبتلى بـ الإخراج أو الأذى) مفهوم عملي(، يتحول ذلك إلى وقود للصبر والعمل) مفهوم عملي(، لأنه يعلم أنها سنة الأنبياء) مفهوم فكري.(
· هذا المجتمع المكون من أفراد أقوياء نفسيًا وعمليًا وفكريًا، هو مجتمع قادر على المقاومة والتضحية

، وهو الذي يبني حضارة حقيقية لا تعتمد على قوة مادية زائلة، بل على قوة إيمانية خالدة.

هكذا، تتحول آية واحدة في كتاب الله إلى مشروع نهضة كامل، متى تدبرها المؤمنون حق تدبر، وحولوها إلى واقع عملي في حياتهم.

رسالة ختامية

أيها المؤمن الصابر، أيها الداعية المثابر، يا من تشعر أحيانًا بالغربة والضعف في زمن طغت فيه قيم المادة والقوة، هذه الآية لك. إنها رسالة خاصة من الله إليه، يمسح بها على قلبك، ويقول لك: لا تحزن. انظر إلى التاريخ. انظر إلى سنتي في عبادي. كم من حضارة قامت على القوة والطغيان، ثم انهارت أمام كلمة مني. ثق بي، وامضِ في طريقك، واعلم أنني معك، وأن العاقبة لك ولأمثالك، وأن لأعدائك يومًا لا يجدون فيه لهم من دوني ناصرًا.

المبحث الثالث

ها نحن نصل إلى آية عظيمة، هي في الحقيقة تعد ميزانًا دقيقًا توزن به النفوس، ومرآة صافية ترى فيها حقيقة ذاتك، ومقياسًا حقيقيًا للتفاضل بين الناس ليس حسب معايير الدنيا من قوة أو مال، بل حسب معيار الحق والباطل، البصيرة والهوى.

لقد أفعمت الآيات السابقة قلوبنا باليقين، ووضعت الموازين في نصابها. لقد قيل لنا في الآية (11) إن الله مولى الذين آمنوا. وأخبرنا في الآية (13) بقصص القرى التي كانت أشد قوة فأهلكت. لكن يبقى سؤال منطقي قد يختلج في الصدر: إذا كان الكفار يرون هذه الحقائق، فلماذا لا يؤمنون؟ لماذا يتمسكون بالباطل وهم يرون مصارع الغابرين؟ هل يعقل أن يتساوى من يسير على نور من ربه مع من يعيش في ظلمات أوهامه؟!

تأتي الآية الرابعة عشرة لتجيب عن هذا السؤال، وتكشف النقاب عن العلة الدفينة التي تفسر سلوك الكافرين. إنها تنتقل بنا من وصف الأفعال الظاهرة (كفر، صد، أكل كالأنعام) إلى تحليل الدوافع النفسية العميقة (تزيين سوء العمل، اتباع الهوى). إنها آية تكشف لك حقيقة الصراع الداخلي في النفس البشرية، وتبين لك أن المعركة الكبرى ليست في ساحات الوغى فقط، بل هي أولا ً في أعماق القلب، بين البينة والهوى.

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

تخيل معي -رعاك الله- أن سورة محمد تبني فينا العقل والنفس خطوة خطوة. لقد بدأت بتوصيف الفريقين ومصير أعمالهم. ثم انتقلت إلى قانون النصر والهزيمة. ثم جاءت شهادة التاريخ تؤكد هذه السنة وتوضح أن الكافرين لا مولى لهم ولا ناصر.

وهنا، يأتي سؤال اعتراضي قد يقوله كافر: "نحن وإن لم يكن لنا ناصر، فنحن في قوتنا وتمتعنا، ولنا فلاسفتنا ومفكرونا، فهل نساوي نحن وأنتم؟".

فتأتي الآية (14) بهذا الاستفهام الإنكاري القاطع، لتضع حدًا فاصلا ً، وتقرر أنه لا وجه للمقارنة بين من يمشي على نور وبين من يتخبط في الظلمات. إنها الآية التي تفسر سر إصرار الكافرين على كفرهم رغم كل الآيات، ليكون ذلك ردًا على كل متعجب، وسلوى لكل مؤمن.

تفسير الآية (14) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾

المعنى العام للآية:

يقرر الله -عز وجل- مبدأً عظيمًا، وهو أنه لا يمكن أن يستوي عند الله ولا في حكم العقلاء، من كان متمسكًا بحجة واضحة وبرهان قاطع من ربه، وهو الإسلام والقرآن، مع من زين له الشيطان ونفسه ا لأمارة بالسوء أعماله السيئة من الكفر والمعاصي، فرآها حسنة جميلة، وانقاد وراء شهواته وأهوائه دون دليل أو برهان. إنه استفهام إنكاري، معناه: لا يستويان أبدًا! فشتان بين نور البصيرة وظلمات الهوى.

مقاصد وأهداف الآية:

.1نفي المساواة بين المؤمن والكافر، في القيمة والمصير، ليكون ذلك ردًا على كل من يتوهم أن القوة الدنيوية تعطي قيمة للإنسان.
.2كشف الحالة النفسية والفكرية للكافرين، وبيان أنهم واقعون تحت تأثير "التزيين" و"اتباع الهوى"، مما يجعلهم أسرى لأوهامهم.
.3إقامة الحجة على الكافرين، بأنهم لا يملكون برهانًا، بل يتبعون الظن والهوى، بعكس المؤمنين الذين على بينة من ربهم.
.4تثبيت المؤمنين، وتكريمهم بأنهم على بينة من ربهم، وليسوا متخبطين في ظلمات الحيرة.
.5تربية المؤمنين على تعليق قلوبهم بالحق والدليل، والتحذير من آفة اتباع الهوى التي قد تتسلل إلى قلوبهم.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: ﴿أَفَمَن كانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ – حالة المؤمن: النور والبصيرة

.1دلالة الاستفهام "أفمن"

تبدأ الآية بالهمزة للاستفهام، والفاء للعطف على كلام مقدر. والمعنى: أبعد كل ما أوضحنا من سنن في السابق، يستوي من كان على بينة ومن كان في عمى؟! إنه استفهام إنكاري، أي أن الجواب واضح ومستقر في الفطرة: كلا، لا يستويان.
هذا الأسلوب يجعلك أنت -أيها القارئ- تشارك في الحكم. كأن الآية تسألك مباشرة: ما رأيك؟ هل يستويان؟ فتأتي من أعماق فطرتك لتقول: لا.

.2معنى "البينة"

البينة هي الحجة الواضحة، والبرهان القاطع، والدليل الساطع الذي لا يدع مجالا ً للشك. وهي أبلغ من "الدليل" لأنها توحي بالوضوح والجلاء والظهور. إنها النور الذي ترى به الحق حقًا، فتميزه من الباطل تمييزًا كاملا ً.

.3دلالة حرف "على" في "على بينة"

هنا الإعجاز لا يتوقف! لم يقل الله: "أفمن معه بينة"، أو "أفمن عنده بينة"، بل قال: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾.
استخدام حرف "على" يفيد معنى الاستعلاء والتمكن والثبات.
فالمؤمن ليس مجرد حامل للبينة، بل هو مستعل عليها، متمكن منها، ثابت فوقها. إنها كالمركب الذي يركبه فلا تغمره أمواج الشكوك، وكالأرض الصلبة التي يقف عليها فلا تهزه رياح الشبهات. إنه موقف القوة واليقين والثبات.

.4"من ربه" – مصدر البينة وشرفها

البينة ليست من صنع عقله، ولا من نتاج فكره، بل هي ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾. وهنا الشرف العظيم والضمان الأكيد.

· "من ربّه" أي من عند الله الذي خلقه، وهو أعلم بما يصلحه.
· "ربّه" فيها معنى الرعاية والتربية .هذه البينة هي من ربك الذي يتولاك ويربيك، فلا يمكن أن يدلك إلا على الحق المطلق.
· هذا الوصف يملأ قلب المؤمن طمأنينة وثقة .أنا على علم ويقين ليس من عندي، بل من عند ربي!

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تمنحك الآية شعورًا عاليًا باليقين والثبات .أنت لست تائهًا، ولست شاكًا، بل أنت على حجة واضحة من رب العالمين .هذا هو السلاح النفسي الذي يواجه به المؤمن تزيينات الباطل.
· تربويًا: تعلمك أن تطلب العلم الشرعي بجد، لأن البينة لا تأتي إلا بالتعلم .وأن تتحول من "عنده

علم" إلى "على علم"، أي يصبح العلم صفة لازمة لك، وجزءًا من كيانك.
· عمليًا: في كل خلاف أو شبهة، لا تناقش بهواك، بل ارجع إلى "البينة" التي من ربك: الكتاب والسنة .
اسأل: أين الدليل؟ ما هي الحجة الواضحة؟

المحور الثاني: ﴿كمَن زُيّنَ لهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ – حالة الكافر: التزيين والانخداع

.1معنى "زُيّنَ له"

التزيين هو تجميل القبيح، وإظهاره بمظهر الحسن. الفعل مبني للمجهول ﴿زُيّنَ﴾ ليدل على أن هناك فاعلا ً خفيًا يزين له، وهذا الفاعل قد يكون الشيطان، وقد يكون النفس الأمارة بالسوء، وقد يكون قرناء السوء من الإنس. الكافر لا يرى عمله السيئ قبيحًا كما هو في حقيقته، بل يراه جميلا ً حسنًا، وهذا هو غاية الضلال. إنه يعيش في وهم يصنعه الشيطان.

.2"سوء عمله" – القبح الذي رآه حسنًا

وصف العمل بأنه سُوء، أي قبيح في ذاته، ضار في عاقبته. الكفر والشرك والظلم والفسق كلها سيئات. لكن هذا الكافر بدل أن يراها سيئة، انقلبت الموازين في عينيه، فرآها حسنًا.

.3الفرق بين المؤمن والكافر في الرؤية

· المؤمن: على بينة من ربه، فيرى الحق حقًا والباطل باطلا ً.
· الكافر: زُيّن له سوء عمله، فيرى الحق باطلا ً والباطل حقًا.

هذه هي علة العلل. الكافر لم يختر الباطل وهو يراه باطلا ً في العادة، بل هو يراه حقًا وجمالا ً! إنه ضحية التزيين، ولكنه ضحية مختارة لأنه أغلق عقله وقلبه عن نور الفطرة وهداية الوحي، فاستحق أن يوكله الله إلى نفسه وإلى الشيطان.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تزرع في نفسك خوفًا من أن تصاب بهذا الداء .أن ترى السيئة حسنة .وهذا يجعلك دائمًا في حالة حذر ومراجعة للنفس.
· عمليًا: على الداعية أن يفهم نفسية من يدعوهم .هم لا يرون الحق مكروهًا فقط، بل قد يرون الباطل جميلا ً .لذلك، عليه أن يزيح هذا التزيين بالحكمة أولا ً، قبل أن يفرض الحق.

المحور الثالث: المقارنة والمقابلة – نفي الاستواء

.1الاستفهام الإنكاري ودلالته

أفَمَن... كمَنْ؟ لقد حذف الجواب لأن السؤال نفسه يتضمنه. كأنك تقول: "أيستويان؟" فيجيب العقل فورًا: "لا والله، لا يستويان!". هذا الأسلوب يجعل الحكم ينبع من داخلك، فيكون أرسخ في النفس.

.2على ماذا يترتب نفي المساواة؟

نفي المساواة لا يقتصر على المنزلة في الآخرة فقط، بل يمتد ليشمل:

· نفي المساواة في القيمة الإنسانية: صاحب البينة أكرم وأعلى.
· نفي المساواة في العاقبة: أحدهما إلى جنة، والآخر إلى نار.
· نفي المساواة في الراحة النفسية: صاحب البينة في طمأنينة، والمتبع لهواه في قلق وتيه.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تملأ قلبك عزة بالإيمان .لا تقارن نفسك بأهل الباطل في الدنيا .لا تقل "فلان الكافر يملك ويفعل وأنا لا شيء" .أنت على بينة من ربك، وهذا أشرف ما في الوجود.
· تربويًا: تعلمنا ألا ننظر إلى الناس نظرة سطحية، بل نزنهم بميزان البينة والهوى .هذا يعلمنا أن نختار صحبتنا وشركاءنا وقدواتنا على أساس هذا الميزان.

المحور الرابع: ﴿وَاتبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ – جذر المشكلة: اتباع الهوى

.1الفرق بين "التمتع" و"اتباع الهوى"

هنا زيادة إيضاح عن الآية (12) التي وصفت الكفار بأنهم "يتمتعون ويأكلون". الآن يتعمق الوصف ليصل إلى الجذر: اتبَعُوا أَهْوَاءَهُم. إنهم لم يكتفوا بالتمتع، بل جعلوا هواهم إمامًا وقدوة وقائدًا. الهوى ليس مجرد شهوة عابرة، بل هو إله يُعبد من دون الله. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.

.2خطورة اتباع الهوى

الهوى أعمى، لا يفرق بين حق وباطل. من اتبع هواه أصبح عبدًا لهواه، وساقه هواه إلى حيث لا يدري. الهوى هو الذي زين لهم سوء أعمالهم، فكلما اتجهوا إلى الحق، صرفهم هواهم عنه، وكلما مالوا إلى الباطل، جملته لهم أهواؤهم.

.3دلالة الجمع "واتبعوا"

استخدام صيغة الجمع ﴿وَاتبَعُوا﴾ بعد الإفراد في ﴿زُيِّنَ لَهُ﴾ يشير إلى أنهم في ضلالتهم مجتمعون، يتبعون أهواءهم المتعددة والمختلفة، وهذا يبين أنهم على غير هدى ثابت، بل كل منهم يتبع هواه، مما يجعلهم في صراع وتناقض، بعكس المؤمنين الذين يجمعهم الحق الواحد.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· تربويًا: هذا هو أخطر ما يحذر منه الإسلام: اتباع الهوى .إنه الداء الذي إذا دخل قلب المسلم أخرجه من البينة إلى الظلمة .فعلينا أن نجاهد أهواءنا لنخضعها للوحي.
· عمليًا: في كل قرار، توقف واسأل: هل اختياري هذا مبني على بينة من الكتاب والسنة، أم هو اتباع لهواي ورغبتي؟ هذه هي التصفية اليومية للنفس.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

القراءة الواعية لهذه الآية هي أن تجعلها ميزانًا لنفسك ومن حولك:

· في دائرة "البينة":
· محاسبة النفس: هل أنا "على بينة" من ربي في أصول ديني وفروعه؟ أم أني أقلد وأتبع دون علم؟ هل بينتي تمنحني الاستعلاء على الشبهات أم أني أضطرب عند أول إثارة؟
· التطبيق العملي: خصص وقتًا يوميًا لطلب العلم الشرعي بجد، ولو آية واحدة تتعلم تفسيرها وأحكامها .اسأل دائمًا عن الدليل .قل: "ما الدليل من الكتاب والسنة؟" .هذا يبنيك بناءً راسخًا.
· في دائرة "تزيين سوء العمل":
· محاسبة النفس: أخطر سؤال: ما هو "سوء العمل" الذي زُيّن لي وأنا لا أشعر؟ هل هناك معصية أصر عليها وأجد في نفسي ميلا ً إليها لدرجة أني بدأت أراها صغيرة أو جميلة؟ هل هناك فكر منحرف أو شبهة تعلقت بقلبي وصرت أدافع عنها؟
· التطبيق العملي: اعرض أعمالك وأفكارك على عالم رباني تثق في دينه وعلمه .صارحه بما في نفسك .أحيانًا، التزيين يكون من الشيطان، ولا ترى حقيقة نفسك إلا بمرآة صادقة .واسأل الله دائمًا: " اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلا ً وارزقني اجتنابه".
· في دائرة "اتباع الهوى":
· محاسبة النفس: في خلافاتي مع الناس، هل أنا أبحث عن الحق أم أبحث عن ما يوافق هواي؟ عندما أقرأ القرآن أو أحضر درس علم، هل قلبي يفرح بالآية التي توافق مزاجي وينقبض من التي تخالفه؟
· التطبيق العملي: خالف هواك مرة في اليوم على الأقل .درب نفسك على أن تقول لها: "لا" في شيء مباح لتقوى على قولها في الحرام .إذا اشتهيت شيئًا حلالا ً، اتركه أحيانًا لتروض نفسك على ألا تكون عبدًا لهواك.

ثالثًا: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1قيمة البصيرة والعلم: الحياة لا تخاض بالجهل .البينة هي السلاح الأقوى.
.2قيمة تحكيم الوحي: لا تجعل ذوقك أو ما يسمى "قناعاتك الشخصية" حكمًا، بل حكم الكتاب و السنة.
.3قيمة عدم الاغترار بالظاهر: صاحب الهوى قد يكون متحضرًا، ومتبرجًا، ومثقفًا، لكنه في الميزان الإ لهي لا يساوي شيئًا بلا بينة.
.4قيمة المراجعة الدائمة: لأن القلب يتقلب، ولأن التزيين قد يتسلل إلينا، فعلينا أن نراجع نوايانا وأعمالنا باستمرار.
.5قيمة موضوعية الحق: الحق ليس ما يوافق هواك، بل هو ما أنزله الله .هذه القيمة تجعلك مرنًا في تقبل الحق حتى لو كان ضد مصلحتك.

رابعًا: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا الآية إلى أن نكون أصحاب "بينة" لا مجرد متبعين للعادات والتقاليد .كل قول أو فعل نتبناه يجب أن يقوم على حجة من الله.
· تدعونا إلى أن نفهم ظاهرة الضلال .المدمن، والمنحرف، والكافر، ليسوا مجرد أشرار، بل هم غالبًا ضحايا تزيين سوء العمل واتباع الهوى .فهم هذا يساعدنا على الدعوة بالحكمة.
· تعلمنا أن نسمو عن مستوى "الأكل كالأنعام" إلى مستوى "أصحاب البينة" .فالحياة ليست للتمتع فقط ، بل للوصول إلى اليقين والعبادة على بصيرة.
· تعلمنا كيف نحمي أنفسنا من الانحراف: بأن نطلب البينة أولا ً، ونراقب أنفسنا من تزيين الهوى ثانيًا، ونكون صرحاء مع ذواتنا.

خامسًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس البصيرة قبل العمل: لا تقدم على أي عمل حتى تعرف حكم الله فيه .هذه البصيرة هي التي تجعل عملك صالحًا مقبولا ً.
· درس خطر اتباع الهوى: الهوى إله يعبد من دون الله .من اتبع هواه أهلكه .فكن عبدًا لله، لا عبدًا لهواك.
· درس اليقين: المؤمن على يقين، والكافر في وهم .اسع دائمًا لتحصيل اليقين بالعلم والعمل.
· درس عدم المقارنة: لا تقارن نفسك بغيرك في الدنيا .قيمتك بما تحمل من حق، لا بما تملك من م ال.
· درس توهم الصواب: ليس كل من اعتقد أنه على حق يكون على حق .الميزان هو الوحي، لا مجرد الشعور الداخلي.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هيا بنا نستخرج الطاقة الهائلة من هذه المفاهيم لنبني بها أمتنا:

أولا ً: المفاهيم العملية وكيف نبني بها الإنسان الفاعل والمجتمع الحي:

.1مفهوم) الاستعلاء بالبينة(: تحويله إلى طاقة يصنع إنسانًا واثقًا صاحب مبدأ .هذا الإنسان لا تهزه التيارات الفكرية، ولا الموضات الاجتماعية .وهو يبني مجتمعًا ثابتًا على مبادئه، لا يسير في فلك الحضارات الأخرى.
.2مفهوم) محاربة تزيين سوء العمل(: تحويله إلى طاقة عملية يعني بناء إنسان ناقد بصير، يرى خلف الدعايات البراقة حقيقة القبح .هذا يبني مجتمعًا واعيًا لا ينخدع بالإعلام المفسد، ويدرك مخططات أعداء الأمة.

ثانيًا: المفاهيم النفسية وكيف نبني بها إنسانًا مطمئنًا قويًا:

.1مفهوم) البينة من الرب(: تحويله إلى طاقة نفسية هو مصدر الطمأنينة المطلقة .أنا على علم من

ربي .هذا الشعور وحده يبدد القلق الوجودي، ويجعل للمؤمن سكينة لا يجدها أصحاب الفلسفات المادية.
.2مفهوم) نفي المساواة(: تحويله إلى طاقة يمنح المؤمن عزة نفس فلا ينظر بحسرة إلى من هم على باطل، بل يشعر بقيمته العالية عند الله.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية وكيف نبني بها عقلا ً مستنيرًا وحضارة راسخة:

.1مفهوم) مركزية الدليل والوحي(: هذا المفهوم يبني العقل العلمي الحقيقي .الأمة التي تبني كل شيء على الدليل والبينة هي أمة علم وحضارة.
.2مفهوم) تشخيص الداء في اتباع الهوى(: هذا المفهوم يقدم لنا فلسفة متكاملة للانحطاط .انحطاط الأمم سببه اتباع الهوى وترك البينة .هذا يجعل مشروعنا النهضوي هو العودة لمصادر الوحي.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم لبناء الحضارة:

انظر كيف يكمل هذا البناء بعضه بعضًا:

· الإنسان الذي يعيش على بينة من ربه) مفهوم فكري...(
·... ويشعر بالاستعلاء والعزة بهذه البينة) مفهوم نفسي...(
·... يصبح ناقدًا بصيرًا لا ينخدع بتزيين الباطل) مفهوم عملي...(
·... وهذا الإنسان الفرد، عندما يتجمع مع أمثاله، يبنون مجتمعًا قويًا ثابتًا واعيًا) مفهوم مجتمعي...(
·... وهذا المجتمع هو الذي يصنع حضارة الحق التي تقود البشرية، لا حضارة الهوى التي ترتكس إلى البهيمية.

هكذا، تكون الآية الواحدة مشروعًا متكاملا ً، متى فهمناها حق الفهم، وطبقناها حق التطبيق.

رسالة ختامية

يا من تسير في هذه الحياة، إنها دعوة سماوية لأن تكون من "أهل البينة". أن يكون لك نور تمشي به، وحجة تنطق بها، وثبات تقف عليه. لا تكن ممن زُيّن لهم سوء أعمالهم، فرأوا الحق باطلا ً و الباطل حقًا.

اسأل نفسك في كل ليلة: أين أنا من هذين الطريقين؟ هل ازددت اليوم علمًا ويقينًا فأصبحت على بينة؟ أم أن هوى نفسي استدرجني خطوة نحو التزيين؟
المبحث الرابع

كم هو عظيم أن نقف في رحلتنا هذه مع آية هي من أبدع ما صور القرآن الكريم. إنها لوحة فنية ربانية، رسمها الجليل -سبحانه- بألوان الكلمات، لتكون أمام عينيك وقلبك، لتشتاق إلى الجنة، وتستعيذ من النار.
في الآيات السابقة، وضع الله -عز وجل- ميزان القيم الحقيقي. لقد سألنا سؤالا ً استنكاريا: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾. والآن، بعد أن تقرر في ضميرك أنهما لا يستويان، يأتي الجواب العملي البليغ. لا يستويان في الدنيا قيمةً ولا في الآخرة مصيرًا. وتأتي آيتنا هذه لترينا "مَثَلَ" المصيرين، لتجعل الفرق ماثلا ً أمام عينيك، لا كفكرة مجردة، بل كمشهد حي، ترى فيه أنهار الجنة وتكاد تلمسها، وتسمع فيه أزيز النار الحميم وتكاد تستجير منه.

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

تأمل معي -يا رعاك الله- كيف أن هذه السورة، سورة المواجهة والتمكين، لا تريد منك أن تكون مجاهدًا بجسدك فقط، بل تريد أن يكون جهادك عن بصيرة وشوق. لذلك، بعد أن كشفت حقيقة الصراع، وقانون النصر، وسنة التاريخ، وعمق الفرق بين المؤمن والكافر (آية 14)، تأتي هنا لترفع الغطاء عن المصير النهائي المحتوم.

إنها الآية التي تجيب عمليًا على سؤال الآية السابقة. كأن السورة تقول لك: أتعلم لماذا لا يستوي من على بينة ممن اتبع هواه؟ انظر إلى "مثل" عاقبتهما. انظر إلى ما ينتظر كلا ً منهما. هذه الآية هي

الترجمة البصرية الحسية للتفاوت العظيم بين الفريقين. إنها تنقلك من دنيا الأسباب إلى آخرة الجزاء، ليزداد يقينك، ويقوى عزمك، وتهون عليك مشاق الطريق، وتحقرك في عينك زينة الدنيا الفانية.

تفسير الآية (15) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد أن بين الله أنه لا يستوي من هو على بصيرة ممن اتبع هواه، يضرب هنا مثلا ً رائعًا للجنة التي أعدها للمتقين، فيصف أنهارها الأربعة العجيبة (الماء، واللبن، والخمر، والعسل) التي لا تفسد ولا تتغير، ويذكر ما فيها من كل أصناف الفواكه والثمرات، ويختم بأعظم نعيم وهو المغفرة من الله ورضوانه. ثم يأتي بمقابلة صادمة، فيقول: أهذا الذي وصفناه من نعيم المتقين، كحال من هو خالد مخلد في النار لا يخرج منها، وسُقي ماءً حارًا شديد الغليان، فقطع أمعاءه وأحشاءه؟! إنه استفهام إنكاري تقديره: لا، لا يستويان مطلقًا.

مقاصد وأهداف الآية:

1.تجسيد الفروق بين الفريقين في مشهد حسي بديع، يخاطب العقل والقلب والوجدان.
2.تحفيز المؤمنين على التقوى والعمل الصالح، ببيان النعيم المنتظر، وترغيبًا في الجنة.
3.ترهيب الكافرين والعصاة من سوء المصير، ببيان العذاب المنتظر، وتنفيرًا من النار.
4.تعليم المؤمنين مبدأ المقارنة بين الدنيا والآخرة، وأن متاع الدنيا ليس إلا ظلا ً زائلا ً أمام نعيم الجنة.
5.ترسيخ عقيدة الثواب والعقاب في النفوس، بطريقة تجعلها حية دافعة للسلوك القويم.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ" – افتتاحية الشوق والوعد

1.دلالة لفظ "مثل"

مَثَلُ أي صفتها وحالها العجيبة الشأن. هنا لا يعني المثل بمعنى التشبيه بشيء آخر، بل هو وصف لحقيقتها المدهشة. كأنه يقدم لك وصفًا تشتاق إليه، ويحفز خيالك لترسم الصورة.

2."الجنة" – دار النعيم

اسمها الجنة يوحي بالستر والخفاء من شدة التفاف أشجارها. إنها الاسم الذي يملأ قلب المؤمن أملا ً وسرورًا.

3.الربط بـ "المتقون"

لم يقل "الذين آمنوا" كما في مواضع أخرى، بل قال المُتَّقُونَ. لماذا هنا تحديدًا؟ لأن سياق السورة يتطلب المجاهدة والمواجهة. التقوى هي جماع الخير كله، وهي التي تدفع صاحبها للتضحية والصبر. كأنه يقول: الجنة أعدت لمن اتقى الله، فخافه، وأطاعه، وجانب معصيته.

4."وُعِدَ" – تأكيد الوعد

بصيغة المبني للمجهول وُعِدَ، لتعظيم الواعد، وهو الله. إنه ليس مجرد كلام، بل هو وعد قاطع من الجبار، ووعده صدق مطلق.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: يعلق القلب بالوعد، فيسكن إليه، ويشتاق إلى تحقيقه .والوعد بالجنة هو أعظم وعد.
· تربويًا: يربينا على أن طريق الجنة هو التقوى .فمن أراد هذا المثل العظيم، فليتق الله في سره وع لانيته.

المحور الثاني: وصف الأنهار الأربعة – تنوع النعيم وكماله

.1"أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ"

· الماء: هو أصل الحياة، وأكثر ما يحتاجه البشر .في الدنيا، الماء يفسد ويأسن ويتغير طعمه ورائحته . لكن في الجنة، هو ماء لا يتغير أبدًا .غَيْرِ آسِنٍ أي غير متغير الرائحة ولا الطعم، بل هو في غاية النقاء والعذوبة.
· الرسالة: هذه أول لبنة في بناء الثقة بأن نعيم الجنة لا يشوبه كدر.

.2"وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ"

· اللبن: غذاء كامل، وهو في الدنيا يحمض ويفسد ويتغير طعمه .وفي الجنة هو طازج أبدًا .لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ بنفي الماضي والمستقبل، فهو دائم الكمال، لم يحلب من حيوان فيتغير، بل هو مخلوق ابتداءً.
· الرسالة: الجنة خير دائم، لا تعرف قانون الفساد الأرضي.

.3"وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ"

· الخمر: في الدنيا، أصلها كريه، وطعمها مر، وعاقبتها الخمار وصداع الرأس وإثم كبير .أما في الجنة، فهي خمر لَذَّةٍ أي في منتهى اللذة، وليس فيها غول ولا هم ينزفون .لِّلشَّارِبِينَ خصت الشاربين، لأنهم هم من يتلذذون بها، أما من ينظر إليها فقط فلا يدرك كمال لذتها .إنها لذة لا تذهب بالعقل، ولا تورث صداعًا، إنما هي لذة خالصة.
· الرسالة: ما حرمه الله عليك في الدنيا، عوضك عنه في الجنة بأفضل مما خطر ببالك .فاترك الحرام، وأبشر بالحلال الذي لا عيب فيه.

.4"وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى"

· العسل: هو الشفاء والغذاء والحلاوة .في الدنيا، يخرج من بطون النحل وقد يخالطه شمع أو شوائب .أما في الجنة فهو مُصَفًّى، منقى من كل ما يكدره، صافٍ في لونه، نقي في طعمه.
· الرسالة: نعيم الجنة نقاء وصفاء بلا شوائب.

التكامل بين الأنهار الأربعة

اجتمع في هذه الأنهار الأربعة كل ما تشتهيه النفس: سقيا الماء، وغذاء اللبن، ولذة الخمر، وحلاوة العسل. إنه تنوع مبهر، يخاطب كل الحواس، ويشير إلى كمال النعيم وتكامله.

المحور الثالث: "وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" – عموم النعيم وشموله

بعد أن وصف الأنهار الجارية، ينتقل إلى ما هو قائم على الشجر: مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ. عبارة جامعة مانعة. كل ما خطر ببالك من فاكهة، وكل ما لم يخطر، فهو فيها. "من" للتبعيض، ولو قال "كل الثمرات" لكان نفيسًا، لكنه قال "مِن" للدلالة على أن ما يعطونه هو عينات مختارة من أفضلها، مع أنها كلها فاضلة.

المحور الرابع: "وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ" – ذروة النعيم وأعظمه

وهنا، بعد كل هذا النعيم الحسي، يأتي النعيم المعنوي الأعظم: وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ. يا للروعة! لماذا المغفرة هنا؟

· لأنها أعلى وأعظم مما وصف .نعيم الجنة الجسدي مشترك بين المؤمنين جميعًا .أما لذة رضوان الله ومغفرته فهي خاصة بالصالحين.
· "مِن رَّبِّهِمْ" وفيها من الشرف ما فيها .هذه المغفرة ليست من ملك، بل من الله ربهم، الذي رباهم بنعمه، وها هو يختم تربيتهم بالمغفرة والرضوان .إنها إشارة إلى أن غاية النعيم هي رضا الله، لا

مجرد الأكل والشرب.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: إذا شعرت بضيق أو ذنب، تذكر أن المغفرة من ربك هي أعظم ما تنتظره.
· تربويًا: نتعلم أن نطلب من الله الجنة وما فيها، ولكن قبل ذلك نطلب مغفرته ورضوانه.

المحور الخامس: "كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ" – المقابلة الصادمة

بعد أن أمعن في وصف الجنة، يأتي بسؤال استنكاري تقريري: كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ. أهذا الذي في النعيم، كمن هو خالد في النار؟! كلا! شتان بينهما!

· "خالد": دائم أبدي لا يموت ولا يخرج.

المحور السادس: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ" – أقصى العذاب في مقابل أقصى النعيم

في الجنة "أنهار من ماء غير آسن"، وفي النار "ماء حميم". ماء حار يغلي، بلغ من الحرارة أنه إذا شربوه ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، أي قطع أحشاءهم وأمعاءهم تقطيعًا. إنه مشهد مقابل: بدل الماء العذب، ماء يحرق، وبدل اللبن الشافي، ما يقطع الأمعاء.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية من المشهدين معًا:

· نفسيًا: ترى كل خلية فيك تهتز خوفًا من النار، وتشتاق إلى الجنة.
· عمليًا: الفرق بين المصيرين لا يحتمل المجازفة .هذه الصورة يجب أن تقودك إلى العمل.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "مثل الجنة":
· محاسبة النفس: أين أنا من "المتقين"؟ هل أنا ممن وُعدوا بهذه الجنة؟
· التطبيق العملي: اقرأ أوصاف الجنة بتدبر .تخيل أنهارها .وتذوق في خيالك لذة خمرها .هذا الشوق هو زادك.
· في دائرة "الأنهار الأربعة":
· التطبيق العملي: عندما تشرب كأس ماء بارد، تذكر النعمة، واشكر الله، وقل: "اللهم إني أسألك من ماء الجنة" .عندما تشرب اللبن، استحضر نهر اللبن .عندما تأكل العسل، استحضر نهر العسل.
· في دائرة "المغفرة":
· محاسبة النفس: هل أنا مشتاق لمغفرة الله كما أنا مشتاق لنعيم الجنة؟
· التطبيق العملي: أكثر من الاستغفار .قل دائمًا: "اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل".
· في دائرة "خالد في النار":
· محاسبة النفس: هل أنا آمن من مكر الله؟
· التطبيق العملي: تصدق ولو بشيء يسير بنية أن ينجيك الله به من النار.

ثالثًا: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

.1قيمة الشوق إلى الجنة: هو المحرك الأقوى للعمل الصالح.
.2قيمة الخوف من النار: هو الرادع الأقوى عن المعاصي.
.3قيمة التقوى: هي مفتاح الجنة.
.4قيمة المغفرة: هي أعلى مراتب النعيم.
.5قيمة التوازن بين الرجاء والخوف: لا تطغى واحدة على الأخرى.
.6قيمة اليقين بالآخرة: من عاش بها هانت عليه شدائد الدنيا.

رابعًا: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا إلى أن نكون من المتقين، لا بالاسم فقط، بل بالفعل.
· تعلمنا أن ننظر إلى الدنيا على أنها مزرعة الآخرة، فكل ما فيها هو تذكرة لنعيم أعظم أو عذاب أشد.
· تعلمنا كيف نتعامل مع شهواتنا: نترك حرام الدنيا لشهوة أعظم في الجنة) الخمر مثالا ً.(
· تعلمنا كيف نتعامل مع نعم الدنيا: نذكر الله ونشكره عليها، ونتذكر أنها من أنهار الجنة.
· تعلمنا أن نجعل الاستغفار وطلب رضوان الله غايتنا.

خامسًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس الهدف الأسمى: ليكن هدفك في الحياة "مغفرة من ربك وجنة عرضها السماوات والأرض".
· درس تهوين المصائب: كل ألم في الدنيا يهون عند تذكر عذاب النار، وكل نعيم يهون عند تذكر نعيم الجنة.
· درس تحويل المباحات إلى عبادات: بتذكر نعيم الجنة وشكر المنعم.
· درس خطورة الأمن من مكر الله: لا تضمن لنفسك الجنة، اعمل واخش، وارجُ واطلب المغفرة.
· درس القناعة والعفة: عفة الدنيا تقودك إلى لذات الجنة.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) السعي للجنة(: يبني إنسانًا دائب الحركة، طاقته لا تنضب، لأن هدفه الجنة.
.2مفهوم) التقوى(: يبني إنسانًا أخلاقيًا رقيبًا على نفسه، يبني مجتمعًا آمنًا.
.3مفهوم) التفكر في النعيم والعذاب(: يبني إنسانًا صاحب إرادة قوية، يقاوم الشهوات ويرتقي.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) وُعِدَ المتقون(: يبني إنسانًا مفعمًا بالأمل، لا ييأس مهما بلغت ذنوبه.
.2مفهوم) المغفرة(: يبني إنسانًا متصالحًا مع نفسه وربه، طاهر القلب.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) الثنائية(: يبني عقلا ً قادرًا على التمييز بين الحق والباطل، والنعيم والعذاب.
.2مفهوم) مركزية الآخرة(: يبني فلسفة حضارية تقوم على "استخلاف" الإنسان في الأرض ليعمرها لا ليعبدها.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:

المجتمع الذي يعيش أفراده بشوق للجنة وخوف من النار، هو مجتمع منتج، نظيف، آمن، والعلاقات فيه قائمة على التقوى.

رسالة ختامية

يا أخي، هذه الآية هي دعوة مفتوحة من الرحمن. تخيل نفسك وأنت تتفيأ ظلال الجنة، وتشرب من أنهارها. ثم اسأل نفسك: أهذا هو ما أريده؟! إذن، فالطريق واضح: كن من المتقين، واجعل شعارك: "وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى".

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الثاني
اولا
تبدا ايات هذا المقطع بالحديث عن المعركه مع المنافقين فتبين اوصافهم واحوالهم وكيف يكون استقبالهم للايات اثناء حضورهم مجالس العلم عند رسول الله بانه حضور اجساد دون حواس ومداركهم غير موجوده فلا يسمعون ولا يفقهون فقال تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون)

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن نقلتك الآية السابقة -يا رعاك الله- إلى مشهد المصير، حيث رأيت أنهار الجنة بعين قلبك، وكدت تسمع أزيز الحميم وهو يقطع أمعاء أهل النار، يعود بك السياق القرآني العظيم إلى أرض الواقع، إلى مشهد من المشاهد الحية التي كانت تحدث في زمن التنزيل. إنها نقلة عظيمة من "المثل" الغيبي إلى "النموذج" الواقعي.

لقد تساءلت الآية (14): ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾. ثم جاء الجواب العملي في الآية (15) ببيان مثلي المصيرين. وهنا في الآية (16)، تكشف السورة عن نموذج حي من أولئك الذين اتبعوا أهواءهم، إنهم "طائفة من المنافقين"، تراهم بأعينهم يجلسون إليك أيها النبي، ويستمعون لهديك، لكن قلوبهم في وادٍ آخر. إنها الآية التي ترينا كيف يمكن للإنسان أن يكون قريبًا جسدًا من دوحة الوحي، لكنه بعيد روحًا عن رذاذ رحمته. هذه الآية هي تشريح عملي لمرض "الاستماع بلا وعي"، وكشف لحقيقة خطيرة: أن العبرة ليست بحضور الجسد، بل بحضور القلب.

تفسير الآية (16) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد بيان الفرق الشاسع بين مصير المؤمنين والكافرين، ينتقل السياق لفضح طائفة من المنافقين الذين كانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، تستمع آذانهم لكلامه، لكن قلوبهم غافلة لا هية. فما إن يخرجوا من عنده حتى يسألوا المؤمنين العلماء، كابن عباس أو غيره، سؤال المستهزئ المتجاهل: "ماذا قال محمد قبل قليل؟!". إنهم لا يعبؤون بالوحي، وكأنهم لم يسمعوا شيئًا. فيأتي الحكم الإلهي القاطع: هؤلاء هم الذين ختم الله على قلوبهم بسبب إعراضهم واتباعهم أهوائهم، فلا يصل إليها نور الإيمان.

مقاصد وأهداف الآية:

1. فضح ظاهرة النفاق العملي: وهي أن يكون الجسد حاضرًا والقلب غائبًا عن مواطن الذكر و التوجيه.
2. التحذير من خطورة الاستماع السطحي: الذي لا يتجاوز الأذن، ولا يلامس القلب، فيكون وبالا ً على صاحبه.
3. بيان أن العلم النافع يورث الخشية: بينما الجهل والهوى يورثان الغفلة والسخرية.
4. تعليم المؤمنين أن الاستفادة من الوحي والعلم الشرعي مرهونة بالإقبال القلبي والنية الصادقة.
5. كشف العلاقة الطردية بين اتباع الهوى وقسوة القلب: فالهوى يُعمي ويُصم، ويجعل صاحبه أمام الحق كالأصم الأعمى.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ" – مشهد الحضور الجسدي الخادع

1. دلالة "وَمِنْهُم"
الضمير يعود على الكفار أو المنافقين الذين تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. وكأن الآية تقول: لا تتعجب أيها النبي، فمن هؤلاء الذين يعيشون بهيمية مادية، من يصل به الحال إلى أن يستمع لكلام رب العالمين بهذه الصورة.

2. الفارق بين "يَسْتَمِعُ" و"يسمع"
لم يقل "ومنهم من يسمع إليك"، بل قال يَسْتَمِعُ. صيغة "يستمع" تدل على الطلب والإصغاء الظاهري، وكأنه يتكلف الاستماع ويظهر الاهتمام. إنه استماع بآذان الجسد فقط، وليس استماع إنصات بالقلب. إنهم يجلسون إليك، وينظرون إليك، ويصغون بآذانهم، لكن قلوبهم قد غُلّقت دونه.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: مشهد يثير الغرابة والأسى. كيف يجلس إنسان إلى منبع الهدى ثم يخرج بقلب فارغ؟ إنه تذكير دائم بأن القرب المادي من الصالحين ليس ضمانًا للهداية.
· عمليًا: راقب قلبك في مجالس العلم والذكر. هل تستمع "إلى" المتحدث، أم تستمع "بـ" قلبك؟ الفرق شاسع بين استماع الأذن واستماع الجَنان.

المحور الثاني: "حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ" – لحظة كشف الحقيقة

1. دلالة "حتى" الغائية
"حتى" هنا تفيد الغاية، أي أن استماعهم هذا يستمر طوال فترة جلوسهم، ولكن غايته ونهايته هي ما بعد الخروج. المشكلة ليست في البداية، بل في النتيجة. إنه كمثل طالب حضر الدرس كاملًا، لكنه خرج ولم يفهم حرفًا. مكثوا الساعة الطويلة، وطال بهم المجلس، ومع ذلك لم يعلق بقلوبهم شيء.

2. دلالة "خَرَجُوا"
مجرد خروجهم من عندك، وانفصالهم عن جسدك الطاهر، يُحدث انقلابًا في سلوكهم. وجودهم عندك يمنعهم من النفاق بادئ الأمر، ولكن "إذا خرجوا" انطلقوا على حقيقتهم. لماذا؟ لأنهم كانوا كالماء الراكد، إذا انفصل عن النبع سرعان ما يتغير ويكتسب صفات الأرض التي هو فيها.

3. لطيفة "مِنْ عِندِكَ"
لم يقل "من عندك" فقط للتحديد المكاني، بل فيها إشارة إلى علو المقام وشرفه. هم خرجوا من "عند" النبي، من حضرته، من مجلس الوحي. ومع ذلك، لم ينتفعوا. إنه توبيخ ضمني: أتخرج من عنده ولا تدري ما قال؟!

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· تربويًا: لا تغتر بطول المكوث في مجالس الخير، فالاعتبار بالثمرة لا بالحضور. النتيجة هي ما يحدث بعد انتهاء الدرس: هل أنت متشوق للعمل، أم أنت تائه كأنك لم تسمع شيئًا؟

المحور الثالث: "قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا" – قمة الاستهانة والبلادة

1. "قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" – سؤال المستهزئ

· من هم الذين أوتوا العلم؟ هم الصحابة العلماء الذين وعوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم، كابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من فقهاء الصحابة.
· لماذا يسألونهم؟ ليس سؤال مسترشد جاهل يريد الفهم، بل هو سؤال استهزاء وتنقص. يوجهون السؤال لهم دون غيرهم لسببين: الأول، السخرية من علمهم وحرصهم على الحفظ. الثاني، التأكيد على أنهم هم أيضًا لم يفهموا هذا الكلام، فهو كلام غير مهم.

2. "مَاذَا قَالَ آنِفًا" – دقة التعبير القرآني

· "مَاذَا قَالَ": استفهام عن شيء يستقلونه، ويحقرون شأنه. لم يقولوا "ماذا قال الرسول؟" أو "ماذا قال النبي؟"، بل قالوا "ماذا قال" بضمير الغيبة، كناية عن عدم توقيره في قلوبهم.
· "آنِفًا": أي قبل قليل، منذ لحظات. هذا هو المثير للدهشة! لقد قاله "آنفًا"، أي أن الكلام ما زال حديث الساعة، طريًا، لم يمر عليه زمن طويل. نسيانه الفوري ليس نسيانًا حقيقيًا، بل هو تجاهل

واستخفاف. إنها بلادة حسية ومعنوية.

الرسالة التربوية:

· هذا المشهد هو صورة معكوسة للمؤمن الصادق الذي يخرج من مجلس العلم وهو يردد الآيات والأحاديث، وكلام شيخه في أذنه، يُريح به قلبه. أما هؤلاء، فقد خرجوا كأن على آذانهم وقرًا.

المحور الرابع: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ" – التشخيص الإلهي والخاتمة المأساوية

1. "أُولَٰئِكَ" – الإشارة للبعيد
أداة الإشارة "أولئك" تستخدم للبعيد، وكأنهم يُشار إليهم بأنهم بعيدون جدًا عن رحمة الله، وقد سقطوا في هوة سحيقة من الغفلة.

2. "طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ"

· الطبع: هو الختم المحكم، بحيث لا ينفذ إلى القلب نور، ولا يخرج منه إيمان. إنها عقوبة قلبية. لما أغلقوا قلوبهم طواعية باتباع الهوى، ختم الله عليها عدلا ً.
· إسناد الطبع إلى الله: هذا هو العدل الإلهي. حين يعرض الإنسان عن نور الوحي مرارًا وتكرارًا، ويستهزئ به، تأتي لحظة يختم الله فيها على قلبه. إنها سنة إلهية: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم".

المحور الخامس: "وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ" – علة المرض وسببه

هذا هو التفسير الأخير والعلة الجذرية: وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ. لم يقل "واتبعوا هواهم" بل "أهواءهم"، بصيغة الجمع. لماذا؟
لأن لكل واحد منهم هواه الخاص به: هوى الرئاسة، هوى المال، هوى العداوة للإسلام، هوى الخوف من فقدان المكانة. اجتمعت أهواؤهم المتفرقة على رد الحق. الطبع على القلب لم يأتِ ابتداءً، بل كان نتيجة حتمية لاتباع الأهواء. الأهواء هي صنم كل إنسان في عنقه. والهوى إذا استولى على القلب جعله أصم عن الحق، وأعمى عن الهدى.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ":
· محاسبة النفس: عندما تجلس لتقرأ وردك من القرآن، أو تحضر درس علم، اسأل نفسك: أين قلبي الآن؟ هل استماعي كاستماع المنافقين، جسد حاضر وقلب شارد؟
· التطبيق العملي: قبل أي مجلس علم أو ذكر، قف للحظة وانو بقلبك: "اللهم إني أريد علمًا نافعًا، لا علمًا يكون حجة عليّ".
· في دائرة "مَاذَا قَالَ آنِفًا":
· التطبيق العملي: بعد كل صلاة، اختبر نفسك. هل تستطيع أن تقول ما قرأته في ركعاتك؟ أم أن صلاتك أصبحت عادة جسدية؟ اجعل لك عادة أن تتدبر آية واحدة على الأقل، أو أن تذكر من الخطبة جملة واحدة تؤثر فيك.
· في دائرة "طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ":
· محاسبة النفس: هل أشعر بقسوة في قلبي؟ هل أسمع آيات الوعيد ولا أهتز؟ هذا نذير خطر. ابحث فورًا عن الذنوب والأهواء التي تسببت في ذلك.
· في دائرة "اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ":
· محاسبة النفس: ما هو هواي الخفي الذي يمنعني من قبول الحق؟ هل هو الكبر؟ أم حب المال ؟ أم الخوف من كلام الناس؟ حدده وحاربه.

ثالثًا: أهم القيم للآية في حياتنا العملية

1. قيمة الإقبال القلبي: أن استماع الأذن لا قيمة له إن لم يصحبه حضور القلب.
2. قيمة التدبر: أن الهدف من السماع هو الفهم والعمل، لا مجرد الاطلاع.
3. قيمة مراقبة آثار العلم: أن أثر العلم الصحيح يظهر بعد مغادرة مجلسه.

4. قيمة تعظيم الوحي: أن الاستهانة بكلام الله ورسوله دليل على مرض القلب.
5. قيمة الخوف من الطبع: أن الإصرار على الذنوب واتباع الهوى يؤدي إلى أشد العقوبات القلبية.

رابعًا: ما الذي تدعونا إليه الآية وما نتعلمه منها في حياتنا العملية

· تدعونا إلى تطهير النية: قبل أي عبادة أو طلب علم، بأن ننوي به وجه الله، لا الرياء أو العادة.
· تعلمنا ألا نكون "سمّاعين" فقط: بل نكون "واعين". الفارق بين المؤمن والمنافق هو الوعي.
· تعلمنا محاسبة أنفسنا: بسؤال دائم: هل أثر فيّ كلام الله اليوم؟ ماذا حفظت؟ ماذا عملت؟
· تحذرنا من رفقة السوء: الذين يستهزئون بالعلم وأهله، ويشجعون على الغفلة.
· تعلمنا أن الخطر الحقيقي ليس في عدم السماع، بل في السماع بلا تدبر، فهو وبال على صاحبه.

خامسًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية

· درس "الاستماع مسؤولية": الأذن أمانة، وستُسأل عما سمعت وماذا عملت. فلا تملأها بسفاسف الأ مور، واجعل لنفسك يوميًا وقتًا لاستماع الحق.
· درس "النسيان المتعمد": كثير منا يسمع المواعظ ويقول: "والله نسيت"! هذا قد يكون نسيان إعراض، فاحذر أن تنطبق عليك شبهة الآية.
· درس "ثمرة العمل": إذا لم تجد لك واعظًا في الكون، ولا أثرًا للموعظة في قلبك، فابك على قلبك ، فقد يكون قد أصابه ما أصاب قلوب أولئك.
· درس "خطورة الهوى": الهوى إله يُعبد من دون الله. عوده مخالفته في الصغائر، حتى لا يقودك إلى الطبع على القلب.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

1. مفهوم (الاستماع الواعي): يبني إنسانًا مُنتجًا، يحول المعلومات إلى أفعال، والمعرفة إلى إيمان. هذا النوع من البشر هو أساس الحضارة، لأنه يتعلم ليرتقي، لا ليتسلى.
2. مفهوم (مراقبة الثمرة): يبني مجتمعًا يُقوّم نفسه بنفسه، لا يغتر بالكم، بل يزن بالكيف. مجتمع يسأل بعد كل خطبة ومحاضرة: ماذا استفدنا آنفًا؟ وكيف نطبقه غدًا؟

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

1. مفهوم (الخوف من الطبع): يبني إنسانًا مرهف الحس، يخاف على قلبه أكثر مما يخاف على جسده. هو يرى المعصية خطرًا يهدد مستقبل قلبه الأبدي، فيرعوي ويرجع.
2. مفهوم (الهوى كمخدّر): يبني إنسانًا واعيًا بأن للهوى لذة آنية، لكن عاقبته خاتمة سيئة. فيكون قادرًا على تأجيل اللذة من أجل هدف أسمى.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

1. مفهوم (ثنائية الظاهر والباطن): يبني فكرًا ناقدًا لا ينخدع بالمظاهر. فكما أن من الناس من يستمع إليك وقلبه بعيد، ففي الحياة أفكار ومشاريع براقة ظاهرها رحمة وباطنها عذاب.
2. مفهوم (العلم أداة للاختبار): يبني فكرًا يدرك أن العلم ليس شرفًا مطلقًا، بل هو حجة لك أو عليك. فالعالم الذي يتبع هواه أضر على الأمة من الجاهل.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
عندما يتربى الإنسان على "الاستماع الواعي" بدافع "الخوف من الطبع"، وتحت رقابة "مراقبة الثمرة" ، فإنه يبني مجتمعًا علميًا إيمانيًا، لا يفصل بين المعلومة والأخلاق. إنها معادلة بناء الحضارة: "علم ينتفع به قلب، وعمل ينبع من وعي".

رسالة ختامية

يا من تقرأ هذه السطور، هذه الآية مرآة، فانظر فيها. كم مرة جفّت أذنك من طول الاستماع، لكن قلبك ظل صحراء قاحلة لم ينبت فيها الإيمان؟ كم مرة خرجت من مجلس خير وكأنك لم تسمع شيئًا؟ الحل بين يديك في آخر الآية: لا تتبع هواك. خالف نفسك اليوم، واجعل شعارك في كل مجلس تسمع فيه: "رب هب لي قلبًا واعيًا، وأذنًا سامعة، وعقلا ً ذاكرًا، لا كالذين قالوا آنفًا: ماذا ق ال؟ بل كالذين أوتوا العلم فقالوا: آمنا به كل من عند ربنا".

اجعل علمك يدفعك إلى العمل، واجعل استماعك قربانًا إلى الله، حتى لا يكون حجة عليك، بل يكون نورًا بين يديك يوم تلقاه.

ثانيا

تفسير الآية (17) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن كشفت الآية (16) عن نموذج المنافقين الذين يستمعون بأسماعهم لا بقلوبهم، والذين خُتم على قلوبهم جزاء اتباعهم أهواءهم؛ تأتي هذه الآية الكريمة لتفتح نافذة أمل عظيمة، وتقدم نموذجًا مقابلًا ومضادًا تمامًا.

هناك، في الآية (16)، رأينا قلوبًا مُطبَقة، لا ينفذ إليها نور. وهنا، في الآية (17)، نرى قلوبًا انشرحت واهتدت، وتلقت العلم بخشوع. إنها ثنائية قرآنية بديعة: بعد أن ترينا عاقبة من اتبعوا أهواءهم، ترينا ثمرة من طلبوا الهدى. كأن السورة تقول: لا تحزن على من تولى واتبع هواه، فالهداية بيد الله، وهو يزيد المهتدين هدى. هذه الآية هي بلسم لقلب النبي ﷺ، وطمأنة لكل داعية، وقانون ثابت في التعامل مع الهداية.

تفسير الآية (17) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد الحديث عن المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم، ينتقل السياق إلى الفريق المقابل: المؤمنين الصادقين الذين اهتدوا إلى الإسلام، فلم يكتفوا بذلك، بل زادهم الله هدى على هداهم. هذا الهدى المتزايد تجلى في عملهم وسلوكهم، فأعطاهم الله ثمرة ذلك، وهي "التقوى" التي ت لازمهم في حياتهم، والتي هي جماع الخير كله. إنها آية قصيرة في لفظها، عظيمة في معناها، تجمع قانون الهداية كله.

مقاصد وأهداف الآية:

1.بيان قانون الثواب الإلهي: أن الحسنة تجلب حسنة، والهدى يجلب هدى .فمن أقبل على الله، أقبل الله عليه.
2.بثّ الأمل في نفوس المؤمنين: أن الهداية رحلة متصاعدة لا تتوقف، وأن المجتهد في طلب الحق يكافأ بمزيد من التوفيق.
3.الربط بين الهداية العلمية والتقوى العملية: فالهدى ليس مجرد معرفة نظرية، بل ثمرته هي التقوى.
4.تعليم المؤمنين أن التقوى عطاء ومنحة من الله: فهي نتيجة للهدى، وليست مجهودًا بشريًا خالصًا.
5.خلق حالة من الشوق الدائم لطلب المزيد من الهدى: فلا يقف المؤمن عند حد معين.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا" – نقطة البداية ووصف الفريق

.1دلالة الواو في "وَالَّذِينَ"
الواو هنا للاستئناف، وهي تفصل فصلًا تامًا بين فريقين لا يمكن أن يلتقيا. قبلها: (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) وبعدها: (والذين اهتدوا). إنها نقلة من وادي الظلام إلى وادي النور.

.2دلالة الفعل "اهْتَدَوْا"
الفعل ماض، ويدل على أنهم بدأوا رحلة الهدى وساروا فيها. لم يقل "الذين هداهم الله" فقط، بل نسب لهم الفعل أيضًا، إشارة إلى أنهم بذلوا جهدهم واختيارهم في البداية، فسلكوا طريق الحق. إنهم فتحوا الباب، فأكرمهم الله بفتح الطريق كله.

.3الفارق بين "اهتدوا" و"طبع الله على قلوبهم"
في الآية السابقة، نسب الفعل (طبع) إلى الله وحده عقابًا لهم. أما هنا، فنسب الفعل (اهتدوا) إليهم أو لا ً، وهذا من رحمة الله بعباده، فهو ينسب الخير لهم تشريفًا، وينسب العقاب لنفسه عدلا ً.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطالب المجتهد: تخيل طالبًا في الصف، يستمع باهتمام، يسأل، ويراجع دروسه .هذا الطالب "اهتدى" إلى طريق النجاح .فإن فعل ذلك، يزيده المعلم شرحًا، ويمنحه من وقته، ويكافئه بتقوية فهمه .أما الطالب الذي يستهزئ ويتهاون، فيُترك حتى يرسب .فاهتداء الأول كان سببًا لمزيد من التوفيق.
· مثال النبتة: البذرة الطيبة "اهتدت" لأنها وُضعت في تربة صالحة واتجهت لجذورها للأسفل .ماذا يحدث؟ يزيدها الله نموًا، ويؤتيها ثمرها .أما البذرة الموضوعة على صخرة، فلا تزداد إلا جفافًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: يملأ قلب المؤمن رجاءً .أنت لست وحدك في رحلة الهدى، ما دمت بدأت واهتديت، فالله معينك.
· عمليًا: اسأل نفسك كل يوم: هل أنا من) الذين اهتدوا(؟ هل بذلت جهدي لأكون منهم؟

المحور الثاني: "زَادَهُمْ هُدًى" – قانون النمو الإيماني

.1دلالة "زَادَهُمْ"
الفعل "زاد" يدل على التدرج والنمو المستمر. الهداية ليست محطة تصل إليها وتقف عندها، بل هي طريق طويل وسلم تصعد فيه درجة درجة. الله لم يقل "أعطاهم هدى"، بل "زادهم"، أي كان لديهم هدى فزادهم عليه. وهذا ينسف مفهوم الاكتفاء بالحد الأدنى من الإيمان.

.2من الفاعل في "زادهم"؟
الفاعل ضمير مستتر يعود على الله سبحانه وتعالى. الله هو الذي يزيدهم. وهذه الزيادة هي "هدى" جديد. إنها منحة إلهية، لكنها مشروطة بخطوتهم الأولى.

.3كيف تكون الزيادة في الهدى؟
الهدى أنواع:

· هدى البيان: فهم جديد للقرآن والسنة، انكشاف معانٍ لم تكن تعرفها.
· هدى التوفيق: القدرة على العمل بالعلم، طاعة جديدة، قيام ليل، ترك ذنب.
· هدى الثبات: اليقين، السكينة، الطمأنينة في زمن الفتن .هذا هو أعظم الهدى.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال النور: شخص يسير في طريق مظلم ومعه مصباح .كلما خطا خطوة، زاد المصباح إضاءة لما حوله، فاكتشف أشياء جديدة لم يرها من قبل .هذا هو الهدى المتزايد.
· مثال المال والصدقة: رجل معه مال قليل فتصدق به .هذا هدى .فيزيده الله مالًا) هدى ماديًا ومعنويًا(، فيتصدق أكثر .كلما أعطى، زاده الله ."زادهم هدى" كقوله: "وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ".

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: لا تيأس من بطء تغيرك .التغير الحقيقي تراكمي ."زادهم" تعني أنها عملية مستمرة.
· تربويًا: تعلم أن تطلب من الله دائمًا: "رب زدني علمًا"، "رب زدني هدى".

المحور الثالث: "وَآتاهُمْ تقوَاهُمْ" – الثمرة النهائية للهدى

.1دلالة "آتاهُمْ"
أتى الشيء: أعطاه. والإيتاء هنا عطاء خاص. لم يقل "أعطاهم" فقط، بل "آتاهم" للدلالة على التمكين والرسوخ، أي جعل التقوى صفة ثابتة فيهم، ومنحة مستقرة في قلوبهم.

.2دلالة "تقوَاهُمْ" والإضافة إليهم
لم يقل "آتاهم تقوى" بل "تقوَاهُمْ". إضافة التقوى إليهم تشير إلى عدة معانٍ بديعة:

· إنها تقوى خاصة بهم، لائقة بحالهم، تناسب مستواهم، وتناسب ما بذلوه من جهد .تقوى كل إنسان بقدر هداه.
· إنها تقوى قد صارت صفة لهم وعلامة عليهم، فهم "المتقون" الذين رضيت عنهم الملائكة.
· وفيها إشارة إلى أنهم أهل للتقوى، وأنها أصبحت سجية لهم لا تكلف فيها.

.3التقوى ثمرة الهدى
الهدى هو العلم والبصيرة. أما التقوى فهي العمل الدائم والخوف المستمر والمراقبة الدائمة. الترتيب هنا عظيم: بدأوا بالاهتداء، فزادهم الله هدى، فلما رسخ الهدى، آتاهم التقوى. لا تقوى بلا هدى، ولا هدى كامل بلا تقوى.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الشجرة والثمر: "اهتدوا" هي البذرة، و"زادهم هدى" هو نمو الأغصان والأوراق، و"آتاهم تقواهم" هي الثمرة اليانعة .لا قيمة لشجرة بلا ثمرة، ولا يمكن الحصول على الثمرة دون نمو الشجرة.
· مثال الأب وابنه: أب يرى ابنه يسير في طريق الخير ويجتهد) اهتدى(، فيبدأ الأب في إعطائه المزيد من المصروف والتوجيه والدروس) زاده هدى(، حتى يصبح الابن قادرًا على إدارة شؤونه بنفسه بحكمة وخوف من الخطأ، فيقول الأب: الآن أصبحت رجلا ً) آتاه تقواه .(الله هو أرحم الراحمين.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أعظم شعور هو أن يمنحك الله "تقواك"، أن تشعر بالسكينة عند الطاعة والنفور من المعصية . هذا إيتاء رباني.
· عمليًا: لا تطلب الجنة فقط، اطلب "تقواك" التي تؤهلك للجنة .قل: اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "اهْتَدَوْا":
· محاسبة النفس: ما هو آخر هدىً فعلته؟ هل هو التزام بصلاة الفجر؟ هل هو ترك غيبة؟ حدد هدى واحدًا قمت به مؤخرًا وافرح به، فإنه خطوتك الأولى.
· التطبيق العملي: ابدأ كل صباح بنية صادقة: "اللهم إني نويت الاهتداء إليك، فأعني".
· في دائرة "زَادَهُمْ هُدًى":
· التطبيق العملي: خصص وردًا يوميًا من القرآن ولو صفحة، واجعل نيتك الاستزادة من الهدى .بعد القراءة، اسأل نفسك: "ماذا زادني الله اليوم؟" .اكتبها في دفتر.
· في دائرة "وَآتاهُمْ تقوَاهُمْ":
· التطبيق العملي: أكثر من دعاء النبي ﷺ: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها" .اجعله في سجودك كل يوم.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

بعد أن تبين لنا هذا القانون الرباني العظيم، فإن المولى سبحانه وتعالى يريد منا من خلال هذه الآية:

.1يريد منا الانخراط في رحلة "الاهتداء": ألا نكون متفرجين، بل نكون فاعلين .يريدنا أن نخطو الخطوة الأولى، أن نسلك الطريق، أن نقول: "اهدنا الصراط المستقيم" ونحن نتحرك فيه، لا أن ننتظر الهدى يأتينا ونحن نائمون.
.2يريد منا الطمع في فضله وعدم القنوط: يريدنا أن نكون طماعين في الخير، نطلب المزيد دائمًا .أ لا نقول: "يكفي أني أصلي"، بل نقول: "يا رب، زدني هدى حتى أصل إلى مقام الإحسان" .يريدنا أن نوقن بأن خزائنه لا تنفد، وأن الهدى الحقيقي لا نهاية له.
.3يريدنا أن نجعل الهدى الشرعي مقدمة للتقوى العملية: يريد منا أن نحول كل آية نتعلمها إلى سلوك .فإن سمعت عن الصدقة، فابذل .وإن سمعت عن التواضع، فتواضع .يريد ألا يكون العلم حجة علينا، بل يكون لنا.
.4يريدنا أن نعرف حقيقة التقوى وأنها منحة: يريدنا أن نطلبها منه، وأن نوقن أنا لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًا .يريدنا أن نتبرأ من حولنا وقوتنا، ونلجأ إلى حوله وقوته قائلين: "يا رب، آتنا تقوانا، فنحن عاجزون عن بلوغها بأنفسنا".
.5يريدنا أن نعيش حالة الشكر على نعمة الهدى: يريدنا أن ننظر حولنا إلى من طبع الله على قلوبهم، فنشكره أنه جعلنا من) الذين اهتدوا(، وأن نحمده أن فتح لنا باب الزيادة، فهذا هو الفوز العظيم.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: الهداية تبدأ بخطوة منك.

· التطبيق العملي: فكر في ذنب اعتدته، وقرر اليوم "الاهتداء" بتركه .هذه هي خطوتك .لا تقل غدًا، بل الآن.

.2درس: الهدى عملية تراكمية مستمرة.

· التطبيق العملي: لا تحزن إن لم تتغير بين عشية وضحاها .ضع خطة أسبوعية لزيادة الهدى: مثلا ً، هذا الأسبوع سأحافظ على أذكار الصباح والمساء .الأسبوع القادم سأضيف إليها صفحة من القرآن . تراكم بسيط.

.3درس: الجزاء من جنس العمل؛ الهدى يجلب هدى.

· التطبيق العملي: كلما وجدت في نفسك فتورًا عن الطاعة، فاعلم أنك بحاجة لدفعة إيمانية .اسعَ أنت أولا ً بنفسك، مثلا ً: بادر بصلاة ركعتين في جوف الليل، وانتظر الزيادة من الله، حيث ستشعر بنشاط إيماني غامر.

.4درس: التقوى عطاء رباني وهدف أسمى.

· التطبيق العملي: حوّل تركيزك من مجرد "فعل" الطاعات الظاهرة إلى البحث عن "ثمرتها" القلبية وهي التقوى .بعد الصلاة، اسأل: هل زادتني صلاتي تقوى؟ أي هل صرت أكره المعصية أكثر؟ إن لم تجد، فراجع صلاتك.

.5درس: لا تقف عند حد في طلب العلم والعمل.

· التطبيق العملي: تعلم علمًا جديدًا كل شهر .شهر لحفظ القرآن، شهر للفقه، شهر للحديث .هذا هو "زادهم هدى" في العلم.

.6درس: الدعاء هو وقود رحلة الهدى.

· التطبيق العملي: اجعل لك في كل سجدة دعاءً ثابتًا: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف و

الغنى" .كرره بخشوع حتى يصبح عقيدة راسخة في القلب.

خامسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

· مفهوم) ديناميكية الإيمان(: يبني إنسانًا متحركًا متجددًا، لا يقبل الجمود .إيمانه يزيد وينقص، فهو دائم المراقبة .هذا المفهوم يبني مجتمعًا يرفض التخلف، ويبحث دائمًا عن الإصلاح والتطوير.
· مفهوم) التدرج الإيجابي(: يبني سياسة حضارية تقوم على التراكم، لا على القفزات الفاشلة .مجتمع يربي أفراده على أن "قليل دائم خير من كثير منقطع".

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

· مفهوم) الاستحقاق للعطاء(: ﴿وَآتاهُمْ تقْوَاهُمْ﴾ يبني إنسانًا لديه تقدير ذات متوازن .هو يعلم أن ما عنده من الله، ولكنه أتاه إياه لأنه صار أهلا ً له .هذا يمنحه ثقة بالنفس مبنية على الإيمان، لا على الكبر.
· مفهوم) الأمل الديناميكي(: يبني إنسانًا لا يأس معه .مهما كان ماضيه، يمكنه أن يبدأ اليوم) اهتدى(، وسيجد أن الله يفتح له أبواب) زادهم هدى .(هذا يبني مجتمعًا مشجعًا للتائبين، لا طاردًا لهم.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

· مفهوم) التلازم بين المعرفة والأخلاق(: يبني عقلية تؤمن بأن العلم الحقيقي يقود حتمًا إلى الخشية . فالهدى) المعرفة (إذا لم يؤدِ إلى التقوى) الأخلاق (فهو علم غير نافع، بل هو وبال.
· مفهوم) السببية الإلهية(: يبني فكرًا متوازنًا يدرك أن الجهد البشري) اهتدوا (سبب، ولكن النتيجة)زادهم، آتاهم (بيد الله.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
حين يتحول المجتمع إلى كيان "مهتدٍ" يسعى لزيادة هداه، فإنه يتحول إلى "مجتمع متقٍ"، والمجتمع المتقي هو المجتمع الذي يستحق النصر والتمكين. إنها معادلة بناء الحضارة التي تختم بها سورة محمد: ﴿وَإِن تتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قوْمًا غَيْرَكُمْ ثمّ لا يَكُونوا أَمْثَالكُم﴾. فأولئك القوم الذين سيستبدلهم الله هم ﴿الّذِينَ اهْتدَوْا﴾ و﴿آتاهُمْ تقْوَاهُمْ﴾.

رسالة ختامية

يا أيها المؤمن، لا تنظر إلى الهدى كحالة سكونية أنت فيها. بل انظر إليه كسُلم نوراني تصعد فيه إلى الله. كل درجة تصعدها تريك نورًا جديدًا، وكل نور تراه يجعلك أكثر خوفًا وخشيةً من جلال الله. هذه هي "تقواك" التي ستؤتاها.
ابدأ خطوتك اليوم، ولو كانت صغيرة. افتح المصحف، تدبر آية، اعمل بها. انتظر الزيادة، واطلب من الله أن يؤتيك تقواك. واعلم أن من طلب الهدى صادقًا، فلن يعجزه الله. فهو القائل: ﴿وَالّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنَا﴾.
ثالثا
نواصل الرحلة مع كتاب الله، ونقف متأملين في آية هي نذير للغافلين، وتذكرة للأحياء .إليك تفسير ا لآية (18) من سورة محمد،

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن عرضت السورة الكريمة في الآية (16) فريق المنافقين الذين استمعوا للوحي بآذانهم وغابت عنه قلوبهم، فطبع الله على قلوبهم جزاء اتباعهم أهواءهم؛ وبعد أن أرانا في الآية (17) الفريق المقابل، فريق المؤمنين الذين بذلوا جهدهم في الاهتداء، فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم؛ تأتي هذه ا لآية (18) لتكون التعقيب الإلهي المزلزل على موقف الفريق الأول.

كأن السياق يقول: هؤلاء المنافقون والكافرون، الذين بلغت بهم الغفلة أن يسمعوا كلام ربهم ثم

يسألوا: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾، هؤلاء الذين انغمسوا في الأهواء وأعرضوا عن الهدى، ما الذي ينتظرونه بعد كل هذه الآيات والبراهين؟! إنهم لا ينتظرون إلا القيامة التي تنهي كل جدل، وتكشف كل حقيقة، في لحظة لا ينفعهم فيها الندم .إنها الآية التي تنقل السورة من بيان الفروق بين المصيرين في الآخرة)الجنة والنار(، ومن كشف العلل القلبية) الطبع والهدى(، إلى إعلان حالة الاستعجال والتربص بحلول الساعة، وإنذارهم بأن علاماتها قد ظهرت، وأن الفرصة توشك أن تنتهي.

تفسير الآية (18) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد كل ما تقدم من إنذارات وتبيين للحق، ينتقل الخطاب الإلهي إلى أسلوب التهديد والوعيد .فيقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المكذبون المعرضون، الذين بلغت بهم الغفلة مبلغًا عظيمًا، إلا الساعة التي تفجؤهم على حين غفلة؟! لقد ظهرت بالفعل علاماتها الدالة على قربها) وأعظمها مبعث النبي الخاتم ﷺ وانشقاق القمر(، فإذا جاءتهم الساعة فجأة، من أين لهم أن يتذكروا أو ينتفعوا بالتذكرة؟! إنه استفهام إنكاري للتوبيخ والتهديد، بمعنى النفي: لا ينتظرون إلا الساعة، وحين تقع لا سبيل لهم إلى النجاة، ولا تقبل منهم توبة ولا معذرة.

مقاصد وأهداف الآية:

.1زجر الغافلين وتهديدهم: بدفعهم إلى استشعار قرب الساعة، فلا يبقوا في غفلتهم.
.2بيان حتمية الساعة ومفاجأتها: فهي آتية لا ريب فيها، ولن تخبر بموعدها.
.3تذكير المؤمنين بعلامات الساعة: ليزدادوا إيمانًا ويقينًا بقرب لقاء الله، فيجتهدوا في العمل.
.4سد باب التسويف: فمن ينتظر حتى تقوم الساعة ليتوب، فقد خسر، لأن التوبة لا تقبل حينها.
.5إقامة الحجة على البشر: بإظهار العلامات الدالة على صدق الوعد الإلهي.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ" – حصر التربص والاستفهام الإنكاري

.1دلالة الفاء في "فَهَلْ"
الفاء تفريع على ما سبق .فبعد بيان حال المنافقين واتباعهم أهواءهم، وبيان حال المؤمنين وزيادة هداهم، يُفرّع هذا الاستفهام الاستنكاري التعجبي: إذا كان الأمر كذلك، فماذا ينتظر هؤلاء بعد كل هذه البراهين؟

.2دلالة "هَلْ" و"يَنظُرُونَ"

· "هَلْ": هنا للاستفهام الإنكاري الذي ينفي النتيجة .أي: ما ينتظرون إلا الساعة.
· "يَنظُرُونَ": بمعنى ينتظرون ويتوقعون، لا بمعنى ينظرون بأعينهم .هم في حالة تربص وانتظار، لا في حالة عمل واستعداد .إنه وصف دقيق لحال الغافل: يعيش منتظرًا المجهول، غير عامل للمعلوم.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطالب المهمل: طالب أخبره معلموه طوال العام أن الامتحان النهائي قادم، وظهرت علاماته)الجدول، المراجعات .(ومع ذلك هو يلهو ويلعب، ينتظر يوم الامتحان لا ليستعد له، بل لأنه نهاية المطاف .فإذا سئل: ماذا تنتظر؟ قيل له: هل تنتظر إلا الامتحان؟! أي ما بقي لك شيء تنتظره غيره، فانتبه قبل فوات الأوان.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: الاستفهام يهز القلب، كأنه يقول: ألا يوجد في عقلك شيء آخر تفكر فيه غير هذه الدنيا؟!
· عمليًا: راجع جدول يومك .هل أنت في حالة "انتظار" أم في حالة "استعداد"؟ الانتظار السلبي هو ء

لامة الغفلة.

المحور الثاني: "أن تأتِيَهُم بَغْتَةً" – وصف هيئة المجيء المخيف

.1دلالة "أن تأتِيَهُم"
لم يقل "أن تأتيهم" فقط، بل أكد حدوثها .وهي بدل اشتمال من الساعة، أي ينتظرون إتيانها بغتة.

.2دلالة "بَغْتَةً"
البغتة: المباغتة والمفاجأة على حين غفلة، دون توقع أو استعداد .هذا هو وصف الساعة: أنها لا تأتي بالتدريج، بل في لحظة، والناس في سوقهم، في لهوهم، في نومهم .هذه المفاجأة هي التي تجعل المصيبة أعظم.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الزلزال: أهل مدينة ينامون في أمان، وفجأة يحدث زلزال مدمر في ثوانٍ .هكذا الساعة، تأخذهم وهم آمنون غافلون.
· مثال الموت المفاجئ: شخص في صحة جيدة، يخطط لمستقبله، وفجأة يصاب بسكتة قلبية .الموت هو الساعة الصغرى، يأتي بغتة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تولد حالة من الخوف الإيجابي .لا تأمن لحظة واحدة، فالموت) الساعة الصغرى (يأتي بغتة .)احمل في قلبك يقينًا: أنا قد أموت الليلة.(
· تربويًا: لا تسوف التوبة، فلا أحد يضمن أن تأتيه الساعة وهو مستعد.

المحور الثالث: "فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا" – الإخبار بظهور العلامات كحجة دامغة

.1دلالة الفاء في "فَقَدْ"
للتسبيب والتعليل .كأنه يقول: لماذا حصرنا انتظارهم في الساعة؟ لأن علاماتها قد جاءت، ولم يبقَ بعد ظهور الأشراط إلا وقوع الساعة ذاتها.

.2دلالة "أَشْرَاطُهَا"
الأشراط جمع شَرَط، وهي العلامات .وعلامات الساعة هي كل ما أخبر به النبي ﷺ أنه سيقع قبل قيامها .وذكر المفسرون أن من أعظم أشراط الساعة التي كانت قد ظهرت وقت نزول الآية:

· مبعث النبي محمد ﷺ نفسه: فهو نبي الساعة، وأخبر أن بُعثه وبين الساعة كهاتين) السبابة و الوسطى.(
· انشقاق القمر: الذي وقع في مكة.
· ظهور الفتن: التي تموج كقطع الليل المظلم.

.3دلالة الفعل "جَاءَ" بصيغة الماضي
جاء بصيغة الماضي "جَاءَ" للدلالة على تحققها وثبوتها بالفعل، فهي ليست متوقعة فقط، بل قد بدأت تتحقق .هذا يزيد من هول التهديد.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال علامات المرض: مريض ظهرت عليه كل أعراض مرض خطير، ويقول الطبيب: علامات المرض قد ظهرت، فلم يبقَ إلا وقوع الأزمة القلبية في أية لحظة .العلامات هنا هي "الأشراط"، فهل ينتظر بعدها إلا الأزمة؟!
· مثال القطار: لو رأيت قطارًا يطلق بوقه، وعجلاته بدأت تتحرك، فإن هذا يعتبر أشراطًا لانطلاقه، فأنت تعرف أنه سيغادر بعد ثوانٍ .هكذا الساعة، أشراطها بدأت تظهر، فلم يبقَ إلا انطلاقها.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: استشعار أننا نعيش في زمن الأشراط، يجعل القلب متصلا ً بالآخرة، ويدفع للعمل.
· عمليًا: كلما رأيت علامة من علامات الساعة الصغرى) كموت العلماء، كثرة الهرج(، تذكر هذه الآية، وقل: اللّهم أحسن خاتمتنا.

المحور الرابع: "فَأَتَىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ" – استبعاد مطلق لأي فرصة للتدارك

.1دلالة "أنّى"
اسم استفهام بمعنى "كيف" أو "من أين"؟ وهو يفيد الإنكار والاستبعاد .من أين لهم التذكرة والاتعاظ في ذلك الوقت؟ لا سبيل.

.2دلالة "إِذَا جَاءَتْهُمْ"
"إذا" ظرفية زمانية للمستقبل، تفيد التحقق .فمجيء الساعة متحقق لا محالة، وحينها تكون الحسرة.

.3دلالة "ذِكْرَاهُمْ"
تحتمل معنيين بديعين:

· المعنى الأول: تذكرهم وانتفاعهم بالتذكرة والموعظة .أي: كيف يمكنهم أن يتذكروا ويتوبوا في هذا الوقت العصيب، وقد أغلق باب التوبة؟!
· المعنى الثاني: أي ما يذكرهم بالحق وينفعهم، وهو الإيمان والعمل الصالح .أي: من أين لهم الخلاص والنجاة، وقد فات الأوان؟

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال ورقة الامتحان: طالب دخل قاعة الامتحان، ورأى الأسئلة .عندها قال: أين كتابي لأذاكر؟! من أين له أن يرجع ويذاكر؟! الباب أغلق، والوقت انتهى .هذا هو معنى ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾، فالتذكر و المذاكرة كانت قبل دخول القاعة.
· مثال الغريق: رجل يغرق، والأمواج تتلاعب به .في تلك اللحظة يقول: الآن أتعلم السباحة! كلا، فقد فات الأوان .الساعة هي تلك اللحظة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تملأ القلب رهبة من تسويف العمل ."سوف أتوب غدًا" هو أمل كاذب.
· عمليًا: لا تؤجل فرضًا، ولا تترك ذنبًا بنية التوبة غدًا .عامل كل لحظة وكأنها آخر فرصة.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ":
· محاسبة النفس: اسأل نفسك: هل أعيش عمري في انتظار "أحداث" الدنيا) تخرج، وظيفة، زواج(، غافلا ً عن الحدث الأعظم) الساعة(؟
· التطبيق العملي: كلما خططت لأمر دنيوي، اربطه فورًا بآية: "يا رب، إن كان في هذا الأمر خير لي في ديني ومعادي فيسره لي" .واجعل الآخرة بوصلتك.
· في دائرة "أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً":
· محاسبة النفس: هل عندي تكافل اجتماعي من المعاصي التي أظن أنني سأقلع عنها لاحقًا؟
· التطبيق العملي: امسك ورقة واكتب: "إذا مت الليلة، ماذا أريد أن أفعل الآن؟" .ثم قم وفعلها حالا ً، صلاة، استغفار، اتصال برحم.
· في دائرة "فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا":
· التطبيق العملي: تعلم علم أشراط الساعة .وكلما سمعت بحديث عن علامة ظهرت، لا تقف عند العجب، بل اسأل: "ماذا أعددت لها؟".
· في دائرة "فَأَنَّىٰ لَهُمْ ذِكْرَاهُمْ":
· التطبيق العملي: أصلح علاقاتك اليوم، ورد المظالم الآن .لا تترك حقًا لأحد، فليس لك وقت تذكرة

عند مجيئها.

ثالثًا: واجب الوقت) ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟(

بعد هذا البيان القرآني المحكم، فإن المولى سبحانه وتعالى يريد منا من خلال هذه الآية:

.1يريدنا أن نكف عن التسويف: أن نقطع صلتها بجملة "سوف أفعل غدًا" في أمور الدين .يريدنا أن نعيش كما عاش الصحابة، كل يوم هو آخر يوم .قال الحسن البصري: "أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه ودينارِه".
.2يريدنا أن نقرأ علامات الساعة قراءة إيمانية: لا قراءة تطفلية للمعرفة فقط .كلما ظهرت علامة، نزداد إيمانًا ويقينًا بصدق وعده، فيزداد عملنا، لا أن نكون كمن يتابعون الأخبار للتسلية.
.3يريدنا أن نوقن أن الإمهال إلهي ليس إهمالا ً: أن وجودنا على قيد الحياة هو فرصة، والساعة لم تأت بعد، وهذا هو زمن التذكرة .يريدنا أن نستغل هذه الفرصة قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
.4يريدنا أن نتعامل مع الدنيا على أنها دار أشراط وعلامات للآخرة: فكل ما في الكون من موت وفناء، هو "شَرَط" يذكرنا بالساعة الكبرى .يريدنا أن نستنطق هذه العلامات، لا أن نمر عليها مرور الكرام.
.5يريدنا أن ننشر هذا الاستشعار في المجتمع: أن نذكر الناس، أن نحذر الغافلين، أن نكون أمة تعيش بين الخوف والرجاء، لا أمة غارقة في اللّهو والغفلة.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية) مع التطبيق العملي لكل درس(

.1درس: الساعة هي الحقيقة الكبرى التي ينتظرها الجميع.

· التطبيق العملي: اجعل لك وردًا يوميًا لقراءة أو سماع آيات وأحاديث عن أهوال القيامة، لتظل حيًا في قلبك) .مثلا ً: استمع يوميًا لآخر ساعة من سورة الحج أو سورة التكوير.(

.2درس: المجيء المفاجئ يتطلب استعدادًا دائمًا.

· التطبيق العملي: أصلح فراشك قبل النوم كل ليلة بنية "النوم على طهارة وذكر"، فربما لا تستيقظ . هذا الاستعداد النفسي يجعلك تعيش اللحظة الراهنة بأقصى طاقة.

.3درس: ظهور العلامات دافع للعمل لا للخمول.

· التطبيق العملي: خصص دفترًا صغيرًا، كلما قرأت حديثًا عن علامة ظهرت، اكتبها، ثم اكتب بجانبها "ماذا ستغير فيّ هذه العلامة؟" .مثلا ً: انتشار الربا - سأحرص على الكسب الحلال ولو قل.

.4درس: الندم وقت الفوات لا ينفع.

· التطبيق العملي: فكر في ذنب يتكرر منك، وتقول دائمًا "ربنا يغفر" .حول هذا الأمل إلى عمل، بجلسة محاسبة صارمة، واكتب عقدًا بينك وبين الله على تركه، واطبع "فَأَنّىٰ لَهُمْ ذِكْرَاهُمْ" على هاتفك لتتذكر.

.5درس: "الساعة الصغرى") الموت (هي تدريب يومي.

· التطبيق العملي: عند كل أذان، تصور أن هذا الأذان قد يكون آخر ما تسمع .صلّ صلاة مودع .هذا التطبيق العملي للنبي ﷺ: "صلّ صلاة مودع كأنك تراه".

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

هذه الآية، رغم قصرها، تمنحنا منهجًا كاملا ً للحياة العملية:

.1تعلمنا إدارة الوقت بمنظور أخروي: أن العمر هو رأس مالك، وأن التسويف هو أكبر لص .فكل دقيقة تمر لا تعود، وكل تأخير في التوبة هو مخاطرة غير محسوبة .في حياتنا العملية، يعني هذا أن ننجز الخير فورًا، ونقطع جذور المماطلة.
.2تعلمنا التعامل مع الظواهر الكونية بصورة إيمانية: بدل أن ننظر إلى الزلازل والبراكين والأوبئة على أنها مجرد حوادث طبيعية، ننظر إليها كأشراط للساعة، تدفعنا لمراجعة علاقتنا بالله، والتخفف من حمل الدنيا، والتزود للآخرة.
.3تعلمنا أن اليقظة هي الأصل: الغفلة هي الموت الحقيقي .الآية تعلمنا أن نكون في حالة "يقظة دائمة" تجاه المصير، فلا نترك الشيطان يلهينا بالأماني .عمليًا، نصنع مفاتيح تذكيرية في حياتنا: منبهات للصلاة، لوحات في البيت، مجالسة الصالحين، كلها تخرجنا من الغفلة.
.4تعلمنا مبدأ "لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد" بشكل جذري: ليس في الأمور الدراسية أو المهنية فقط، بل في أمور الآخرة أولا ً .هل عليك دين؟ سدده اليوم .هل هناك خصومة؟ صالح خصمك اليوم .لأ نك لا تدري متى تأتيك ساعتك الصغرى.
.5تعلمنا أن الإعذار قد قام: لقد جاءت الأشراط، وبُعث النبي، وبلغت الرسالة .لم يعد لأحد حجة .في حياتنا العملية، هذا يعني أن الكسل عن طلب العلم الشرعي لم يعد مقبولا ً، فكل شيء متاح، فماذا تنتظر؟!

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) استثمار الوقت كأمانة(: يبني إنسانًا منتجًا لا يضيع لحظة .حضارة كاملة تقوم على هذا المفهوم، تجعل من الوقت جوهر الحياة، فترى المجتمع متسارعًا في الخيرات، لا في اللهو.
.2مفهوم) الموت والتغيير(: يبني إنسانًا مرنًا، لا يتعلق بالدنيا .إذا رأى علامة الموت) المرض، الوباء (سارع بالتغيير .مجتمع يبني حضارة على هذا المفهوم يكون قابلا ً للتجديد والإصلاح المستمر، غير متخشب.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف الإيجابي(: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ يبني إنسانًا دائم الحذر من الغفلة، خائفًا من سوء الخاتمة .هذا الخوف ليس مرضًا نفسيًا، بل هو طاقة تمنعه من المعاصي وتدفعه للطاعات.
.2مفهوم) استعظام الندم(: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ يبني إنسانًا شديد الحساسية تجاه ضميره، يستعظم فكرة الندم المتأخر، فيكون حريصًا على نقاء صفحته أولا ً بأول.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) العلامات كبراهين(: يبني عقلا ً مؤمنًا يرى في كل حدث في الكون دليلا ً على صحة الخبر القرآني .هذا عقل يربط بين الوحي والواقع، وهي أساس الحضارة الإسلامية التي أقامت العلوم الكونية على منطلق "سنريهم آياتنا في الآفاق".
.2مفهوم) قطعية الموت وعدمية التسويف(: يبني فكرًا يرفض النظرة الامتدادية اللانهائية للحياة الدنيا، وهي النظرة التي تنتج الفساد والطغيان .فمن عرف أن نهايته قريبة، لم يظلم، ولم يطغ.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يعيش أفراده وهم يرون أشراط الساعة من حولهم، وتدفعهم للاستعداد للموت المفاجئ، هو مجتمع كله جهاد وعمل .إنه مجتمع لا ينام على ضيم، ولا يرضى بالدنية، ولا يغتر بقوته .إنه مجتمع أهله دائمًا في حالة "أهبة"، كما قال عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر".

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

لهذه الآية الكريمة أبعاد عميقة تمتد عبر الزمان والمكان والقلوب:

.1البعد الزماني) الماضي والحاضر والمستقبل(:

· الماضي: لقد استحضرت الآية حدثًا ماضيًا هو "مَجيءُ أَشْرَاطِهَا"، لتقول إن الماضي شاهد على المستقبل.
· الحاضر: هي تخاطبنا في حاضرنا لنقول: إن أشراط الساعة مستمرة في الظهور، حتى خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها.
· المستقبل: تفتح أفق المستقبل المظلم على مصراعيه، لتذكر أن هناك لحظة "بغتة" قادمة، لا مفر منها .هذا البعد الزماني الثلاثي يجعل الآية صالحة لكل جيل، فهي ليست حكاية عن الماضين فقط، بل عنوان للغابرين والحاضرين والآتين.

.2البعد النفسي الوجداني:
الآية تبني في النفس "قلقًا مقدسًا"، إنه ليس قلق الاكتئاب، بل قلق المجاهدة .إنها تجعل المؤمن يعيش بين الخوف من البغتة، والطمع في رحمة الله .هذا البعد يفتح أفقًا واسعًا في التربية الإيمانية، حيث لا يأمن الإنسان مكر الله، ولا يقنط من رحمته .إنه الاتزان الذي يصنع الشخصية الإسلامية الفذة.

.3البعد الحضاري الاجتماعي:
إذا تحولت معاني هذه الآية إلى ثقافة سائدة في مجتمع، فإنها تلغي ظاهرة "ثقافة التسويف" أو ما نسميه "غدًا أفضل" .هذا يبني حضارة جادة، سريعة الخطى في إنجاز الخيرات .ينظر الناس إلى مشاريعهم الدنيوية والأخروية على أنها يجب أن تنجز الآن، لأن الأجل قريب .إنها تولد "حضارة الإ نجاز العاجل"، التي تتسابق في الخيرات كما وصف الصحابة.

.4البعد الكوني:
الآية تربط الإنسان بالكون .كل ما في الكون من حوادث مهولة: براكين، زلازل، فيضانات، هي أشراط وعلامات .هذا البعد يفتح أفق التدبر في آيات الله الآفاقية، ويجعل المؤمن يعيش في كون "ناطق" يذكره بالآخرة، فلا يرى حدثًا طبيعيًا إلا وتساءل: "ماذا أعددت لهذا الموعد؟".

.5البعد الغيبي الإيماني:
أعظم أبعاد الآية أنها تفتح نافذة على عالم الغيب، على وعد الله الذي لا يُخلف .هي تجعل المؤمن يعيش حياة مزدوجة: جسده في الأرض يصلي ويصوم ويعمل، وروحه معلقة بذلك الموعد المحتوم . هذا البعد الغيبي يصنع العزاء الدائم للمؤمن في الشدائد، فهو يعلم أن الدنيا ليست النهاية، وأن الساعة آتية لترفع الظلم، وتنتصر للحق.

رسالة ختامية

يا من تقرأ هذه الكلمات، هذه الآية هي صرخة ساعة .إنها جرس إنذار في عمق الروح .الساعة التي تنتظرها البشرية ليست مجرد نبوءة في كتاب، بل هي حقيقة أقرب إليك من حبل الوريد .أشراطها تظهر حولنا: الفتن تموج، والقمر انشق، والعلم يُقبض، والموت يحصد .فماذا تنتظر؟
لا تنتظر الغد لتتوب، فالغد في علم الغيب، ولعله قد لا يأتي .أسرع الآن، ارفع يديك، وقل: "اللهم إني أسألك حسن الاستعداد للساعة، وأسألك التذكرة قبل أن تأتي، فلا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل" .اجعل هذه الايه شعارك
رابعا:
.نحن على موعد مع آية عظيمة تجمع أصول الدين، وهي من جوامع الكلم التي تفيض بالتوحيد و العبودية والتكافل .إليك تفسير الآية (19) من سورة محمد،

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد ذلك العرض المهيب لمشاهد النفاق والغفلة، حيث رأينا المنافقين يستمعون بآذانهم دون قلوبهم)آية(16 ، ثم شهدنا قانون الهداية العظيم في قلوب المؤمنين) آية(17 ، ثم جاء التحذير المزلزل من الساعة وأشراطها) آية(18 ؛ تأتي هذه الآية الجامعة لتكون بمنزلة التطبيق العملي والنتيجة الحتمية لكل ما سبق.

كأن السورة تقول: بعد كل هذه البراهين، وبعد أن تبين الفرق بين الفريقين، واتضحت عاقبة الغافلين، ماذا يجب أن تفعل أيها النبي؟ وماذا يجب أن يفعل المؤمنون معك؟ الجواب في هذه الآية: اعقد

قلبك على حقيقة التوحيد الخالصة، فهي عصمة أمرك .وأكثر من الاستغفار، فهو وقود مسيرتك . واستغفر لإخوانك المؤمنين، فهو واجب الأخوة .واعلم أن الله مطلع على كل أحوالك، فهو رقيبك .إنها آية تجمع بين خلاصة المعرفة) التوحيد (وخلاصة السلوك) الاستغفار والتكافل(، وتختم بيقين الرقابة ا لإلهية) العلم بالمتحول والمثوى.(

تفسير الآية (19) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

المعنى العام للآية:

بعد تقرير الحقائق السابقة، يأمر الله تعالى نبيه ﷺ ومن ورائه المؤمنين، بأن يعلم علمًا يقينيًا لا يتزعزع، أن لا معبود بحق إلا الله وحده .ثم يأمره بالاستغفار لذنبه، وهو توجيه للأمة بأن لا ينفك المؤمن عن الاستغفار مهما علا مقامه .ثم يأمره بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، إشارة إلى التكافل الروحي والدعاء العام .وتختم الآية بالتذكير بأن الله يعلم كل مكان تتحولون إليه، وكل موضع تستقرون فيه، فهو رقيب عليكم في حركاتكم وسكناتكم، فلا تغفلوا عن ذكره واستغفاره.

مقاصد وأهداف الآية:

1.ترسيخ عقيدة التوحيد: جعلها أساسًا للعلم القلبي والعقلي، لا مجرد كلمة تقال باللسان.
2.تعليم الأمة الافتقار الدائم إلى الله: فالاستغفار ليس لضعفة المؤمنين فحسب، بل حتى لمن بلغ أعلى المقامات.
3.غرس روح التكافل الإيماني: بالدعاء والاستغفار للمؤمنين جميعًا، أحياءً وأمواتًا.
4.تربية المؤمن على المراقبة الدائمة: باليقين بأن الله يعلم ظاهره وباطنه، ومتحوله ومثواه.
5.الربط بين العلم والعمل: فالعلم بالتوحيد يثمر الاستغفار، والاستغفار يصحبه العلم بالمراقبة الإلهية.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ" – أساس الدين ومنطلق التغيير

1.دلالة الفاء في "فَاعْلَمْ"
الفاء للتفريع والتعقيب .فبعد كل ما سبق من آيات وبراهين، تأتي النتيجة الحتمية: اعلم واعقد قلبك . إنها فاء السببية، كأنه يقول: لما تقرر كذا وكذا، فالواجب الآن هو هذه المعرفة اليقينية.

2.دلالة "اعْلَمْ" دون "قل" أو "آمن"
لم يقل: "فقل لا إله إلا الله"، ولا "فآمن"، بل قال: "فَاعْلَمْ" .وهذا سر بديع.

· العلم أصل الإيمان: الإيمان الحقيقي لا يكون بالتقليد الأعمى، بل بالعلم اليقيني والمعرفة الثابتة . العلم هنا هو تصديق جازم بالقلب، لا مجرد معرفة نظرية.
· توجيه للبشرية جمعاء: أن دين الله لا يخاف من سؤال المعرفة واليقين، بل يأمر بهما .فالمؤمن صاحب برهان، وليس صاحب هوى.

3.دلالة "لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ"

· النفي والإثبات: "لا إله" نفي لكل ما يعبد من دون الله من أصنام وأهواء وبشر وأفكار ."إلا الله" إثبات للألوهية والحاكمية والعبودية لله وحده .إنها ثورة على كل طاغوت، وتحرير للقلب من كل عبودية.
· محور التغيير: هذه الكلمة هي مفتاح السورة كلها .فلماذا تخاذل المنافقون؟ لأنهم لم يعلموا "أنه لا إله إلا الله" علمًا يدفعهم لنصرة الدين .ولماذا ثبت المؤمنون؟ لأنهم علموها حقًا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال بوصلة السفينة: تخيل سفينة في عرض البحر، كل أجهزتها تعمل، لكن بوصلتها معطلة .إنها تبحر بلا وجهة ."لا إله إلا الله" هي البوصلة التي توجه الحياة كلها نحو الله .بدون هذه المعرفة اليقينية، تضيع كل الأعمال.
· مثال أساس البناء: لو سألت مهندسًا عن أهم جزء في ناطحة سحاب، لقال: الأساس الذي يحمل كل شيء ."فاعلم أنه لا إله إلا الله" هو الأساس الذي يحمل كل بناء الإيمان والأعمال .إن لم يكن الأساس عميقًا، انهار البناء عند أول هزة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تمنح هذه الكلمة النفس سكينة مطلقة .لماذا؟ لأن من يعلم أن لا إله إلا الله، يعلم أن كل ما في الكون بيد واحد، فلا يخاف سواه، ولا يرجو سواه.
· تربويًا: تعلمنا ألا نكون متلقين سلبيين للإيمان، بل أن نرتقي بإيماننا إلى مرتبة "العلم" .نسأل، نبحث، نتدبر، حتى يصل الإيمان إلى أعماق القلب.

المحور الثاني: "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ" – ملازمة العبودية والافتقار

.1دلالة "وَاسْتَغْفِرْ"
الواو للعطف .لماذا أمر بالاستغفار بعد التوحيد مباشرة؟

· لأنه لا أحد كامل في تحقيق مقام التوحيد.
· لأن الاستغفار هو التطبيق العملي للتوحيد: فأنت تطلب المغفرة ممن لا يملكها غيره.
· لأنه حتى الطاعات والقربات، يشوبها التقصير، وتحتاج إلى استغفار) .كما كان النبي ﷺ يستغفر بعد الصلاة.(

.2دلالة "لِذَنبِكَ" والخطاب للنبي ﷺ
النبي ﷺ معصوم من الكبائر والصغائر الخسيسة، فما ذنبه؟

· قيل: هو ترك الأولى والأفضل .فمقامه العالي يجعل تركه للمستحب كأنه ذنب بالنسبة له.
· وقيل: هو استغفار تعبدي، لتعليم الأمة .فإذا كان النبي يستغفر، فنحن أولى .إنه إظهار للعبودية المطلقة في أعلى مقاماتها .وكما قال ﷺ: "إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" .ليس خوفًا من العقاب، بل شكرًا وحبًا وتذللا ً.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال النهر الجاري: النهر كلما كان صافيًا، شعر صاحبه بأي ورقة صغيرة تسقط عليه .هكذا قلب النبي ﷺ، من شدة صفائه، كان يشعر بتقصيره في حق جلال الله، فيستغفر لما قد نراه نحن حسنة . أما قلوبنا العكرة، فلا تشعر بكثير من الذنوب العظيمة.
· مثال الفنان المبدع: كلما كان الفنان أكثر إبداعًا، كان أكثر نقدًا لذاته، ويرى في عمله عيوبًا لا يراها الآخرون .هكذا المؤمن الصادق، كلما ارتقى، رأى تقصيره، فاستغفر.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: لا تيأس من كثرة الاستغفار ظنًا أن ذنبك لا يُغفر .الاستغفار هو حالة قلبية دائمة، وهو حبيب إلى الله.
· عمليًا: اجعل لك حدًا أدنى يوميًا من الاستغفار) مئة مرة(، واجعله بقلب حاضر، لا بلسان غافل.

المحور الثالث: "وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" – روح الجماعة والتكافل الإيماني

.1دلالة عطف المؤمنين والمؤمنات
لم يكتفِ بالأمر بالاستغفار للنفس، بل تعداه إلى جميع المؤمنين والمؤمنات .لماذا؟

· رعاية حقوق الأخوة الإيمانية: المؤمن ليس فردًا منعزلا ً، بل هو جزء من جسد الأمة .يستغفر لهم لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه.
· تطهير للمجتمع: استغفار المؤمنين بعضهم لبعض سبب لرفع البلاء ونزول الرحمة على الأمة كلها.
· رد على ثقافة الأنانية: التي تجعل المرء لا يفكر إلا في نفسه .حتى في العبادة، هناك مساحة واسعة للغير.

.2النص على "وَالْمُؤْمِنَاتِ"
ذكر المؤمنات بخصوصهن بعد ذكر المؤمنين، مع أن لفظ المؤمنين يشملهم تغليبًا:

· للتأكيد على مكانتهن، ورفع شأنهن.
· لدفع وهم من قد يظن أن الدعاء خاص بالرجال فقط.
· وفيه إشارة إلى أن للمرأة دورًا في المحبة والدعاء، كما للرجل.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجسد الواحد: عندما يتألم عضو في الجسد، فإن العضو السليم لا ينام، بل يتألم ويسعى لعلا جه .المؤمن الذي يستغفر لإخوانه هو كاليد التي تضمد جرح القدم، رغم أنها لم تُصب.
· مثال السفينة: لو أن شخصًا في سفينة بدأ يخرق مكانه، وقال: هذا مكاني .لغرق الجميع .التكافل بـ الدعاء والاستغفار يصلح السفينة كلها، ويمنع الهلاك عن الجميع.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: الدعاء للمؤمنين يوسع القلب، ويذهب الحسد والبغضاء .فكيف تحقد على من تدعو له كل يوم؟!
· عمليًا: خصص من دعائك اليومي جزءًا لأهلك، لجيرانك، للمستضعفين، للمسلمين في كل مكان .قل: " اللّهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات".

المحور الرابع: "وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ" – ختام مهيب بالمراقبة الإلهية

.1دلالة "وَاللَّهُ يَعْلَمُ" بصيغة الجملة الاسمية
تدل على الثبات والدوام .علم الله دائم لا يتغير، وهو محيط بكل شيء.

.2دلالة "مُتَقَلَّبَكُمْ"

· من التقلب، وهو الحركة والتنقل .أي: يعلم كل حركاتكم في النهار، في أسفاركم، في أعمالكم، في جهادكم، في أسواقكم.
· يشمل تقلب الأفكار والمشاعر في الصدور، ما يدور في خلدك وأنت وحدك.

.3دلالة "وَمَثْوَاكُمْ"

· من الثواء، وهو الإقامة والاستقرار .أي: يعلم أماكن إقامتكم في الليل، في بيوتكم، في قبوركم.
· وفيه إشارة إلى أن الله يعلم رجوعكم إلى بيوتكم ومثواكم الأخير في القبر، وما بعده من إقامة أبدية في جنة أو نار.

.4الربط بين العلم والاستغفار
كأن الآية تقول: استغفروا وأكثروا، فإن الله عليم بكم .قد تذنبون في تقلبكم وأسفاركم، وقد تغفلون في مثواكم وإقامتكم، فبادروا بالاستغفار، فهو العالم بحالكم، الرحيم بكم.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال كاميرات المراقبة: في مدن اليوم، يشعر الناس بالانضباط لأنهم يعرفون أنهم مراقبون .فكيف بمراقبة الله التي لا يفوتها شيء في الظلمات والأعماق؟
· مثال التطبيق على الهاتف: كثير من التطبيقات تعرف أين أنت) متقلبك (وأين تنام) مثواك .(فإذا كان برنامج صغير يعرف هذا، أفلا يعلمه الخالق العظيم؟!

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أيقن أن وحدتك باللّٰه ليست وحدة، إنها أجمل خلوة .وهو أعلم بك من نفسك، فلا تخفِ عنه شيئًا، بل أفضِ إليه بذنوبك وتقصيرك واستغفارك.
· عمليًا: قبل أن تخلد إلى مثواك) تنام(، تذكر تقلبك طول يومك، واستغفر اللّٰه عما بدر منك، وتب إليه.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ":
· محاسبة النفس: هل "عَلِمتُ" هذه الكلمة، أم أنني فقط "حفظتها"؟ هل أثرت في خوفي ورجائي وتوكلي؟
· التطبيق العملي: اقرأ كل يوم تفسيرًا لجزء من معاني "لا إله إلا اللّٰه" .ادرس أركانها وشروطها ونواقضها .حولها من كلمة على اللسان إلى حياة في الجنان.
· في دائرة "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ":
· محاسبة النفس: ما هو الذنب الذي أكرره ولا أستغفر منه بصدق؟
· التطبيق العملي: اجلس في خلوة الليل، واكتب ذنوب الخفاء) العين، القلب، اللسان(، واستغفر لكل واحد منها بندم وإلحاح.
· في دائرة "وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ":
· التطبيق العملي: عند كل صلاة، ارفع يديك وادعُ لأحد إخوانك المهمومين، أو المظلومين، أو الغارقين في الذنوب، بأن يغفر اللّٰه لهم ويهديهم .اشعر بالأخوة وأنت تدعو.
· في دائرة "يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ":
· التطبيق العملي: عند تغيير مكانك) من بيت لعمل، من مجلس لآخر(، قل: "بسم اللّٰه، اللّٰهم إني أسألك خير هذا المكان وخير ما فيه" .وعند عودتك إلى مثواك) بيتك(، ادخل بذكر وسلام.

ثالثًا: واجب الوقت) ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟(

بعد هذا البيان، فإن المولى سبحانه وتعالى يريد منا من خلال هذه الآية:

.1يريد منا الانتقال من الإيمان الموروث إلى الإيمان الواعي: يريدنا أن "نعلم" أن لا إله إلا اللّٰه علمًا يقينيًا يحررنا من التعلق بكل ما سواه .يريدنا أن ندرس هذه الكلمة، ونفهم تبعاتها، فنكون عبادًا لله حقًا.
.2يريدنا أن نعيش حالة العبودية الدائمة: من خلال الاستغفار المتصل .يريدنا أن نعرف أننا مهما بلغنا من الطاعات، فنحن مقصرون، فنلوذ بستره .يريد "استغفار العابدين"، لا "استغفار الغافلين".
.3يريدنا أن نذيب الأنانية من نفوسنا: بأن نحمل هم المؤمنين والمؤمنات .يريد مجتمعًا متكافلا ً، يشعر فيه كل فرد بمسؤوليته عن غيره، فيدعو له، ويستغفر له، ويحبه.
.4يريدنا أن نعيش الشفافية المطلقة معه: يريدنا أن نوقن بأنه يعلم تقلبنا في النهار ومثوانا في الليل، فلا نخفي عنه شيئًا .هذه الشفافية تنتج الصدق مع النفس، ومع اللّٰه، ومع الناس.
.5يريدنا أن نفهم التكامل بين التوحيد والاستغفار والتكافل والمراقبة: فلا نأخذ درسًا وندع آخر .ف العلم بالتوحيد يورث الاستغفار، والاستغفار يدفع للتكافل، والمراقبة تصحح مسار الكل.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية) مع التطبيق العملي لكل درس(

.1درس: التوحيد يجب أن يكون عن علم ويقين.

· التطبيق العملي: اجعل لنفسك هذا الأسبوع مشروع "البحث عن أدلة التوحيد" .ارجع لسورة واحدة)كالإخلاص أو الأنبياء (واستخرج منها كل الآيات التي تثبت أن لا إله إلا اللّٰه .دونها في مفكرة.

.2درس: الاستغفار عبادة مستقلة ودائمة.

· التطبيق العملي: اضبط منبهًا في جوالك كل ساعة، ولو لثوان، عند سماعه، ردّد "أستغفر الله العظيم وأتوب إليه" ثلاثًا .بهذا تحول الاستغفار إلى تقس دائم في يومك.

.3درس: الدعاء للمؤمنين ينقي القلب من الحسد.

· التطبيق العملي: إذا رأيت إنسانًا متفوقًا عليك، أو أحسست بغيرة، بادر فورًا بالدعاء له: "اللهم بارك له، واغفر له، وزدني من فضلك" .هذا يقتلع جذور الحسد.

.4درس: علم الله الشامل رادع عن المعصية.

· التطبيق العملي: في كل مكان تخلو فيه ويعرض لك الشيطان بمعصية، تذكر أن هذا الموضع من "مُتَقلَبِكَ"، فأحيط به ذكر الله .قل بصوت مسموع: "الله يعلم أني هنا، وأنا أستحييه".

.5درس: تكريم المرأة ومشاركتها في الأجر بالدعاء.

· التطبيق العملي: عند قراءة أذكار المساء، وذكر "للمؤمنين والمؤمنات"، استحضر أمك، زوجتك، أختك، وادعُ لهن بالاسم.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

هذه الآية، على وجازتها، تعد ميثاقًا لسلوك المؤمن اليومي:

.1تعلمنا أن العلم قائد العمل: فلا قيمة لعمل بلا علم سابق .في حياتنا العملية، قبل أن تقدم على أي مشروع أو عبادة، يجب أن نتعلم كيف نتوكل على الله، لا على الأسباب، محققين "لا إله إلا الله" . قبل أن تفتح تجارة، تعلم فقه البيوع .قبل أن تصلي، تعلم فقه الصلاة .العلم هو أول الطريق.
.2تعلمنا ممارسة النقد الذاتي الدائم: "واستغفر لذنبك" تعني أن تراجع أخطاءك يوميًا .في عالم الأعمال والإدارة، هذا هو مبدأ "التحسين المستمر" .في آخر كل يوم، راجع أداءك، خطاياك، تقصيرك، واستغفر .هذه هي ثقافة التطوير الإيمانية.
.3تعلمنا القيادة بالقدوة: عندما يُطلب من النبي ﷺ أن يستغفر، فهذا درس للقادة والمربين وأولياء الأمور: لا تأمروا غيركم بفعل الخير، دون أن تكونوا أنتم أول فاعليه .كن أنت النموذج في الاستغفار، يقتدِ بك أهلك وأولادك.
.4تعلمنا أن العمل الجماعي والتكافل قيمة إسلامية عليا: الاستغفار للمؤمنين هو أبسط أنواع المسؤولية الاجتماعية .إذا لم تستطع مساعدة غيرك بمال أو جهد، فادعُ له في ظهر الغيب .هذا يبني مجتمعًا متراحمًا.
.5تعلمنا تحويل الحياة إلى صلاة دائمة: بالمراقبة ."يعلم متقلبكم ومثواكم" تحول كل حركاتك وسكناتك إلى عبادة، لأنك تعلم أن الله يراك .الأب الذي يعمل في مصنعه، والموظف في مكتبه، و الطالب في فصله، كلهم يمكنهم أن يعبدوا الله باستحضار هذه الآية.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) التوحيد كمحرك للحياة(: يبني إنسانًا معطاءً لا يهاب الصعاب، لأن قلبه معلق بالواحد الأحد .مجتمع يقوم على هذا المفهوم لا ترهبه قوى الشر، لأنه لا يعبد إلا الله.
.2مفهوم) الاستغفار كأداة للتجديد(: يبني إنسانًا لا يتراكم فيه اليأس .كلما أخطأ، استغفر وجدد نشاطه .هذا المجتمع لا تعيقه الإخفاقات، بل ينهض سريعًا، لأن لديه آلية تصحيح دائمة هي الاستغفار.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) السكينة بالعلم(: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يبني نفسًا مطمئنة، لا تقلقها ألغاز الوجود ولا مصائب الدنيا، لأنها على علم يقيني بربها.

.2مفهوم) الصحة النفسية بالبذل(: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يبني نفسًا سليمة من الأنانية، فالأنانية مرض، والدعاء للغير شفاء .أثبتت الدراسات النفسية أن مساعدة الآخرين والدعاء لهم يقلل التوتر ويرفع مستوى السعادة.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) المعرفة القائمة على الدليل(: ﴿فَاعْلَمْ﴾ تبني عقلا ً ناقدًا لا يقبل إلا بالدليل .حضارة المسلمين قامت على "العلم"، لا على الخرافة.
.2مفهوم) شمولية علم الله للحضارة(: ﴿يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ يبني فكرًا يدرك أن التكنولوجيا و المدنية ليست بعيدة عن عين الله .فالعمران والمثوى الحضاري هو من متقلبنا، والله محاسبنا على كيف بنيناه.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع يبني أفراده على "العلم بالتوحيد"، ويربي نفوسهم على "الاستغفار الدائم"، ويعالج أمراضهم بـ "الدعاء للآخرين"، ويراقب كل أعماله بخوف من "اللطيف الخبير"؛ هو مجتمع مهيأ أن يكون خير أمة أخرجت للناس .إنه مجتمع يجمع بين العقيدة الراسخة، والأخلاق المزكاة، والحضارة المزدهرة.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد العقدي المعرفي:
الآية تفتح أفق "العلم" كأساس للتوحيد .إنها تنقل المسلم من إيمان العادة والتقليد، إلى إيمان البرهان واليقين .هذا البعد يصنع علماء ربانيين، لا مجرد حفّاظ .إنها تدعو إلى عقلية فاحصة، تبحث عن الحق، وتفهم "لا إله إلا الله" كمنهج حياة كامل، لا كشعار فارغ.

.2البعد السلوكي الأخلاقي:
في اقتران "الاستغفار" بـ "العلم" بُعد عظيم .فالعلم إذا لم يثمر الخشية والاستغفار، كان وبالا ً .إنها معادلة: "كلما ازددت علمًا بالله، ازددت استغفارًا من تقصيرك في حقه" .هذا البعد يبني أخلاق التواضع، ويمنع الكبر الذي هو آفة العلماء.

.3البعد الاجتماعي التكافلي:
الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات يتجاوز الحدود الزمانية والمكانية .أنت تدعو لمن تحب، ولمن لا تعرف، لمن ماتوا، ولمن لم يولدوا بعد من المؤمنين .هذا البعد يبني أمة واحدة مترابطة، تمتد عبر التاريخ . إنه سور منيع ضد الطائفية والعنصرية والأنانية.

.4البعد الإيماني الرقابي:
ختام الآية بـ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ يبني الإنسان الرقيب على نفسه، لأنه يشعر أن الله معه أبدًا .هذا هو مقام الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه" .هذا البعد هو نظام المراقبة الذاتية الأكثر تطورًا في التاريخ، وهو الذي يجعل المجتمع المسلم محتسبًا في الخلوات قبل الجلوات.

.5البعد الحضاري الشامل:
إذا كان الله يعلم "متقلبنا" و"مثوانا"، فإن الحضارة التي نبنيها، بمدنها وعماراتها ومؤسساتها، هي جزء من هذا المتقلب والمثوى .الآية تمنح العمران بعدًا مقدسًا، فبناء الدار والمسجد والمستشفى والمصنع، إذا أُريد به وجه الله، دخل في دائرة العبادة التي يعلمها الله.

رسالة ختامية

يا عبد الله، هذه الآية الكريمة هي خريطة طريق مختصرة .ابدأ يومك بـ "اعلم"، واختمه بـ "استغفر"، وعش ما بينهما بـ "للمؤمنين والمؤمنات"، وكن على يقين أنه يعلم "متقلبك ومثواك" .لقد جمعت لك الدنيا والآخرة: التوحيد لله، والاستغفار للنفس، والدعاء للإخوان، والمراقبة للديان.
اعقد قلبك على هذه الحروف النورانية، واجعلها نبراسك .فمن علم أنه لا إله إلا الله، صفت سريرته . ومن استغفر، مُحيت حوبته .ومن دعا لإخوانه، قُضيت حاجته .ومن أيقن أن الله يراه، صلحت حاله . فهنيئًا لك بهذه الكنوز، فاحملها في صدرك، تحز الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة

خامسا
تنتقل الايات الى بيان مساوئ بناء العقيده على الانفعال دون علم ودون بناء الوعى والاراده و العزيمه فالانفعال يزول أثره بمجرد انتهاء المؤثرات وكذلك تبين خطوره داء الجبن والركون الى الدنيا ولهذا تانى ايات هذه الفقره لمعالجه هذه الأمراض كما يتضح من الاتى

المبحث الأول

نستأنف الرحلة مع آية من سورة محمد، نغوص فيها في أعماق النفوس، ونكشف سرائر القلوب عند لحظات الجد والامتحان .إليك تفسير الآية. (20)

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن رسّخت الآية (19) في قلب النبي ﷺ والمؤمنين أصول الدين العظيمة: العلم بالتوحيد، وملا زمة الاستغفار، والتكافل الإيماني، والمراقبة الدائمة لله؛ تأتي هذه الآية لتنقلنا إلى مشهد حيّ من الواقع، لتكشف حقيقة القلوب عند الامتحان العملي.

لقد كانت سورة محمد كلها سورة المواجهة والتمكين، وقد بينت الفرق الشاسع بين المؤمنين الصادقين والمنافقين .وهنا، في الآية(20) ، يضعنا السياق أمام لحظة فارقة: المؤمنون الصادقون، بفعل يقينهم وتوحيدهم، يتشوقون لمعرفة أوامر الله بالجهاد، فهم في حالة استنفار دائم .أما الفريق الآخر، الذين في قلوبهم مرض، فما إن يواجهوا تكليفًا جادًا حتى ينكشف خوفهم وجبنهم، وتراهم يرتجفون كمن يغشى عليه من الموت .إنها آية تكشف زيف الشعارات، وتميز بين من يعبد الله على حرف، ومن يعبده بصدق ويقين .وكأن السورة تقول: هذا هو ميدان الاختبار الحقيقي، فانظر أين أنت من هذين الفريقين.
تفسير الآية (20) من سورة محمد

قال تعالى:
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

كان المؤمنون الصادقون، في بداية الإسلام، توّاقين لمعرفة أحكام الله، متحمسين لنصر دينه، فيقولون: هلا نُزّلت سورة تأمرنا بالجهاد والإعداد للعدو .فإذا نزلت سورة واضحة بينة الأحكام، ذُكر فيها فرض القتال، انكشف على الفور حال المنافقين الذين في قلوبهم شك ونفاق وهلع .إنهم ينظرون إلى النبي ﷺ في خوف ورعب، نظر المحتضر الذي يداهمه الموت، كراهية للقتال وجبنًا عن المواجهة .وحينها يأتي الوعيد الإلهي المختصر المزلزل: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾، أي فويل لهم، وهلاك لهم، وقاربوا الهلاك.

مقاصد وأهداف الآية:

1.بيان تلهف المؤمنين الصادقين على تلقي أوامر الله: وعدم ترددهم في طلب الفرائض والجهاد.
2.فضح حقيقة المنافقين عند الجد والامتحان العملي: فالتمني شيء، والواقع شيء آخر.
3.رسم صورة نفسية بالغة الدقة للخوف والهلع: الذي يسيطر على أصحاب القلوب المريضة عند مواجهة التكاليف الشاقة.
4.التحذير من ادعاء الإيمان الكاذب: وتفخيم شأن القتال في سبيل الله.
5.تعليم المؤمنين أن التكاليف محك للصدق: فالمؤمن الحق يفرح بنزول السورة المحكمة، والمنافق يرتعب.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ" – شوق المؤمنين لأوامر الله

1.دلالة "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا"

· عبر عنهم بوصف الإيمان الخالص "الذين آمنوا"، تمييزًا لهم عمن سيأتي ذكرهم في الآية.
· صيغة الفعل المضارع "يقول" تدل على تجدد هذا الشعور في قلوبهم، فهم دائمًا في شوق للوحي، وفي تطلع للمزيد من التكاليف التي تقربهم إلى الله.

2.دلالة "لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ"

· "لَوْلَا": حرف تحضيض، بمعنى "هلا" .وهو تعبير عن التمني والتحريض بلطف .هم يسألون: لماذا لا تنزل سورة؟ هلا نزلت!
· "سُورَةٌ": نكرة للتعظيم، أي: سورة عظيمة الشأن.
· "نُزِّلَتْ": بصيغة التأنيث المجهول) بني للمفعول (للدلالة على أنها منزلة من عند الله، وهو تعظيم للمنزل .كانوا يتشوقون إلى سورة تفصل لهم أحكام الجهاد، لأن السور المكية لم تكن تأمر بالقتال، بل تركز على العقيدة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجندي المخلص: في معسكر التدريب، الجندي المخلص الذي تشرب روح العقيدة القتالية، ينتظر بفارغ الصبر أوامر القائد، ويقول: "متى نصدر الأوامر؟ متى ننطلق؟" .هذا هو حال المؤمنين الصادقين.
· مثال الطالب المجتهد: طالب يحب المادة، يتشوق للامتحان الصعب، ويسأل أستاذه: "متى سيكون الا ختبار الحقيقي؟" .هذا هو شوق المؤمن للتكاليف.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: افحص قلبك: هل أنت في حالة شوق لمعرفة ما يريده الله منك، حتى لو كان شاقًا؟ أم أنك تفضل الأمان والراحة؟
· عمليًا: لا تكتفِ بما تعرفه من فرائض، واسأل دائمًا: "يا رب، ماذا تريد مني أن أفعل أكثر؟".

المحور الثاني: "فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ" – لحظة الامتحان العملي

.1دلالة الفاء في "فَإِذَا"
الفاء للتفريع والتعقيب .أي: حين يتحقق ما تمنوه، وتنزل السورة، يحدث أمر آخر.

.2دلالة "أُنزِلَتْ" و"سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ"

· "أُنزِلَتْ": بني للمفعول أيضًا للتعظيم.
· "مُحْكَمَةٌ": أي واضحة مبينة، محفوظة من النسخ، وآياتها متقنة بينة الأحكام .وقيل: محكمة بذكر القتال، أي جعل القتال فيها حكمًا لازمًا محكمًا.

.3دلالة "وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ"

· "الْقِتَالُ": هو الجهاد في سبيل الله، وهو أشق التكاليف .عبر ب-"ذُكر" ولم يقل "فرض فيها القتال"، بل مجرد ذكر القتال، ومع ذلك حصل ما حصل من المنافقين!
· السر البديع: أن مجرد ذكر القتال في السورة جعل المنافقين يرتعبون، فكيف لو كان هناك قتال فعلي بالأبدان؟

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال التمرين والنزال الحقيقي: لاعب الملاكمة يتدرب ويقول: "متى سأدخل النزال الحقيقي؟" .فإذا جاء يوم النزال، رأيت الضعفاء يرتجفون، رغم أنهم كانوا يمنون النفس بالبطولة.
· مثال خطاب العمل: موظفون يطلبون من المدير قواعد صارمة للترقية، فلما نزلت القواعد وذُكر فيها "زيادة ساعات العمل"، ظهر المتذمرون .مجرد ذكر الشرط يكشف النفوس.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: السؤال هنا: هل أطلب التكاليف من الله بلساني، ثم أتثاقل عنها بقلبي وجوارحي؟
· عمليًا: إذا دعوت الله أن يستعملك في طاعته، فتأكد أن سيأتيك اختبار .فكن مستعدًا، ولا تكن ممن يهربون عند الجد.

المحور الثالث: "رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ" – الصورة البديعة للهلع

.1دلالة "رَأَيْتَ"
الخطاب للنبي ﷺ، وفيه إعلام بأن هذا المشهد مرئي بالعين، مشاهد لا يُنسى .رأيتهم أيها النبي، رأيت خوفهم.

.2دلالة "الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ"

· المرض: هو النفاق، أو الشك، أو الجبن الشديد .الكناية عن المنافقين "بالذين في قلوبهم مرض" أبلغ، لأنها تبين أن الخلل في العضو الأهم، في القلب .والمرض يوجب الهلع والتخبط.
· "في قلوبهم مرض": إشارة إلى أن خوفهم ليس خوفًا طبيعيًا من القتال، بل هو مرض وعلة في الإ يمان.

.3دلالة "يَنظُرُونَ إِلَيْكَ"
لم يقولوا "ينظرونك" بل "إِلَيْكَ"، للدلالة على توجيه النظر بذلة وانكسار .إنهم يحدقون في النبي ﷺ، تارة رجاء أن يعفيهم، وتارة خوفًا مما سيأمرهم به.

.4دلالة "نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ" – التشبيه البليغ

· هذا من بدائع التصوير القرآني .شبه نظرهم بنظر من يغشى عليه في سكرات الموت، الذي تنقلب عيناه، ويدور بصره بلا تركيز، ويظهر فيهما الذهول والرعب.
· "الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ": أي أغمي عليه.
· "مِنَ الْمَوْتِ": بسبب الموت الذي يداهمه .إنه مشهد المحتضر المذهول .هذا هو حالهم عند مجرد ذكر القتال، فهم يظنون أن القتال موت محقق، فيصابون بالهلع قبله.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال التشبيه الحسي: انظر إلى أرنب وقع في يد صياد، كيف ترتجف عيناه وتدوران في رعب شديد .هذا هو "نظر المغشي عليه من الموت".
· مثال الامتحان المفاجئ: طالب لم يستعد للامتحان، وفجأة يعلن المعلم عن اختبار صعب .تجده شاحبًا، يحدق في المعلم وفي الورقة بعينين زائغتين، لا يكاد يبصر شيئًا من الخوف.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا الهلع دليل على خلو القلب من الإيمان الحقيقي بالله واليوم الآخر.
· تربويًا: لاحظ نفسك عند المصيبة، عند التكليف الشاق .هل نظرك كنظر المغشي عليه من الموت، أم كنظر المؤمن الذي يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل؟

المحور الرابع: "فَأَوْلَىٰ لَهُمْ" – الوعيد المختصر المزلزل

.1دلالة "أَوْلَىٰ"
"أولى" هي كلمة وعيد وتهديد .أصلها من "الولي" وهو القرب .أي: قاربهم الهلاك والشر، أو وليهم ما يكرهون .وهناك وجهان في إعرابها ومعناها:

· أولى: بمعنى "ويل"، أي فويل لهم وهلاك لهم.
· أولى لهم الشر: أي قاربهم الشر ودنا منهم.

.2بلاغة الإيجاز في "فَأَوْلَىٰ لَهُمْ"
الآية توقفت عن وصف حالهم، واكتفت بهذه الكلمة الموجزة .إنها قنبلة من الوعيد، تاركة للخيال أن يتصور ما ينتظرهم من سوء المصير .بعد أن وصف حالهم المذري في الدنيا، يأتي هذا الوعيد ليكون جسرًا إلى ما هو أشد في الآخرة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الأب الغاضب: عندما يخطئ الولد خطأ فادحًا، قد لا يعدد الأب العقوبات، بل يقول له كلمة واحدة: "ويلك!" .هذا أشد وقعًا على النفس من شرح العقوبة كلها.
· مثال الطبيب: عندما يرى جرحًا عميقًا، يقول: "هذا مهلك!" ."فأولى لهم" تعني أنهم في طريق الهلاك لا محالة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا الوعيد يجب أن يرعب كل من يجد في قلبه خوفًا من التكاليف الشرعية، وكراهية للجهاد.
· عمليًا: استحضر هذا الوعيد عند كل تكليف تتردد فيه، وسارع بالامتثال، فالتردد والنفور بداية الطريق للهلاك.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ":
· محاسبة النفس: أين أنا من الشوق للتكاليف الإلهية؟ هل أسأل الله أن يريني الحق ويرزقني اتباعه، أم أنني أكتفي بالموجود وأخاف من المزيد؟
· التطبيق العملي: في دعائك اليومي، أضف: "اللهم أنزل علينا سورة من سور التمكين، وارزقنا الصدق عند الامتحان".
· في دائرة "فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ":
· محاسبة النفس: عندما تقرأ في القرآن آية فيها أمر صريح بترك محرم، هل تفرح وتستجيب، أم تشعر بضيق كنظر المغشي عليه؟
· التطبيق العملي: كلما قرأت آية فيها تكليف، قف وقل: "سمعنا وأطعنا" .ثم ابدأ في تطبيقها فورًا.
· في دائرة "رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ":
· التطبيق العملي: ابحث في قلبك عن "مرض" يمنعك من طاعة .هل هو حب الدنيا؟ الخوف من الفقر؟ الخوف من كلام الناس؟ عالجه بالعلم والإيمان .وقل: "اللهم طهر قلبي من النفاق".
· في دائرة "فَأَوْلَىٰ لَهُمْ":
· التطبيق العملي: إذا وجدت نفسك تكره أمرًا شرعيًا، فاستعذ بالله فورًا، وتب، واعتبر هذا الشعور نذير هلاك، فبادر بالطاعة قبل فوات الأوان.

ثالثًا: واجب الوقت) ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟(

بعد هذا البيان، فإن المولى سبحانه وتعالى يريد منا من خلال هذه الآية:

.1يريدنا أن نكون صادقين في شوقنا لدينه: لا أن نتمنى البطولة باللسان، ثم نجبن عند الميدان . يريدنا أن نكون من "الذين آمنوا" حقًا، الذين إذا تمنوا أمرًا من الله، صبروا عليه ونفذوه.
.2يريدنا أن نعرف أن التكاليف محك وكشاف: يريدنا أن ننظر إلى أوامر الله) كالصلوات، الزكاة، الحجاب، الجهاد، الصدق، الأمانة (على أنها اختبارات تظهر معادننا .فلا نتبرم منها، بل نفرح بها لأنها تثبت صدقنا.
.3يريدنا أن نطهر قلوبنا من مرض الجبن والنفاق: يريدنا أن نعالج قلوبنا أولا ً بأول، حتى لا نقع في حالة الهلع التي وقع فيها المنافقون .القلب السليم يثبت عند المهمات، والقلب المريض ينهار.
.4يريدنا أن نقارن بين حال المؤمنين وحال المنافقين عند التكليف: لنختار لأنفسنا أي الفريقين نكون . المؤمن يشتاق ويسأل: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾، والمنافق يرتعب ويهلع .فأين أنت؟
.5يريدنا أن نستشعر خطورة التخلف عن التكاليف الشرعية: فوعيد ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ليس بالأمر الهين . إنه إنذار بالهلاك لمن يخاف من أوامر الله ويستثقلها.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية) مع التطبيق العملي لكل درس(

.1درس: المؤمن الحق توّاق إلى معرفة أحكام ربه.

· التطبيق العملي: لا تنتظر أن تفرض عليك الطاعات فرضًا، بل سابق إليها .اسأل عن نوافل الخير، وابحث عن سنن مهجورة .كن مبادرًا، لا متثاقلا ً.

.2درس: الادعاء شيء، والامتحان شيء آخر.

· التطبيق العملي: إذا قلت: "أنا أحب الجهاد"، فجرب جهاد النفس أولا ً في الصيام، في قيام الليل، في مخالفة الهوى .هذا تدريب عملي على الصدق.

.3درس: الخوف من التكاليف علامة مرض قلبي.

· التطبيق العملي: راقب مشاعرك عند سماع "قم فصلّ" أو "اترك هذه المعصية" .إذا شعرت بانقباض شديد وضيق، فاعلم أن هناك مرضًا .اذهب إلى "طبيب القلوب") القرآن والذكر (فورًا.

.4درس: الهلع والجزع من الجهاد وأوامر الدين يؤدي إلى الهلاك.

· التطبيق العملي: عند حدوث أزمات للأمة) كالحروب والزلازل(، تدرب على الثبات .لا تكن ممن ينشرون الهلع في وسائل التواصل .قل: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، وكن طمأنينة لإخوانك.

.5درس: النفاق علة خفية تظهر عند الشدائد.

· التطبيق العملي: ضع نفسك في مواقف تحمل مسؤولية، كقيادة مشروع خيري، أو إمامة الناس في صلاة، أو التطوع بعمل شاق .هذه المواقف تكشف لك حقيقة قلبك، هل هو مطمئن، أم مذعور؟

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

هذه الآية تُعد معملا ً لتحليل الذات في مواجهة الواجبات:

.1تعلمنا أن نكون صادقين مع الله في كل الأوقات: لا نكون من عبّاد المناسبات .في حياتنا العملية، كثيرًا ما نتحمس لبداية مشروع، لكن عندما تبدأ الصعاب، ننسحب .الآية تعلمنا أن الاستمرار هو دليل الصدق .فعندما تبدأ في حفظ القرآن، أو في مشروع تجاري أخلاقي، استمر مهما كانت التحديات.
.2تعلمنا أن الخوف ليس كله مذمومًا، بل الخوف من التكليف الإلهي هو المذموم: الخوف الطبيعي من الأعداء أو من الموت موجود، لكن المؤمن يدفعه بالإيمان .في حياتنا العملية، إذا شعرت بخوف من تقديم الحق أو من التحدث بالصدق، فادفع هذا الخوف بقولك: "اللّهم ثبتني".
.3تعلمنا تحليل ردود أفعالنا الجسدية والنفسية إزاء التكاليف: إذا لاحظت على نفسك توترًا مفرطًا، أو تسارعًا في ضربات القلب، أو تشتتًا عند قرار مصيري يتعلق بالدين) مثلا ً: ارتداء الحجاب لفتاة، أو ترك وظيفة مختلطة لرجل(، فاعلم أنك أمام اختبار، وأن الشيطان يحاول ترهيبك .قاوم هذا الشعور فورًا، ولا تكن "كنظر المغشي عليه من الموت".
.4تعلمنا أن الجماعة المسلمة بحاجة إلى من يثبتها: المؤمنون كانوا يطلبون السورة ليزدادوا يقينًا . في محيط عملك أو أسرتك، كن أنت الداعي للخير، المحرض على الالتزام، الذي يذكر الناس بالآيات و الأحكام، لا أن تكون من المثبطين.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الاستعداد الدائم للتكليف(: يبني إنسانًا لا ترهبه المفاجآت .إذا قامت الحضارة على هذا المفهوم، أصبح المجتمع جيشًا مستنفرًا للبناء والدفاع، لا مجتمعًا مترهلا ً يخاف من أدنى تضحية.
.2مفهوم) الحماسة المقترنة بالعمل(: حول الحماسة العاطفية لـ ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ إلى حماسة عملية عند ﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ .هذا يبني مجتمعًا ينجز، لا مجتمعًا يكتفي بالكلام والشعارات.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الشجاعة كصحة قلبية(: يبني نفسًا سوية، فالشجاعة ليست عدم الخوف، بل هي عمل القلب السليم .المنافق مريض القلب، والمؤمن صحيح القلب .هذا المفهوم يدفعنا لتربية النشء على "صحة القلب الإيمانية" قبل صحة الجسد.
.2مفهوم) تحويل الخوف إلى طاقة(: بدل أن يكون الخوف من التكليف مدمرًا، يحوله المؤمن إلى دافع للتوكل على الله .هذا يبني إنسانًا مقدامًا، يعرف أن الخوف إشارة للتزود بالإيمان، لا للهروب.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) التكاليف كآلية فرز اجتماعي(: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ تفرز الصفوف .فكريًا، هذا يعلمنا ألا ننخدع بالمظاهر .في المجتمع، هناك من يتكلم، وهناك من يعمل .السياسة الحضارية تحتاج لآليات تفرز المخلصين من المدعين، وتضعهم في مواقع المسؤولية.
.2مفهوم) القرآن منهج حياة وليس مجرد نصوص للتلاوة(: نزول السور المحكمة بالقتال يعني أن القرآن نزل ليكون واقعًا يعاش .هذا المفهوم يبني فكرًا حضاريًا يستنبط من الوحي قوانين الإصلاح و التغيير، ولا يعزله عن واقع الحياة.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يبني جيلا ً يشتاق للتكاليف، ويثبت عند النوازل، هو مجتمع تتكامل فيه شجاعة القلوب، وصفاء النفوس، وعمق الفكر .إنه المجتمع الذي قاده النبي ﷺ، فكان الصحابة يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ شوقًا، فإذا نزلت ثبتوا، ففتحت بهم الدنيا.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني والإخلاصي:
الآية تفتح أفق الإخلاص العميق .فهي تعلمنا أن نطلب رضا الله لا راحة النفس .المؤمنون لم يسألوا عن السورة لذاتها، بل لما فيها من هدى وتقرب إلى الله .إنهم يتشوقون لمعرفة ما يحبه الله ليفعلوه . هذا البعد ينقل العبادة من "أداء واجب" إلى "عشق للتكليف".

.2البعد النفسي التحليلي:
الآية تقدم تحليلا ً نفسيًا رهيبًا للخوف المرضي .هناك فارق بين الخوف الطبيعي، و"نظر المغشي عليه من الموت" .هذا البعد يفتح مجالا ً واسعًا في علم النفس الإيماني لدراسة تأثير الإيمان على إدارة الخوف والأزمات .إنها تصف حالة الصدمة والهلع (Panic Attack) التي تصيب المنافق عند تكليفه بما لا تهواه نفسه.

.3البعد التربوي والاختباري:
الآية ترسي قاعدة في التربية: "لا تمدح أحدًا قبل اختباره" .المؤمنون مدحوا لأنهم ثبتوا بعد أن أنزلت السورة المحكمة .أما التمني المجرد فليس فضيلة .هذا البعد يعلم المربين والقادة ألا يغتروا بالحماسة الأولية للشباب، بل ينتظروا المواقف الصعبة التي تظهر المعدن الحقيقي.

.4البعد الحضاري الجهادي:
السورة المحكمة التي ذكر فيها القتال، ترمز لكل تكليف فيه مشقة ومواجهة .بناء الحضارة هو نوع من الجهاد .إصلاح الاقتصاد، محاربة الفساد، بناء المؤسسات، كلها تحتاج إلى روح المؤمنين الذين لا يخافون، ولا ينظرون "نظر المغشي عليه من الموت" عند أول عقبة .هذا البعد يبني أمة تجيد التعامل مع الأزمات، ولا تنهار عند التحديات.

.5البعد الاستشرافي للمستقبل:
وعيد "فأولى لهم" ليس فقط للدنيا، بل هو إنذار بما ينتظرهم في الآخرة .هذا البعد يربط الحاضر بـ المستقبل الأبدي .الخوف من التكليف في الدنيا قد يؤدي إلى الهلاك الأبدي في الآخرة .وبالمقابل، الشجاعة والتضحية في الدنيا تؤديان إلى النعيم المقيم.

رسالة ختامية

يا من تسمع داعي الله، هذه الآية مرآة صافية، فانظر فيها وجه قلبك .إذا سمعت نداء الجهاد في سبيل الله) جهاد النفس، جهاد المال، جهاد العلم، جهاد العدو(، فهل تشتاق وتقول: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾، أم يرتعش كيانك وتصاب بالشلل؟!
لا تكن ممن تنطبق عليهم كلمة ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ .كن ممن قال الله فيهم: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فأثبت لهم الإيمان قبل الامتحان وبعده .اطلب من الله أن يشفيك من مرض القلب، وأن يرزقك الشجاعة و الثبات عند التكليف .واعلم أن الطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره، وأن الصادقين هم الذين يسيرون فيه بثبات، كأنهم بنيان مرصوص، لا كنظر المغشي عليه من الموت.
المبحث الثاني

تفسير الآية (21) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن كشفت الآية (20) عن الهلع الشديد الذي يصيب المنافقين عند سماع آيات الجهاد، وما آل إليه حالهم من الوعيد بقوله: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾، تأتي هذه الآية لترسم الطريق الذي كان ينبغي عليهم سلوكه. إنها تنتقل من توبيخهم على حالهم المريضة، إلى بيان الحال المثالية التي كان يجب أن يكونوا عليها: "طاعة وقول معروف". ثم تعقب بأن الصدق مع الله في أوقات العزم والجد هو الخير الحقيقي الذي فاتهم بسبب نفاقهم. إنها آية جامعة بين بيان الواجب العملي، والتحذير من فوات الخير بسبب الكذب والخوف.

تفسير الآية (21)

قال تعالى:
﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد ذم المنافقين على هلعهم وجبنهم، تبين الآية أن الأمر المطلوب منهم، والذي هو أولى بهم، هو طاعة الله ورسوله، وقول حسن في تلبية النداء للجهاد. فإذا جاء وقت الجد والحسم، وحضر القتال، كان الواجب عليهم أن يصدقوا الله في إيمانهم ونياتهم، وألا يتخاذلوا. ويختم بأن هذا الصدق كان سيكون خيرًا لهم في الدنيا والآخرة من النفاق والهزيمة النفسية.

مقاصد وأهداف الآية:

1.بيان الواجب الشرعي: أن الأصل في المؤمن هو الطاعة المطلقة والقول الحسن.
2.فضح المنافقين: بأنهم حادوا عن هذا الأصل، فاستحقوا الذم.
3.التحذير من التخاذل عند الجد: فالصدق وقت العزم هو الامتحان الحقيقي.
4.توضيح أن الخيرة فيما اختاره الله: فالصدق معه خير من النفاق والجبن.
5.دفع المؤمنين إلى الصدق العملي: لا القولي فقط.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ" – بيان الأصل الواجب

1.دلالة "طَاعَةٌ"

· "طاعة" خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: "الواجب عليهم طاعة"، أو "أمرهم طاعة" .وهي جملة اسمية تدل على الثبات والاستقرار .أي أن شأن المؤمن الحق هو الطاعة الدائمة لله ورسوله، لا التردد والنفور.
· تنكير "طاعة" للتعظيم، أي طاعة كاملة لا يشوبها عصيان.

2.دلالة "وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ"

· القول المعروف: هو الكلام الحسن الذي تعرفه النفوس المستقيمة ولا تنكره .في هذا السياق، هو

تلبية النداء للجهاد بكلمة "سمعًا وطاعة"، لا بنظرات الذعر والصمت المريب.
· عطف "القول المعروف" على "الطاعة" فيه تلازم عظيم: فالقلب يطيع، واللسان يعبر عن هذه الطاعة بقول معروف.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجندي مع قائده: عندما يتلقى الجندي المخلص أمرًا، يقول فورًا: "حاضر، سأفعله" .هذه هي الطاعة والقول المعروف .أما المتردد فينظر مذعورًا صامتًا، وهذا شأن المنافق.
· مثال الموظف المثالي: عندما يطلب منه مديره مهمة شاقة، يبتسم ويقول:"على خير، سأنجزها" .هذا هو القول المعروف الذي يظهر الفرق بين المخلص والمتكاسل.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: درب قلبك على محبة الطاعة، فإذا أحبها، انطلق لسانك بالقول المعروف تلقائيًا.
· عمليًا: حين يُطلب منك أي تكليف شرعي) صلاة، صدقة، صلة رحم(، قل فورًا: "سمعًا وطاعة"، ثم امض للتنفيذ.

المحور الثاني: "فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ" – لحظة الجد والامتحان

.1دلالة "فَإِذَا"
فاء التفريع، تدل على الانتقال من مرحلة القول النظري إلى مرحلة الفعل العملي الصعب.

.2دلالة "عَزَمَ الْأَمْرُ"

· "عزم الأمر": أي جدّ وحضر وقت القتال، وصار فرضًا لازمًا محتمًا.
· إسناد العزم إلى "الأمر" على سبيل المجاز البليغ، لأن الأمر هو الذي يُعزم عليه، فحين يُعزم عليه يقال: عزم الأمر .أي صار الأمر في مرحلة الحسم والقطعية التي لا تراجع فيها.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطالب: طول العام يقول: أنا مجتهد .لكن "إذا عزم الأمر" وجاء يوم الامتحان النهائي، فهنا يظهر هل كان صادقًا أم كاذبًا.
· مثال الزواج: الشاب يقول: أريد الزواج وتحمل المسؤولية .فإذا عزم الأمر ودخل القفص الذهبي، هل يثبت ويصبر؟ هنا يظهر الصدق.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: لا تفرح بحماسة البدايات، بل انتظر حتى "يعزم الأمر" لتقيّم مدى صدقك وصدق غيرك.
· تربويًا: علم نفسك أن أوقات الجد هي أوقات إظهار الإيمان الحقيقي، فاستعد لها.

المحور الثالث: "فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ" – تمني الصدق والثبات

.1دلالة "لَوْ"
"لو" حرف امتناع لامتناع .تدل على أنهم لم يصدقوا، وامتنع عنهم الخير بسبب ذلك .وهي هنا تحمل معنى التمني والتعريض: "فهلا صدقوا الله".

.2دلالة "صَدَقُوا اللَّهَ"

· الصدق مع الله هنا ليس مجرد الصدق في الحديث، بل هو:
· صدق النية: إخلاص العمل لله.
· صدق العهد: الوفاء بما بايعوا عليه.
· صدق الفعل: الثبات عند القتال وعدم الفرار.

· تعدية الفعل ب-"صدقوا الله") بدون حرف جر (للدلالة على الكمال، أي صدقوا في كل ما يتعلق ب الله.

.3دلالة "لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ"

· "خيرًا": اسم تفضيل محذوف المفضل عليه، أي خيرًا لهم من النفاق، ومن الجبن، ومن نظرة المغشي عليه من الموت.
· الخيرية تشمل:
· دنيا: النصر، العزة، الغنيمة، راحة الضمير.
· آخرة: الجنة، رضوان الله، النجاة من النار.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال التاجر الصادق: تاجر يصدق في بيعه، يبارك الله له في رزقه، ويكسب ثقة الناس .هذا خير له من الكذب والغش الذي قد يربح به قليلًا ويفقد كثيرًا .﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.
· مثال المريض مع الطبيب: مريض يصدق الطبيب في وصف أعراضه، فيصف له الدواء المناسب، فيبرأ .ولو كذب، لكان هلاكه .الصدق مع الله هو دواء القلوب.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أشعر أن كل خير فاتك في حياتك، ربما سببه عدم صدقك مع الله في موقف ما.
· عمليًا: في كل قرار، اسأل نفسك: هل أنا صادق مع الله فيه؟ فإن كنت، فأبشر بالخير.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ":
· محاسبة النفس: عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل أقول "سمعًا وطاعة" أم أتعلل بالأعذار ؟
· التطبيق العملي: كلما سمعت داعي الله) في آية أو حديث(، قل في سرك: "طاعة وقول معروف"، ثم بادر بفعل ما استطعت منه.
· في دائرة "فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ":
· محاسبة النفس: كيف أتصرف في الأزمات؟ هل أثبت، أم أهرب؟
· التطبيق العملي: تدرب على الثبات في الشدائد الصغيرة) كالصيام في الحر، والصدقة مع الحاجة(، لتكون ثابتًا في الشدائد الكبيرة.
· في دائرة "فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ":
· محاسبة النفس: هل لي مشاريع خير نويتها ولم أنفذها؟ هذا نقص في الصدق.
· التطبيق العملي: أطلق على نفسك تحدي "أسبوع الصدق مع الله": لا تعد الله بشيء إلا وفيت به، مهما كان صغيرًا.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

بعد هذا البيان، فإن المولى سبحانه وتعالى يريد منا من خلال هذه الآية:

.1يريد منا أن نربي أنفسنا على الطاعة الفورية: دون تلكؤ، وأن نعبر عن هذه الطاعة بقول معروف، لا بالتذمر والتثاقل.
.2يريدنا أن نكون صادقين معه في السر والعلن: خاصة عندما تعزم الأمور وتجد التكاليف .الصدق وقت الشدة هو ميزان الإيمان.
.3يريدنا أن نوقن أن الخير كله في الصدق مع الله: فلا نظن أن في المراوغة والهرب نجاة، بل الهلا ك والشر.
.4يريدنا أن نقتدي بالملائكة: الذين قالوا: ﴿وَإِذَا أَمَرُوا لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ . طاعة وقول معروف.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي لكل درس)

.1درس: الاستجابة لله ورسوله واجبة ومطلقة.

· التطبيق العملي: إذا سمعت الأذان، اترك كل شيء وقم للصلاة فورًا، دون تسويف .هذا تمرين عملي على "طاعة وقول معروف".

.2درس: الصدق وقت الجد هو المقياس الحقيقي.

· التطبيق العملي: إذا عرضت لك فرصة عمل فيها شبهة، وتذكرت أن الله يراك، فاتركها فورًا .هذا هو "صدق الله عند عزم الأمر".

.3درس: الخير في اتباع أوامر الله، لا في اتباع الهوى.

· التطبيق العملي: عندما تتردد بين فعل معصية وطاعة، تذكر ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، واختر الطاعة، فهي الخير الحقيقي.

.4درس: القول الحسن جزء من الطاعة.

· التطبيق العملي: إذا كلفك والدك بأمر، فلا تقل له "أف"، بل قل: "حاضر، يا أبي" .هذا تطبيق عملي لـ لآية في أدب التعامل مع الوالدين.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

هذه الآية تعلمنا أن الإيمان ليس كلمات تقال عند الراحة، بل هو طاعة وصدق عند الشدة. في حياتنا العملية:

· في البيت: عندما تطلب الزوجة من زوجها، أو العكس، أن تكون الاستجابة بالمعروف، لا بالصراخ و الغضب.
· في العمل: الموظف الصادق مع الله يؤدي عمله بأمانة حتى لو غاب المدير .هذا هو الصدق عند "عزم الأمر".
· في العلاقات: عندما تعد صديقك وعدًا، كن صادقًا فيه، لأن الصدق مع الناس من الصدق مع الله.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الطاعة الفورية(: يبني إنسانًا منتجًا لا يسوف، ومجتمعًا سريع الاستجابة لأوامر القيادة الرشيدة، مما يحقق النهضة.
.2مفهوم) الصدق المؤسسي(: يبني شركات وحكومات صادقة مع شعوبها، فيعم الرخاء والثقة.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الصدق كراحة نفسية(: يبني إنسانًا مرتاح الضمير، لا يعاني من تناقض داخلي.
.2مفهوم) الشجاعة كطاعة(: يعلم أن الشجاعة ليست تهورًا، بل هي استجابة لأمر الله بثبات.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) التكليف اختبار(: يبني عقلا ً يدرك أن تكاليف الشرع هي اختبارات للنضج الإيماني.
.2مفهوم) الخيرية مرتبطة بالصدق(: يبني فكرًا اقتصاديًا واجتماعيًا قائمًا على أن الصدق هو طريق النجاح الحقيقي.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يربي أفراده على طاعة الله بلا تردد، والصدق معه في كل الأحوال، هو المجتمع الذي يستحق النصر والتمكين، لأنه حقق شرط الاستخلاف: العبودية لله وحده.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

1.البعد التعبدي: تفتح الآية بابًا من العبادة لا يلتفت إليه كثير من الناس، وهو "عبادة الصدق مع الله"، و"عبادة القول المعروف" .إنها تحول الكلمة الطيبة إلى قربى إلى الله.
2.البعد النفسي التربوي: تقدم منهجًا للتربية على تحمل المسؤولية .فالإنسان يُعرف بمواقفه عند الشدة، لا عند الرخاء .الآية تربي النفس على الاستعداد الدائم للاختبار.
3.البعد الاجتماعي: مجتمع يسوده "القول المعروف" هو مجتمع متماسك .والآية تدعو إلى استبدال ثقافة الصراخ والتذمر بثقافة "القول المعروف".
4.البعد الحضاري: الحضارات لا تبنى بالكاذبين الجبناء، بل بالصادقين الشجعان .هذه الآية تنتج الإ نسان الذي تحتاجه الحضارة: صادق الوعد، ثابت الجنان، طيب الكلام، سريع الاستجابة للحق.

رسالة ختامية للآية (21):

يا أيها المؤمن، لقد علمت الآن أن الطريق إلى الله واضح: طاعة بلا تردد، وقول بلا فظاظة، وصدق بـ لا كذب. فلا تكن ممن إذا سمع: "حَيَّ عَلَى الصَّلَاة، حَيَّ عَلَى الفَلَاح"، تباطأ وثقلت خطاه. ولا تكن ممن إذا دعي إلى التضحية بنفسه أو ماله، نظر نظرة المذعور. بل كن ممن يقول: "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ"، ومن إذا عزم الأمر صدق الله، فوجد الخير في دنياه وأخراه. اللهم ارزقنا صدق اللسان والجنان، و الثبات عند الامتحان.

المبحث الثالث
تفسير الآية (22) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن بينت الآية (21) أن الأصل في المؤمنين الطاعة والقول المعروف والصدق، تأتي هذه الآية لتكشف عن الوجه الآخر للمنافقين. كأنها تقول: ولكن هؤلاء الذين في قلوبهم مرض، بعيدون كل البعد عن هذا الأصل. إنهم إن تولوا عن الإيمان، أو تولوا أمور الناس، فلن ينتج عنهم إلا الإفساد في الأ رض وقطع الأرحام. إنها آية تحذر من خطر هؤلاء على المجتمع، وتفضح طبيعتهم الشريرة التي تكمن خلف وجوههم الكاذبة. هذه الآية تربط بين النفاق والفساد الاجتماعي، لتجعل المسلمين على حذر من المنافقين وأعمالهم في كل زمان.

تفسير الآية (22)

قال تعالى:
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد أن بين الحق تبارك وتعالى أن الصدق مع الله هو الخير لهم، التفت إلى خطاب المنافقين بأسلوب تقريعي تهكمي، فيقول: فهل يُتوقع منكم -أيها المنافقون- إن أعرضتم عن الإيمان وعدتم إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، إلا أن تفسدوا في الأرض بالقتل والظلم والفواحش، وتقطعوا أرحامكم التي أمركم الله بوصلها؟! وقيل: إن توليتم مناصب الحكم والولاية، أفسدتم في الأرض بالظلم والبغي، وقطعتم أرحامكم بالاستئثار بالمناصب ومنع الحقوق. الآية تفضح حقيقة نفوسهم المريضة التي لا تنتج إلا الفساد، سواء كانوا في موقع المعارضة أو في موقع الحكم.

مقاصد وأهداف الآية:

1.فضح الطبيعة الخبيثة للمنافقين: فهم أدوات إفساد أينما حلوا.
2.التحذير من تولية المنافقين والفجار: لأن ولايتهم تعني انتشار الفساد.
3.تأكيد أهمية صلة الرحم: بجعل قطعها قرينًا للإفساد في الأرض.
4.ربط الإيمان بالصلاح الاجتماعي: فضعف الإيمان يؤدي إلى الفساد وقطع الأرحام.
5.تعليم المسلمين أن العبرة بما تنتجه الأيدي لا بدعاوى الألسنة.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ" – أسلوب التهكم والتقريع

1.دلالة الفاء في "فَهَلْ"
فاء تفريعية، ترتب ما بعدها على ما قبلها من بيان أن الصدق خير لهم. فكأنه يقول: وبما أن الصدق خير لكم، وأنتم لا تصدقون، فماذا أنتم صانعون؟

2.دلالة "هَلْ" و"عَسَيْتُمْ"

· "هَلْ": هنا للاستفهام التقريري الذي يحمل معنى التوقع القريب، أو للتوبيخ .إنها ليست استفهامًا حقيقيًا، بل هي بمعنى "إنه لو توليتم لفعلتم كذا".
· "عَسَى": فعل يفيد الرجاء والترقب، لكنه هنا للوعيد والجزم .والمعنى: "يُتوقع منكم، ويُخشى عليكم، بل هو كائن منكم لا محالة".

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الأب المربي: أب يعرف أن ابنه كاذب، فيقول له: "فهل عسيت إن أعطيتك مالا ً أن تصرفه في الحرام؟" .إنه استفهام توبيخي يفضح نية الابن.
· مثال المدير مع الموظف: مدير يقول لموظف مهمل: "فهل عسيت إن سافرت أن تهمل العمل أكثر؟" .
المعنى: هذا هو المتوقع منك، وأنت أهل له.

المحور الثاني: "إن تَوَلَّيْتُمْ" – المعنيان المحتملان

"إن تَوَلَّيْتُمْ" تحتمل معنيين، وكلاهما صحيح وجارٍ في حياة المنافقين:

1.المعنى الأول: إن أعرضتم عن الإيمان والقرآن.

· من "التولي" بمعنى الإدبار والإعراض .أي: إن رجعتم إلى ما كنتم عليه من الجاهلية والكفر.
· وهذا ينطبق على المنافقين الذين كانوا في قلوبهم مرض، وكانوا على استعداد للارتداد عن الإسلام.

2.المعنى الثاني: إن توليتم مناصب الحكم والولاية.

· من "الولاية" بمعنى الإمارة والسلطان .أي: إن صرتم ولاةً وحكامًا على الناس.
· وهذا ينطبق عليهم إن تمكنوا من الحكم، فإنهم سيُفسدون ويقطعون الأرحام.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: كلا المعنيين يدل على أن الإيمان هو صمام الأمان من الفساد .فالمؤمن الحق لا يفسد إن تولى، والكافر يفسد إن تولى وإن لم يتولَ.
· عمليًا: فتش فيمن توليهم المناصب، فإن كانوا من أهل الدين والصلاح، فأمن المجتمع، وإلا فاحذر الفساد.

المحور الثالث: "أن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ" – ذكر أعلى أنواع الفساد

.1دلالة "تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ"
الإفساد العام يشمل: نشر الكفر، سفك الدماء بغير حق، الظلم، نهب الأموال، نشر الفواحش، إثارة الفتن ، انهيار الأخلاق والقيم. إنه جريمة شاملة ضد الحياة كلها.

.2دلالة "وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ" – تخصيص بعد تعميم
لماذا خصّ قطع الأرحام بالذكر بعد الإفساد العام؟

· لأنه من أشنع أنواع الفساد وأقبحها، وأسرعها انتشارًا في المجتمع الجاهلي.
· لأن قطع الأرحام دليل قسوة القلب المطلق .من يقطع أقرب الناس إليه، فهو على البعيدين أشد فتكًا.
· لأن العرب في الجاهلية كانوا يتباهون بقطيعة الرحم، ويعدونها شجاعة وعزة وغلبة، فردعهم الله.
· لأن الرحم هي نسيج المجتمع الأساسي، فإذا انقطع، انهار المجتمع كله وصار غابة.
· وفيه إشارة إلى أن الفساد يبدأ من الدائرة الصغرى) الأسرة (ثم يمتد إلى الدائرة الكبرى) الأرض.(

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطغاة: كل طاغية في التاريخ) كنمرود، وفرعون، وهتلر (عندما تولى الحكم، بدأ بإفساد نظام المجتمع كله، ثم لم يسلم من بطشه حتى أقرب الناس إليه) إخوته، أعمامه .(فكان فسادًا في الأرض وتقطيعًا للأرحام.
· مثال قابيل وهابيل: جريمة التاريخ الأولى جمعت الإفساد في الأرض بالقتل، وتقطيع الرحم بقتل الأخ .فكانت نموذجًا صغيرًا لكل فساد كبير.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: احذر أن تكون قاطع رحم، فهذا دليل مرض في القلب .قطيعة الرحم تبدأ بذنب صغير، ثم تعظم حتى تصل إلى الفساد الكبير.
· عمليًا: صلة الرحم من أعظم القربات .لا تنتظر أن يصلك أقاربك، صلهم أنت .فإن فعلت، كنت من عمار الأرض لا من مفسديها.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "فَهَلْ عَسَيْتُمْ":
· محاسبة النفس: أنظر إلى ماضيك .هل كنت ممن إذا تولى أمرًا صغيرًا) كإدارة مجموعة، أو مسؤولية عمل (أفسد وتكبر وقطع العلاقات؟ هذا نذير خطر.
· التطبيق العملي: قبل أن تطلب منصبًا أو مسؤولية، صلّ صلاة استخارة، واسأل الله أن يعصمك من الفساد.
· في دائرة "تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ":
· محاسبة النفس: هل أنا عنصر إصلاح أم عنصر إفساد في بيتي، عملي، مجتمعي؟
· التطبيق العملي: أطلق على نفسك مشروع "مصلح في الأرض": أسبوعيًا، أصلح خطأ تراه في محيطك) نظافة مكان، تسوية خلاف، إعطاء نصيحة.(
· في دائرة "وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ":
· محاسبة النفس: أراجع قائمة أرحامي .متى آخر مرة سألت عن عمي، وخالي، وعمتي، وخالتي، وأبناءهم؟
· التطبيق العملي: خصص يومًا في الشهر تتصل فيه بكل أرحامك واحدًا واحدًا، ولو برسالة صوتية . اجعله يوم "صلة الرحم" في تقويمك.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

بعد هذا البيان، يريد منا المولى سبحانه وتعالى:

.1يريدنا أن نعرف أن الفساد وقطيعة الرحم هما طبيعة المنافقين: لنحذرهم ونحذر من سلوكهم.
.2يريدنا أن نحافظ على إيماننا قويًا: لأن الإيمان هو الحاجز الوحيد الذي يمنع الإنسان من الإفساد والظلم حين تمكنه الدنيا.
.3يريدنا أن نصلح مجتمعنا من القاعدة: بإصلاح علاقات الأرحام، فإذا صلحت الأسر صلح المجتمع كله.
.4يريدنا أن نحذر من إعطاء الأمانة لغير أهلها: فالذين في قلوبهم مرض إن تولوا أفسدوا.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي لكل درس)

.1درس: التولي والجاه يكشفان حقيقة النفوس.

· التطبيق العملي: إذا حصلت على ترقية أو جاه، راقب نفسك أول ثلاثة أشهر .هل تغيرت مع أهلك وأصدقائك؟ إن حصل، فتب فورًا قبل أن تقطع رحمك وتفسد.

.2درس: الإفساد في الأرض مصدره القلوب المريضة.

· التطبيق العملي: إذا رأيت مفسدًا، لا تكتفِ بلعن الظلام، بل اعمل على إصلاح القلوب بالدعوة و القدوة .كن أنت النور الذي يبدد فساده.

.3درس: صلة الرحم جهاد ضد الفساد.

· التطبيق العملي: إذا حصلت قطيعة بين اثنين من أقاربك، تدخل للإصلاح بينهما .لا تكن محايدًا، بل كن رسول خير، حتى توصف بأنك من المصلحين.

.4درس: التحذير من خصال المنافقين.

· التطبيق العملي: اقرأ صفات المنافقين في سورة التوبة، وطبق نفسك عليها شهريًا .اكتشف إن كان فيك شيء منها، فجاهد نفسك على التخلص منه.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

تعلمنا هذه الآية أن الإيمان ليس مجرد شعار، بل هو ضمانة اجتماعية. في حياتنا العملية:

· في الأسرة: الرجل الذي يقطع رحمه بسبب خلاف على ميراث أو غيره، يمارس فسادًا من جنس فساد المنافقين .الآية تعلمنا أن الخلاف لا يبرر القطيعة أبدًا.
· في السياسة: المسؤول الذي يصل إلى كرسي الحكم فينسى أقاربه وأبناء بلده، ويظلمهم، هو مصداق لهذه الآية.
· في الجوار: الجار الذي يؤذي جاره، هو مفسد في الأرض .الآية توسع دائرة "الأرحام" لتشمل كل ص لات القربى الإنسانية.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) خطورة المنصب(: يبني إنسانًا يفر من المناصب إن لم يكن كفؤًا لها .حضارة تقوم على هذا المفهوم تقل فيها الخيانات.
.2مفهوم) الرحم كوحدة حضارية(: يبني مجتمعًا يعتبر الأسرة الممتدة نواة للتكافل الاجتماعي، فتقوى الأمة.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف من الفساد الذاتي(: يبني إنسانًا يراقب نفسه حين التمكين، فيسلم من الكبر.
.2مفهوم) العار من القطيعة(: يبني نفسًا تستقبح قطيعة الرحم استقباحها للقتل، لأن الآية جمعتهما في سياق واحد.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) التلازم بين الإيمان والصلاح(: يبني عقلا ً يدرك أن أي محاولة للصلاح دون إيمان ستنهار.
.2مفهوم) الفساد يبدأ صغيرًا(: يبني فكرًا يعالج المشكلات الاجتماعية من جذورها الأسرية.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يعتبر صلة الرحم قضية أمن قومي، ويحذر من تولية من يقطع رحمه، هو مجتمع محصن ضد الانهيار الأخلاقي.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الاجتماعي العميق: الآية تكشف أن النفاق مرض اجتماعي مدمر .المنافق لا يكتفي بمرض قلبه، بل يسعى لنشر الفساد حوله .إنها دعوة لتحصين المجتمع بثقافة صلة الرحم كدرع ضد النفاق.
.2البعد السياسي والإداري: الآية تضع معيارًا لاختيار الولاة والأمراء والقادة: انظر إلى علاقتهم بأرحامهم .فإن كان بارًا واصلا ً، فارجه .وإن كان قاطعًا، فاحذره ."إن توليتم" جعلت التولية محكًا.
.3البعد التربوي: تربي الآية الأطفال منذ الصغر على أن صلة الرحم ليست مجاملة، بل هي عبادة ومؤشر على نقاء القلب .الطفل الذي يتعلم أن يصل أبناء عمومته، يتربى على نبذ الفساد.
.4البعد الحضاري العام: حضارة الغرب المعاصر عانت من تفكك الأسرة وقطيعة الرحم، فأنتجت جيلا ً مفسدًا يعاني من الأنانية .الآية تقدم النموذج الحضاري البديل: مجتمع الأرحام المتواصلة.

رسالة ختامية للآية (22):

يا أيها العاقل، احذر أن تكون ممن يخاف منه الصالحون. هذه الآية مرآة، فانظر: إن وجدت في نفسك ميلا ً للقطيعة، أو فرحًا بالإفساد، فاستغث بالله أن يطهر قلبك من النفاق. كن واصلا ً لأ رحامك، حتى لو قطعوك. كن صالحًا في أرضك، حتى لو أفسد من حولك. ولا تطمع في ولاية تخشى معها على نفسك الفتنة. واجعل شعارك: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون مفسدًا في الأرض، أو قاطعًا لرحمي".

---المبحث الرابع

تفسير الآية (23) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن كشفت الآيات السابقة عن جبن المنافقين عند ذكر القتال (آية 20)، وعن كونهم لا يملكون إلا الإفساد وقطع الأرحام إن تولوا (آية 22)، تأتي هذه الآية لتعلن الحكم الإلهي النهائي، والجزاء العادل الذي يستحقونه. إنها الآية التي تخبرنا بمصير علاقتهم بالله: لقد لعنوا، أي طردوا من رحمته. وكانت النتيجة الطبيعية والعقابية لهذا الطرد أن فقدوا وسائل الهداية: فأصمهم الله عن سماع الحق، وأعمى أبصارهم عن رؤيته. إنها عقوبة من جنس عملهم؛ فكما أعرضوا عن الحق بسمعهم وأبصارهم طواعية، عاقبهم الله بسلب الانتفاع بهذه الحواس، فلا يسمعون هدى، ولا يبصرون رشدًا.

تفسير الآية (23)

قال تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

أولئك الموصوفون بتلك الصفات الذميمة، من الجبن والهلع عند التكليف، والميل للإفساد وقطع الأرحام عند التمكين، هم الذين طردهم الله من رحمته طردًا أبديًا. ونتيجة لهذه اللعنة، فقد سلبهم الانتفاع بوسائل الهداية: فجعلهم صُمًا عن سماع الحق سماعَ تدبر وقبول، وجعلهم عُمْيًا عن رؤية آياته رؤيةَ اعتبار وإيمان. فعيونهم مفتوحة على الدنيا، لكنها لا ترى الحقيقة، وآذانهم تستمع، لكنها لا تعي الخير.

مقاصد وأهداف الآية:

1. بيان أن اللعن الإلهي هو عاقبة النفاق.
2. إظهار عدل الله: فهم بدأوا بالإعراض، فحُرمهم الهداية.
3. توضيح خطورة الذنوب القلبية: كالجبن والنفاق، فهي تودي بالمرء إلى الحرمان من الهدى.
4. تخويف المؤمنين من مشابهة المنافقين: كي لا يصيبهم ما أصابهم.
5. تثبيت القاعدة: "من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه .ومن آثر شيئًا على الله، عاقبه بالحرمان منه".

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "أُولَٰئِكَ" – إشارة التحقير والبعد

1. دلالة اسم الإشارة "أولئك"
"أولئك" اسم إشارة للبعيد، يُشار به إلى المذكورين سابقًا .وفيه دلالة على:

· بعدهم عن الله ورحمته.
· سقوطهم في هاوية الخزي والهوان.
· أنهم ليسوا أهلا ً للقرب من حضرة القدس.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال القاضي: قاضي يشير إلى مجرم، فيقول: "أولئك الذين أفسدوا في الأرض" .في الإشارة بالبعيد تحقير لهم وإبعاد عن الرحمة المجتمعية.
· مثال الأب: أب غاضب على ابن عاق، فيقول: "أولئك الذين لا خير فيهم" .الإشارة تجعلهم في منزلة بعيدة عن القلب.

المحور الثاني: "الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ" – الطرد من رحمة الله

1. دلالة "لَعَنَهُمُ"
اللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله. هذا أشد عقوبة معنوية. من لعنه الله، فلا نصيب له في رحمته، ولا توفيق له في دنياه، ولا نجاة له في أخراه. إنها كلمة جامعة لكل شر.

2. دلالة نسب الفعل إلى "اللَّهُ" لفظ الجلالة
نسب اللعن إلى اسم الجلالة "الله" لتعظيم العقوبة وتهويلها. فمن لعنه العظيم، من يشفع له؟ من طرده أرحم الراحمين، من يقبله؟ إنه إيذان بالهلاك المطلق.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الملك والنفي: ملك عظيم، له كل السلطة، يصدر أمرًا بطرد خائن من مملكته كلها، ويحرمه من كل حقوقه .هذا المطرود هالك لا محالة .لعنة الله هي طرد من رحمته التي وسعت كل شيء.
· مثال فصل الطالب: طالب فصل من الجامعة فصلا ً نهائيًا بقرار من أعلى سلطة، وأغلق بابه دون رجعة .هكذا لعنة الله: إغلاق لأبواب الرحمة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: ارتعب من لعنة الله .واعلم أنها لا تنزل إلا على من يستحقها بجدارة، كمنافق أصر على نفاقه .وهذا يجعلك تستعيذ بالله دائمًا من النفاق وسوء العاقبة.
· عمليًا: ابحث عن أسباب رحمة الله) طاعته، صلة الرحم، الصدق (وأكثر منها، حتى تكون في معزل عن هذه اللعنة.

المحور الثالث: "فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ" – العقوبة المترتبة على اللعنة

.1دلالة الفاء في "فَأَصَمَّهُمْ"
الفاء للسببية والتفريع. أي: بسبب لعنه لهم، كانت النتيجة المباشرة: الصمم والعمى. إنها عقوبة على عقوبة.

.2دلالة "أَصَمَّهُمْ"

· أصل الصمم: انسداد الأذن عن السمع .والمراد به هنا: صممهم عن سماع الحق والقبول به.
· هم يسمعون بأذانهم كلمات القرآن والنصيحة، لكنها لا تخترق قلوبهم، فلا ينتفعون بها .{وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا}.

.3دلالة "أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ"

· "أعمى": جعلهم في حالة عمى.
· "أبصارهم": جمع "بصر"، وهو يشمل بصر العين الحسي، وبصر القلب المعنوي .هم لا يرون الحق، ولا يبصرون آيات الله في الآفاق والأنفس، ولا يدركون عواقب الأمور.
· عيونهم مفتوحة يرون بها متاع الدنيا، لكنها لا ترى نور الوحي.

.4سر جمع "أبصارهم" وإفراد السمع
في الآية: {فَأَصَمَّهُمْ} ولم يقل "فأصم آذانهم"، و{أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} ولم يقل "فأعماهم".

· في الصمم: نسب الصمم إليهم مباشرة، لأنهم هم الذين صاروا صمًا، فصلح أن يقال: أصمهم.
· في العمى: نسب العمى إلى "أبصارهم" لأن العمى يكون في العين تحديدًا، وللدلالة على أن أدوات ا لإبصار عندهم موجودة) الأعين (لكنها لا تعمل .فهي فاقدة لوظيفتها.

.5الترتيب بين الصمم والعمى
قدم الصمم على العمى، لأن وسيلة التلقي الأولى للوحي هي السمع. فالقرآن يُسمع أولا ً، ثم يُتفكر فيه بالبصر والبصيرة. فلما سمعوا ولم ينتفعوا، جعلهم لا يبصرون العبر.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال جهاز الاستقبال: جهاز راديو "أصم"، أي لا يستقبل الموجات، هو مجرد قطعة حديد .فإذا كان ا لإنسان كذلك مع الوحي، فهو أصم .وإذا كان لا يرى الإشارات الضوئية) الآيات الكونية(، فهو أعمى.
· مثال السائق: سائق يقود سيارته، وفجأة يفقد السمع) لا يسمع المنبهات(، ثم يفقد البصر) لا يرى الإ شارات .(مصيره حادث محقق .هؤلاء فقدوا سمع الحق وبصر الهدى، فمصيرهم جهنم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أخطر عقوبة هي أن تفقد القدرة على التأثر بآيات الله .إن وجدت قلبك لا يخشع عند سماع القرآن، وعينك لا تدمع، وعقلك لا يتدبر، فابك على نفسك واسأل الله العافية.
· عمليًا: إذا سمعت آية فاعمل بها فورًا، وإلا تعرضت لخطر هذه العقوبة .الطاعة تفتح السمع والبصيرة ، والمعصية تصمهما وتعميهما.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "لَعَنَهُمُ اللهُ":
· محاسبة النفس: هل فيّ صفة من صفات المنافقين تجعلني أستحق هذا اللعن؟ راجع الآيات السابقة) الجبن، التكاسل عن الصدقة، الأمر بالمنكر.(...
· التطبيق العملي: كل صباح، قل في دعائك: "اللّهم إني أعوذ بك من النفاق، ومن الشقاق، ومن سوء الأخلاق".
· في دائرة "فَأَصَمَّهُمْ":
· محاسبة النفس: عندما أستمع لموعظة أو آية، هل أكون حاضر القلب كأني أسمعها لأول مرة، أم أنني كالأصم؟
· التطبيق العملي: عند تلاوة القرآن، ضع يدك على أذنيك مجازًا، وقل: "اللّهم افتح أذني لسماع الحق".
· في دائرة "أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ":
· محاسبة النفس: هل أبصرت نعم الله حولي اليوم؟ أم أن عيني عميت عنها؟
· التطبيق العملي: في نهاية كل يوم، اكتب ثلاث نعم رأيتها وشعرت بها، واشكر الله عليها .هذا تمرين لفتح البصيرة.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

بعد هذا البيان، يريد المولى عز وجل منا:

.1يريدنا أن نستعيذ به من اللعن: فمن لعنه الله فلا راحم له.
.2يريدنا أن نفتح قلوبنا للقرآن: فلا نكون من الصم الذين لا يسمعون .يريدنا أن نتدبر ونتفاعل مع كلامه.
.3يريدنا أن نستخدم أبصارنا في طاعته: برؤية آياته في الكون، فلا نكون عميًا عنها.
.4يريدنا أن نشكر نعمة السمع والبصر: بأن نستعملها فيما يرضيه، لا في معصيته، فمن كفر النعمة سُلبت منه.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي لكل درس)

.1درس: لعنة الله عاقبة الإصرار على النفاق والذنوب.

· التطبيق العملي: ضع قائمة بذنوب تكررها، واكتب بجانبها: "هذا قد يؤدي بي إلى اللعن إن أصررت" . اجعلها أمام عينك كل يوم.

.2درس: الصمم عن الحق عقوبة.

· التطبيق العملي: إذا وجدت نفسك تمل من سماع القرآن أو المواعظ، فاعتبر هذا إنذارًا .سارع بالاستغفار، واسأل الله أن يلين قلبك.

.3درس: نعمة البصر تستحق الشكر.

· التطبيق العملي: لا تستخدم عينيك في حرام أبدًا .كلما فكرت في النظر إلى حرام، تذكر أن هناك من عوقب بالعمى الحسي أو المعنوي بسبب ذنوبه.

.4درس: سلب الحواس دليل خسران.

· التطبيق العملي: احمد الله يوميًا على حواسك .قل في سجودك: "اللّهم لك الحمد على نعمة السمع و البصر، اللّهم استعملني فيهما بطاعتك".

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

تعلمنا هذه الآية أن العبرة في الحواس ليست بوجودها، بل بالانتفاع بها. حياتنا العملية مليئة بمن يسمعون ويبصرون، لكنهم لا ينتفعون. وفي ذلك:

· درس للقادة: لا تخدعك وجوه الناس، فكثير منهم يسمعون أوامرك لكنهم صم عن تنفيذها، ويبصرون مصلحة العمل لكنهم عمي عنها.
· درس للآباء: ربوا أبناءكم على "السمع الواعي" و"البصر الناقد" .لا تريدوا منهم مجرد حمل جوال ومشاهدة كل شيء بلا وعي.
· درس لكل مسلم: كن يقظًا، استعمل سمعك في الخير، وبصرك في الاعتبار، وإلا كنت عرضة لسلب هذه النعم.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) السمع والبصر كأداتي تكليف ومسؤولية(: يبني إنسانًا يعرف أن هذه الحواس أمانة، فيحاسب نفسه ماذا سمع وماذا رأى.
.2مفهوم) اليقظة الدائمة(: يبني مجتمعًا لا يغفل، بل يستخدم وسائل الإعلام والتواصل الحديثة فيما ينفع، لا فيما يصم القلوب ويعمي الأبصار.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف من الحرمان(: يبني إنسانًا يخاف من أن يسلب القدرة على التأثر الروحي.
.2مفهوم) الاعتزاز بنعمة الهداية(: يبني نفسًا تشعر بفضل الله عليها حين ترى الضالين، فتشكره وتزداد قربًا.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) السمع والبصر الملكوتي(: يبني عقلا ً يدرك أن وراء العالم المادي عالمًا غيبيًا، يحتاج إلى سمع روحي وبصر بصيري.
.2مفهوم) العقوبة من جنس العمل(: يبني فكرًا يثق في عدالة الله الكونية.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
إذا تربى المجتمع على أن الحواس أمانة للتلقي من الله، لا للهو، أصبح مجتمع علم وإيمان. مجتمع يسمع فيعي، ويبصر فيعتبر. وهذه أساس الحضارة التي تريد أن تبني الدنيا بالدين.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني العميق: الآية تفتح أفق الإيمان بأسماء الله وصفاته، فهو "اللطيف" الذي يعطي ويمنع ، و"الحكيم" الذي يعاقب من جنس العمل .وتجعل المؤمن دائم الخوف من أن ينقلب قلبه.
.2البعد التربوي الحسي: الآية تربط بين السلوك الأخلاقي والحواس .إنها تربية راقية: لا تنظر إلى حرام لئلا يعمى بصر بصيرتك .لا تستمع إلى لهو لئلا تصم أذن قلبك.
.3البعد الحضاري الإعلامي: في عصرنا الذي تنتشر فيه "السموم" التي تصم وتعمي عن الحق، تأتي ا لآية لتكون منهجًا في الانتقاء الإعلامي .فلا ندخل كل ما يسمع ويرى إلى بيوتنا، حفاظًا على سمعنا وبصرنا القلبي.
.4البعد المصيري الأخروي: هذه الآية مرتبطة بالآخرة .فالذين صموا وعموا عن الحق في الدنيا، سيُحشرون يوم القيامة ﴿صُمًّا وَبُكْمًا وَعُمْيًا﴾ .إنها جولة أولى في الدنيا، تتبعها جولة أبدية في الآخرة.

رسالة ختامية للآية (23) وللآيات الثلاث مجتمعة:

يا من منحك الله سمعًا تبصر به الحق، وبصرًا تدرك به الهدى، احمد الله على هذه النعمة. وتذكر أن من لعنه الله فلا هادي له. فلا تكن من الذين استحبوا العمى على الهدى، فطُردوا من الرحمة وصاروا صمًا عميًا. اجعل سمعك وقفًا على ما يرضي الله، واجعل بصرك حارسًا على قلبك، فكل ما يدخل السمع والبصر يستقر في القلب. اللهم إنا نعوذ بك أن نكون من الذين لعنتهم، فأصممتهم وأعميت أبصارهم، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلوبنا على دينك

المبحث الخامس

تفسير الايه٢٤

التمهيد: موقع الآيات من سياق السورة

بعد أن كشفت الآيات السابقة عن طبيعة المنافقين، وجبنهم، وميلهم للإفساد وقطع الأرحام، وأن عاقبتهم اللعن والطرد من رحمة الله، وما ترتب عليه من الصمم عن الحق والعمى عن الهدى؛ تأتي هذه الآيات الثلاث لتكشف عن الأسباب الجذرية لهذه العاقبة، ولتتعمق في تحليل الظاهرة.

الآية (24) تتساءل باستنكار عن السبب الأعمق: ألا يتدبرون القرآن؟ أم أن القفل قد أغلق قلوبهم بإحكام؟ هذه الآية هي المفتاح الذي يفسر كل ما سبق من ضلالهم. الآية (25) تنتقل إلى نموذج آخر مرتبط، وهم المرتدون الذين عرفوا الحق ثم تركوه، وتكشف دور الشيطان في تسويل ذلك لهم وتمديدهم في الأماني. الآية (26) تفضح السر الذي يربط بين الفريقين، وتكشف المؤامرة الخفية التي دبروها مع أعداء الله، وتؤكد أن الله مطلع على كل ما يسرونه. إنها ثلاثية تحليلية: العلة (ترك التدبر) ، والمظهر (الردة بعد الهدى)، والسر (الموالاة الخفية للأعداء).

تفسير الآية (24) من سورة محمد

التمهيد للآية (24):

بعد أن ذكر الله تعالى حال المنافقين وأنه أصمهم وأعمى أبصارهم، يأتي هذا الاستفهام الاستنكاري ليكشف السبب. كأنه يقول: لماذا وصلوا إلى هذه الحالة المزرية؟ أذلك لأنهم لم يتدبروا القرآن، فلم يفتحوا له قلوبهم؟ أم أن القلوب قد أغلقت بأقفالها فأصبحت لا تعي شيئًا؟ هي آية توقظ القلوب الحية، وتحفزها على تدبر كلام الله، وتحذر من نهاية الغفلة والإعراض.

تفسير الآية (24)

قال تعالى:
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

المعنى العام للآية:

يأتي هذا الاستفهام من الله تعالى توبيخًا للمنافقين وتقريعًا لهم، فيقول: أينصرفون عن الحق ولا يتفكرون في آيات القرآن، فيفهموا ما فيه من المواعظ والأحكام والبراهين؟! إنهم لا يفعلون ذلك، لأن قلوبهم ليست خالية وإنما هي مغلقة بأقفال ثقيلة، فلا يصل إليها شيء من نور الوحي. إنه تحذير من ترك التدبر الذي يؤدي حتمًا إلى قسوة القلب وانغلاقه.

مقاصد وأهداف الآية:

1. الحث العظيم على تدبر القرآن: وجعله أساس الفهم والهداية.
2. التحذير من الانصراف عن فهم كلام الله: لأنه يؤدي إلى موت القلوب.
3. بيان أن سبب ضلال المنافقين هو عدم التدبر.
4. تشبيه القلب المعرض بالقلب المقفل: للتنفير من هذه الحالة.
5. إثارة التساؤل في نفس المؤمن: ليفحص قلبه: هل هو متدبر أم مقفل؟

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" – استنكار غياب الفعل الأساس

.1دلالة الهمزة والفاء في "أفَلَا"

· الهمزة: للاستفهام الاستنكاري التوبيخي.
· الفاء: للتفريع والعطف على ما سبق من أحوالهم .أي: أبعد كل هذه الآيات والبراهين، لا يتدبرون القرآن؟!

.2دلالة "يَتَدَبَّرُونَ"

· من التدبر: وهو التفكر العميق، والنظر في عواقب الأمور وأسرارها .إنه ليس مجرد قراءة سطحية، بل هو تفاعل عقلي وقلبي مع النص، لفهم مراد الله، ثم التطبيق العملي .إنه استدبار المعاني من وراء الألفاظ.
· استخدام صيغة المضارع "يتدبرون" يدل على أن التدبر يجب أن يكون عادة مستمرة متجددة.

.3دلالة "القُرْآنَ"
تخصيص القرآن بالذكر؛ لأنه هو المعجزة الخالدة، وهو كتاب الهداية الذي فيه الدواء لكل داء، والذي يفضح المنافقين ويكشف أسرارهم.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطبيب والمريض: مريض لديه روشتة فيها دواؤه، لكنه لا يقرؤها ولا يتدبر تعليماتها، ثم يشكو من استمرار المرض .هكذا حال المنافقين مع القرآن، وهو شفاؤهم.
· مثال المهندس والخريطة: مهندس لديه خريطة بناء عمارة ضخمة، فلا ينظر فيها ولا يتدبرها، ثم يبني بشكل عشوائي فينهار البناء .القرآن خريطة الحياة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: اسأل نفسك: كم مرة أمسكت المصحف بنية التدبر والفهم، لا مجرد ختم الحروف؟ إن كان قليلا ً، فأنت في خطر.
· عمليًا: لا تمرر آية دون أن تقف عند معناها .خصص وقتًا لقراءة آية واحدة مع تفسيرها، وتدبرها بعقلك وقلبك.

المحور الثاني: "أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" – التشخيص الدقيق للمشكلة

.1دلالة "أَمْ"
"أم" هنا المنقطعة، بمعنى "بل" .والاستفهام هنا للتقرير .والمعنى: بل أعلى قلوبهم أقفالها، فهم لا يتدبرون .كأنه يقول: لا تسأل عن سبب عدم تدبرهم، فالسبب واضح: القلوب مقفلة.

.2دلالة "قُلُوبٍ"
القلب هو محل الفهم والإيمان. ولما فشلت قلوبهم، فشلت جوارحهم كلها.

.3دلالة "أَقْفَالُهَا" – التشبيه البليغ

· الأقفال: جمع قفل، وهو ما يغلق به الباب بإحكام.
· شبهت القلوب التي لا تفقه ولا تتدبر بصناديق أو أبواب موصدة، وضعت عليها أقفال ثقيلة خاصة بها، لا تُفتح إلا بمفاتيحها .فقلب كل واحد منهم له قفل خاص به، من صنع هواه وكفره.
· وجود الأقفال يعني أن هناك من أغلقها، لكن الآية لم تذكر الفاعل، مما يشير إلى أنهم هم الذين أغلقوا قلوبهم بأفعالهم، فأقفلها الله عليهم عقوبة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الصندوق المغلق: تخيل صندوقًا محكم الإغلاق بقفل ضخم، وفيه كل ما تحتاجه من كنوز .

أنت تحمل مفتاحه لكنك لا تستخدمه .هذا هو حال القلب الذي لا يتدبر القرآن.
· مثال الهاتف المقفل: هاتف ذكي مغلق برقم سري، لا يمكن لأحد الوصول إلى بياناته وتطبيقاته .
هكذا قلب المنافق، مقفل لا يصل إليه نور الوحي.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أبشع شعور هو أن يكون قلبك مقفلا ً .راقب قلبك، هل تشعر بقسوة؟ هل يمر عليك اليوم دون أن تخشع في صلاة أو تدمع من آية؟ هذا إنذار بوجود قفل.
· عمليًا: مفاتيح الأقفال هي: الاستغفار، والتدبر، ومجالسة الصالحين، والبكاء من خشية الله .استخدم هذه المفاتيح يوميًا لتبقي قلبك مفتوحًا.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "يَتَدَبَّرُونَ القرْآنَ":
· محاسبة النفس: ما هي آخر مرة تدبرت فيها آية من القرآن وطبقتها في حياتك؟
· التطبيق العملي: ابدأ من اليوم "برنامج تدبر" .اختر آية واحدة كل يوم، اقرأها، اقرأ تفسيرها، واكتب أثرها في قلبك، ثم حاول أن تعمل بها.
· في دائرة "أَقْفَالُهَا":
· محاسبة النفس: هل أحس أن قلبي قاسٍ لا يتأثر؟ ما الذنوب التي جعلته هكذا؟
· التطبيق العملي: أكثر من الاستغفار .قال ابن القيم: "إذا رأيت قسوة في قلبك، فأكثر من قول: لا إله إلا الله، واستغفر لذنبك".

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نجعل تدبر القرآن عبادة يومية: لا نقرأ لنختم، بل نقرأ لنفهم ونعمل.
.2يريدنا أن نفحص قلوبنا دائمًا: هل هي مفتوحة لنور الوحي، أم مقفلة بأقفال الغفلة والذنوب؟
.3يريدنا أن نحذر من الإعراض عن كتابه: فالإعراض يؤدي إلى إقفال القلب، وإقفال القلب يؤدي إلى الهلاك.
.4يريدنا أن نكون أمة القرآن: الذين إذا سمعوا آيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا، بل تدبروها وآمنوا بها وعملوا بها.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: التدبر هو مفتاح الفهم.
· التطبيق العملي: عند قراءة سورة الفاتحة، تدبر كل آية: "إياك نعبد" جدد فيها تبرؤك من كل معبود سوى الله ."اهدنا الصراط" اسأل الهداية بقلب صادق.
.2درس: الذنوب أقفال القلوب.
· التطبيق العملي: كلما أذنبت ذنبًا، بادر بعده بركعتين توبة، وقل: "اللهم إني أستغفرك من ذنب أظلم قلب وقفله".
.3درس: القرآن حياة القلوب.
· التطبيق العملي: لا تنم قبل أن تقرأ ولو عشر آيات بتدبر، واجعلها غذاء روحك.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· في الفكر: تعلمنا أن العقل وحده لا يكفي، بل لا بد من تدبر الوحي .الأفكار البشرية بدون نور الوحي تنتج الظلام.
· في العمل: تعلمنا أن أي مشروع نقوم به يحتاج إلى "تدبر"، أي تخطيط وفهم للعواقب .فكيف بكتاب الله الذي فيه حياتنا؟

· في الدعوة: تعلمنا أن نركز على تعليم الناس "كيف يتدبرون القرآن"، لا مجرد "كيف يقرؤونه".

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) التدبر كمنهج حياة(: يبني إنسانًا لا يمر على الأمور مرورًا سطحيًا، بل يتفكر في كل شيء . هذا يبني علماء ومفكرين.
.2مفهوم) القلب المفتوح(: يبني مجتمعًا متقبلا ً للحق، مرنًا، قابلًا للتطوير والإصلاح.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخشية كصحة قلبية(: يبني نفسًا سوية، تعرف مرض القسوة فتسارع لعلاجه.
.2مفهوم) القرآن كعلاج(: يبني إنسانًا يلجأ للوحي لحل مشكلاته النفسية، لا للعقاقير فقط.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) أولوية الفهم(: يبني فكرًا يقدس الفهم العميق، لا الحفظ السطحي.
.2مفهوم) القفل كاستعارة فكرية(: يبني عقلا ً يدرك أن هناك مؤامرات تحاول إغلاق العقول، فيحصنها بالتدبر.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
الحضارة التي تقوم على تدبر القرآن، تبني قلوبًا مفتوحة، وعقولا ً نيرة، ونفوسًا مطمئنة، فتبدع في الدنيا وترجو الآخرة.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني التعبدي: يجعل من التدبر عبادة قلبية، وليس مجرد عملية عقلية .إنه يرفع قيمة القراءة الواعية.
.2البعد التربوي التعليمي: يضع منهجًا للتربية: لا تلقن فقط، بل علم كيف تتدبر .أمة "أفلا يتدبرون" تحتاج إلى مدارس وجامعات تعلم التفكر والنقد والتحليل.
.3البعد النفسي التحليلي: الآية تقدم استعارة رائعة للقلب المقفل، وهي تصف حالة نفسية حقيقية يعيشها كثير من الناس في عصر المادة، حيث يجدون قلوبهم لا تشعر بشيء.
.4البعد الحضاري: أمة القرآن التي لا تتدبره تصبح أمة مغلقة، لا تنتج، ولا تبدع .وتدبر القرآن هو سر انطلاقتها الحضارية الأولى عندما كانوا "يتدبرون" فينتجون المعرفة والعلم.

رسالة ختامية للآية (24):

يا من تغلقه هموم الدنيا، افتح قلبك بكلمة الله. إنها الآية التي تسألك اليوم: أين أنت من القرآن؟ هل جعلته مهجورًا؟ هل مررت بآية الليلة فلم تحرك فيك ساكنًا؟ احذر أن يكون على قلبك قفل، فالميت لا يشعر بالجرح. واعلم أن التدبر هو مفتاحك لتعيش مع القرآن، فتنتقل من حلاوة التلاوة إلى حلاوة الفهم، ومن حلاوة الفهم إلى حلاوة العمل. اللهم افتح قلوبنا لتدبر كتابك.
سادسا
.نواصل الرحلة في رحاب سورة محمد، ونتأمل آيات كريمات تتعمق في كشف أمراض القلوب وأسباب الضلال والردةمن خلال الاتى
المبحث الأول .

تفسير الآية (25) من سورة محمد

التمهيد للآية (25):

بعد بيان حال المنافقين الذين على قلوبهم أقفالها، فلم يتدبروا القرآن، تنتقل الآية إلى الحديث عن فئة أخرى عرفت الحق ثم نكصت على عقبيها. هم المرتدون الذين تبين لهم الهدى، ولكنهم رجعوا إلى الضلال. وهنا تذكر الآية السبب الظاهر لردتهم: "الشيطان سوّل لهم وأملى لهم". إنها تكشف أن من أعرض عن القرآن وتدبره، يصبح صيدًا سهلا ً للشيطان يزين له الباطل ويمده في الأماني الكاذبة، حتى يوقعه في الردة عن الدين.

تفسير الآية (25)

قال تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

تخبر الآية عن حال المرتدين الذين عرفوا الإسلام، وتبين لهم أنه الحق، ثم كفروا به وانقلبوا على أعقابهم راجعين إلى الكفر. وتبين الآية أن الشيطان هو الذي زين لهم هذا الفعل القبيح، فجعله يبدو حسنًا في أعينهم، ومدّ لهم في الآمال والأماني، ووعدهم بطول العمر وسعة الدنيا، فخدعهم حتى وقعوا في الردة.

مقاصد وأهداف الآية:

1.بيان خطورة الردة: لأنها تكون بعد وضوح الحق، فصاحبها لا عذر له.
2.التحذير من كيد الشيطان: وأنه يزين القبيح ويمد في الأماني للإيقاع في المهالك.
3.بيان أن عدم تدبر القرآن يجعل الإنسان عرضة للتسويل الشيطاني.
4.تذكير المؤمنين بنعمة الثبات: وحثهم على التمسك بالوحي.
5.كشف مصدر الإضلال الحقيقي: وهو الشيطان، مع تحميل الإنسان مسؤوليته لأنه اتبعه.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى" – وصف الفعل الشنيع

1.دلالة "إِنَّ"
للتوكيد، فخبر الآية مؤكد لا شك فيه، مما يلفت الانتباه إلى خطورة ما سيأتي من وصف.

2.دلالة "ارْتَدُّوا"
الارتداد: هو الرجوع عن الشيء. وهو هنا الرجوع عن الإيمان إلى الكفر. والفعل بصيغة الماضي يدل على وقوع هذا الفعل منهم بالفعل.

3.دلالة "عَلَىٰ أَدْبَارِهِم" – التصوير البليغ
"الأدبار": جمع دبر، وهو الظهر .التعبير بـ "ارتدوا على أدبارهم" يرسم صورة ذهنية لرجل كان يمشي في طريق مستقيم نحو هدف سام، ثم فجأة انقلب على عقبيه راجعًا إلى الخلف، تاركًا الطريق أمامه . إنها صورة النكوص والتراجع المهين .وهذا أبلغ من "رجعوا" أو "عادوا".

4.دلالة "مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى" – تفخيم الجريمة

· "تَبَيَّنَ": أي وضح وظهر ظهورًا تامًا لا شك فيه.
· "الْهُدَى": هو الإسلام، والقرآن، ومعرفة الحق.
· المعنى: أنهم لم يكونوا جاهلين، بل بلغهم الحق وظهرت لهم دلائله وبراهينه، وعرفوه معرفة تامة . فارتدادهم بعد هذا البيان جريمة مضاعفة، وذنب لا يغتفر أبدًا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطالب الناجح: طالب وصل إلى باب الجامعة، وسجل، ودفع الرسوم، ثم قبل بدء الدراسة بأيام ترك كل شيء ورجع إلى بيته "على عقبيه" .هذا ارتداد بعد بيان الهدى.
· مثال المريض المعالج: مريض ذهب لطبيب، شخص له مرضه، ووصف له الدواء، وبدأ يتحسن،

وفجأة يرمي الدواء ويعود للعادات السيئة .هذا رجوع على الدبر بعد بيان الهدى.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: مجرد التفكير في أن إنسانًا يترك الحق بعد أن عرفه، أمر مفزع .هذا يستدعي منك أن تسأل الله الثبات دائمًا.
· عمليًا: قيم حالك؛ هل تقدمت في إيمانك ثم بدأت تتراجع؟ الصلاة التي كنت تصليها في المسجد، هل صرت تصليها في البيت؟ القرآن الذي كنت تتلوه، هل هجرته؟ هذا بداية الارتداد على الدبر.

المحور الثاني: "الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ" – كشف الفاعل الخفي

.1دلالة "الشَّيْطَانُ"
ذكر اسم الشيطان بلفظه الصريح، للتحذير منه. هو عدو الإنسان، وهو الذي يقف لهم بالمرصاد.

.2دلالة "سَوَّلَ لَهُمْ"

· من التسويل: وهو التزيين والتحسين .أي: زين لهم الشيطان فعلهم القبيح، فجعله يبدو جميلا ً في أعينهم، حتى ظنوا أنهم على صواب.
· التسويل أخطر من مجرد الوسوسة، لأنه عملية غسيل دماغ: يجعل القبيح حسنًا، والباطل حقًا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المكياج على القبح: امرأة قبيحة وضعت مساحيق تجميل كثيفة، فبدت جميلة .الشيطان "يسوّل" أي يضع مساحيق على المعاصي لتظهر بمظهر الحسنات.
· مثال السم في العسل: شخص يقدم لك طعامًا مرًا ممزوجًا بالعسل، فتظنه كله عسلا ً، فتأكله فتتسمم .الشيطان يسوّل، يمزج الباطل بشيء من الحق.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: انتبه! ليس كل ما تشتهيه نفسك وتراه جميلا ً هو حق .الشيطان يزين .اسأل دائمًا: هل هذا يرضي الله؟
· عمليًا: قبل أي قرار مصيري، صلّ صلاة استخارة، واستشر أهل العلم، ليزول عنك "تسويل" الشيطان.

المحور الثالث: "وَأَمْلَىٰ لَهُمْ" – خطة الإغراق في الأماني

.1دلالة "أَمْلَى"
الإملاء: هو الإمهال والمد في العمر والأمل. الشيطان "أملى لهم" أي مدّ لهم في الأماني الكاذبة، ووعدهم بطول العمر، وبأن الدنيا ستدوم لهم، وبأن كل شيء سيكون على ما يرام، فلا داعي للعجلة في التوبة.

.2العلاقة بين التسويل والإملاء
التسويل: تزيين المعصية الحاضرة.
الإملاء: تأمين المستقبل الكاذب.
الشيطان يجمع بينهما: يزين لك الذنب الآن، ويعدك بأن لك متسعًا من الوقت لتتوب لاحقًا. هذه حبائل نفسية خطيرة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال التاجر المفلس: تاجر يعلم أنه مفلس، لكن الشيطان يسول له الاقتراض أكثر، ويملي له: "ستربح لاحقًا وستسدده" .يستمر في الوهم حتى ينهار.
· مثال المدمن: الشاب الذي يدخن، الشيطان يسول له اللذة الحاضرة، ويملي له: "ما زلت شابًا، سأتركه غدًا، قبل الأربعين" .تمر الأيام وهو غارق في الأماني.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: لا تقل: غدًا أتوب .هذا من إملاء الشيطان .الأمل الكاذب هو أكبر سارق للعمر.
· عمليًا: عامل كل يوم على أنه عمرك كله .نهارك للعمل الصالح، وليلك للاستغفار، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم":
· محاسبة النفس: هل أنا في تقدم إيماني أم في تراجع؟ هل كنت أقرأ وردًا من القرآن ثم تركته؟ هل كنت أصلي النوافل ثم انقطعت؟
· التطبيق العملي: سجل مستوى عبادتك الآن) الصلاة، القرآن، الصدقة .(خلال شهر، قارن .إن نقصت ، فعد إلى الهدى فورًا قبل أن ترتد على دبرك.
· في دائرة "سَوَّلَ لَهُمْ":
· محاسبة النفس: ما المعصية التي أراها جميلة في عيني؟) كالكذب لربح التجارة، والنميمة بحجة ا لإصلاح .(هذا تسويل.
· التطبيق العملي: اعرض كل عمل تريد فعله على ميزان "هل يحبه الله؟"، لا على ميزان "هل تشتهيه نفسي؟".
· في دائرة "أَمْلَىٰ لَهُمْ":
· محاسبة النفس: ما هو الأمر الذي تؤجله منذ زمن؟) توبة عن مال حرام، حجاب كامل للفتاة، مصالحة قريب .(هذا إملاء شيطاني.
· التطبيق العملي: اتخذ قرارًا الآن، وابدأ في التنفيذ خلال 24 ساعة .اكسر حاجز الإملاء.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نسأله الثبات: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" .الثبات بعد الهدى نعمة كبرى.
.2يريدنا أن نعرف حيل الشيطان: التسويل والإملاء، فنحذرها ولا نقع فيها.
.3يريدنا ألا نغتر بمعرفتنا للحق: فالعبرة بالثبات على الحق حتى الممات.
.4يريدنا أن نبادر بالتوبة ولا نسوف: فالإملاء هو مقدمة الهلاك.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: المعرفة وحدها لا تكفي.
· التطبيق العملي: لا تكتف بحفظ القرآن وأحكامه، بل اسأل الله أن يرزقك العمل به .أضف إلى ورد الحفظ وردًا للعمل.
.2درس: التسويل يقلب الحقائق.
· التطبيق العملي: إذا وجدت نفسك تدافع عن خطأ وتبرره، فتوقف فورًا وقل: "هذا من تسويل الشيطان" .وارجع إلى رأي عالم نزيه.
.3درس: الأمل الطويل يقتل العمل.
· التطبيق العملي: ضع أهدافًا إيمانية بأوقات محددة قصيرة: "سأختم القرآن هذا الشهر"، "سأتصدق كل جمعة" .الأجل القريب يدفع للعمل.
.4درس: الردة ليست فقط ترك الدين، بل ترك أحكامه.
· التطبيق العملي: أي حكم شرعي تتركه، هو "ردة جزئية" عن الهدى .راجع كل أحكام دينك، وأكمل ما نقص منها.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا خطورة الانتكاسة: الرياضي الذي يتوقف فجأة عن التدريب بعد أن كان بطلا ً، يفقد كل لياقته .هكذا الإيمان، التراجع بعد التقدم خسارة مضاعفة.
· تعلمنا تحليل دوافعنا: قبل أن تترك طاعة، اسأل نفسك: لماذا؟ هل هذا من تسويل الشيطان لي؟) مث لا ً: ترك الصدقة بحجة أنك محتاج، رغم أن عندك فضلا ً.(
· تعلمنا أن العدو لا يهدأ: الشيطان لم يتركهم لأنهم "تبين لهم الهدى"، بل زاد في الكيد .كن دائمًا على حذر، فلا تأمن مكر الشيطان.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الثبات على المبدأ(: يبني إنسانًا لا تغيره الظروف، وهو عماد الحضارة.
.2مفهوم) اليقظة ضد التضليل(: يبني مجتمعًا واعيًا لا تنطلي عليه الحيل الإعلامية التي "تسوّل" الباطل وتزينه.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) محاسبة الأمل(: يبني نفسًا تعيش الواقع، متوازنة بين الأمل والخوف.
.2مفهوم) تفكيك التسويل(: يبني إنسانًا قادرًا على التحليل النفسي لنفسه، ليعرف مصدر أفكاره.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) العلم بداية لا نهاية(: يبني فكرًا يدرك أن العلم الحقيقي هو الذي يقود إلى الثبات.
.2مفهوم) ديناميكية الصراع(: يبني عقلا ً يفهم أن الصراع مع الشيطان مستمر، فلا فترة نقاهة منه.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يحذر التسويل، ويعرف أن الإملاء فخ، ويقدس قيمة الثبات، هو مجتمع يحافظ على مكتسباته الحضارية، ولا يتراجع عنها.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني: الآية ترسخ عقيدة أن الشيطان عدو حقيقي، له أساليب) تسويل، إملاء(، ويجب الا ستعاذة منه دائمًا.
.2البعد النفسي العميق: الردة بعد الهدى ليست مجرد قرار فكري، بل هي عملية نفسية معقدة يشارك فيها الشيطان بتزيين القبيح، ويمد النفس بأماني كاذبة .هذا التحليل القرآني سابق لعلم النفس الحديث.
.3البعد الاجتماعي: ظاهرة "الردة" عن القيم والثوابت في المجتمعات، سببها "تسويل" وسائل الإعلام للباطل، و"إملاء" حياة الترف والأماني .الآية تقدم وصفة علاجية.
.4البعد التربوي: يجب أن تتضمن مناهج التربية "التربية على الثبات"، وتعليم الأطفال والناشئة كيف يفرقون بين الحق المزين والباطل المسوّل.

رسالة ختامية للآية (25):

يا عبد الله، اعلم أن أخطر شيء في حياتك أن تتراجع بعد تقدم، وأن تنسلخ من آيات الله بعد أن تبوأت من الإسلام مقعد صدق. الشيطان لك بالمرصاد، يزين لك الخطيئة، ويعدك بالتوبة غدًا. فلا تأمنه. قل كل صباح: "اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه". وثبت قلبك على دينك حتى تلقاه.
المبحث الثاني

تفسير الآية (26) من سورة محمد

التمهيد للآية (26):

بعد أن ذكرت الآية السابقة أن المرتدين ارتدوا بسبب تسويل الشيطان وإملائه، تأتي هذه الآية لتكشف المزيد من أسرارهم الخفية، وتفضح دورهم في المؤامرة على الدين. هذه الآية تنتقل بنا من الحديث عن "الفعل" (الردة) إلى الحديث عن "القول الخفي" الذي سبق الردة ومهد لها، ألا وهو التواطؤ السري مع أعداء الله. إنها تكشف الوجه الآخر للمنافقين: أنهم ليسوا فقط جبناء ومفسدين ومرتدين، بل هم أيضًا طابور خامس وعملاء للأعداء، يسرون إليهم بالطاعة، والله يعلم إسرارهم.

تفسير الآية (26)

قال تعالى:
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد ذكر ارتدادهم، تبين الآية أن سبب ذلك العذاب واللعن الذي أصابهم، هو أنهم قالوا سرًا للذين كرهوا ما أنزل الله من القرآن والهدى (وهم المشركون واليهود): "سنطيعكم في بعض الأمور التي تريدونها"، كالتثبيط عن القتال، أو إفشاء أسرار المسلمين. إنهم يتحالفون مع أعداء الدين في الخفاء. ثم تختم الآية بالتهديد والوعيد، مؤكدة أن الله يعلم ما يسرونه في صدورهم، وما يتهامسون به في خلواتهم، وسيجازيهم عليه. فليس بينهم وبين الله حجاب.

مقاصد وأهداف الآية:

1.فضح ظاهرة العمالة والخيانة: التي يقوم بها المنافقون ضد أمتهم.
2.بيان أن الردة لم تكن فجأة: بل سبقتها اتصالات سرية مع أعداء الله.
3.التحذير من أصحاب الوجهين: الذين يظهرون الولاء ويبطنون العداء.
4.ترسيخ عقيدة علم الله المطلق: فهو يعلم السر وأخفى.
5.تعليم المؤمنين الحذر: من صفوفهم الداخلية، ففيها من يتربص بهم ويتآمر عليهم.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا" – الإشارة للسبب الحقيقي

1.دلالة اسم الإشارة "ذَٰلِكَ"
"ذلك" إشارة إلى ما سبق ذكره من عذابهم، أو لعنهم، أو ارتدادهم، أو تسويل الشيطان لهم .أي: ذلك العذاب الذي حل بهم بسببه، وذلك الإملاء الشيطاني الذي سيطر عليهم، متصل بهذا القول الخبيث الذي سنذكره.

2.دلالة "بِأَنَّهُمْ"
الباء للسببية. أي: بسبب أنهم قالوا... فذكر القول هنا هو كشف للسبب الحقيقي وراء كل ما هم فيه من ضلال.

3.دلالة "قَالُوا"
الظاهر أنهم قالوا بألسنتهم. فهو كلام مسموع واتصالات سرية حقيقية.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال التحقيق مع خائن: محقق يسأل جاسوسًا: لماذا سقطت؟ فيقول: "ذلك بأني اتصلت بالعدو ووعدته بالتعاون في بعض الأمور" .هذا هو نص الآية.
· مثال التحليل الطبي: طبيب يقول: "ذلك الذي أصابه من تليف الكبد، لأنه كان يشرب الخمر سرًا" .

السبب الخفي ظهر.

المحور الثاني: "لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ" – وصف الطرف الآخر (أعداء الله)

.1دلالة "لِلَّذِينَ كَرِهُوا"
كراهية ما نزل الله هي وصف جامع لكل أعداء الدين من المشركين واليهود والمنافقين. هم يكرهون الوحي، ويكرهون أحكامه، ويكرهون النبي ﷺ.

.2دلالة "مَا نَزَّلَ اللَّهُ"
أي القرآن، والوحي، وشريعة الإسلام. والوصف بـ "ما نزل الله" فيه تعظيم للمنزّل (القرآن)، وتشويه للمعرضين عنه بوصفهم "كارهين" له. فالقضية ليست خلافًا سياسيًا، بل كراهية لما أنزل الله.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال العدو المعلن: في الحرب، العدو الذي يكره وجودك هو الذي تتحالف معه ضد وطنك .المنافقون قالوا لأعداء الله: سنطيعكم.
· مثال المصلحة المشتركة: صديق السوء الذي يكره الخير، يراك مترددًا في ترك الصلاة، فيقول لك: "معك حق، الحياة مرة، لا تشدد على نفسك" .هو هنا من "الذين كرهوا ما نزل الله"، وأنت إن أطعته دخلت في ﴿سَنُطِيعُكُمْ﴾.

المحور الثالث: "سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ" – الوعد الخبيث

.1دلالة "سَنُطِيعُكُمْ"
السين للاستقبال، وهي وعد قطعي منهم. إنهم يعدون أعداء الله بالطاعة والنصرة.

.2دلالة "فِي بَعْضِ الْأَمْرِ" – خبث المنافقين ودهاؤهم
لم يعدوا بالطاعة في كل الأمر، بل في "بعض الأمر". لماذا؟

· لأنه يريد أن يبقي لنفسه بابًا عند المؤمنين، فلا ينكشف تمامًا.
· لأنه يريد أن يأخذ حذره، فلا يلتزم مع العدو بكل شيء.
· لأنه يختار "البعض" الذي يضر المسلمين ولا يضره شخصيًا) كإفشاء سر الجيش، أو تثبيط الناس عن الجهاد.(

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجاسوس المحترف: لا يتعامل مع العدو بكل ما لديه دفعة واحدة، بل يسرب "بعض" المعلومات ويحتفظ بالبعض الآخر لوقت الحاجة .هذا بالضبط ما يفعله المنافقون.
· مثال الشريك الخائن: في شركة، موظف يعطي أسرارًا لشركة منافسة "في بعض الصفقات"، لينتفع هو، دون أن يفضح نفسه تمامًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: انظر كم هو مقزز هذا النموذج! إنه يعلم أن هذا باطل، ومع ذلك يختار أن يطيع الباطل في بعض الأمور.
· عمليًا: لا تكن أنت هذا الشخص .لا تساير أهل الباطل في بعض كلامهم وأفعالهم بحجة المجاملة . ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

المحور الرابع: "وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ" – الوعيد الإلهي المهيب

.1دلالة "وَاللَّهُ" والجملة الاسمية
تقديم لفظ الجلالة، وبناء الجملة على الاسمية، يفيد الدوام والثبات. علم الله أبدي لا يتغير.

.2دلالة "يَعْلَمُ"
ليس فقط "سمع"، بل "يعلم". العلم يشمل المعرفة الكاملة بالظواهر والبواطن، والنوايا والخبايا.

.3دلالة "إِسْرَارَهُمْ"
"إسرار" جمع سرّ، وهو ما يخفى في الصدور .الله يعلم حتى الهمسات التي في خلواتهم، فكيف بما ق
الوه جهرًا للذين كرهوا ما نزل الله؟!

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الكاميرات الخفية: مجرمون يتآمرون في غرفة مظلمة، يظنون أن لا أحد يراهم، وفي الغرفة كاميرات خفية تسجل كل شيء .الله يعلم إسرارهم دون حاجة لكاميرات، فهو يعلم ما في الصدور.
· مثال التطبيقات الذكية: في عالمنا، الهواتف تعرف مواقعنا وأسرارنا .فكيف بالخالق الذي خلق هذه البرامج؟ ألا يعلم ما نخفي وما نعلن؟ بلى.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أيقن أنك في أي مكان، في خلوة أو في جمع، الله يعلم سرك .هذه العقيدة تمنعك من التفكير حتى في الخيانة.
· عمليًا: قبل أن تهمس بكلمة سوء، تذكر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾، فاستحضر مراقبته، وامتنع عن المعصية السرية.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا":
· محاسبة النفس: من هم أصدقائي؟ هل فيهم من يكره الخير والدين؟ هل أمالئهم في بعض أقوالهم لأرضيهم؟
· التطبيق العملي: ابتعد فورًا عن كل صديق سوء يكره الدين وأحكامه .اقطع صلته، ولا تجامله في باطله.
· في دائرة "سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ":
· محاسبة النفس: هل أقدم تنازلات في ديني بحجة "بعض الأمور" فقط؟) كالتساهل في الحجاب، أو ترك الصلاة أحيانًا.(
· التطبيق العملي: أعلن توبتك من كل "بعض الأمر" الذي كنت تتهاون فيه .واجعل شعارك: "السمع و الطاعة لله في كل الأمر".
· في دائرة "وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ":
· محاسبة النفس: ما هي أسراري التي أخفيها؟) نيات سيئة، حسد، كره، حب للمعصية.(
· التطبيق العملي: طهر سريرتك .كل ليلة قبل النوم، صافح قلبك، واغسل ما فيه من "إسرار" ب
التوبة والاستغفار.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نطهر صفوفنا الداخلية: من المنافقين والعملاء الذين يوالون أعداء الدين.
.2يريدنا أن نكون واضحين صريحين: لا أصحاب وجهين .إما مع الحق كله، أو مع الباطل .لا "في بعض الأمر".
.3يريدنا أن نوقن بعلمه بالسرائر: فلا ننافق ولا نكذب ولا نخادع، لأن الله يعلم إسرارنا.
.4يريدنا أن نحذر من سياسة "التدرج في التنازلات": التي تنتهي بالردة الكاملة .﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ هو أول حبل الشيطان.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: العمالة للأعداء من شيم المنافقين.
· التطبيق العملي: كن وفيًا لأمتك ودينك .لا تنشر ما يضر بهم، ولا تتعاون مع أعدائهم، ولو كان التعاون في "بعض الأمر" صغيرًا.
.2درس: التنازل عن الدين يبدأ بـ"بعض الأمر".
· التطبيق العملي: لا تقبل لنفسك أن تقول فيلمًا أو مسلسلًا فيه إساءة للدين، بحجة أن "بعضه" جيد .الباطل كله باطل.
.3درس: السرائر مكشوفة عند الله.
· التطبيق العملي: اعمل على أن يكون سرك خيرًا من علانيتك .تصدق في السر، وابكِ من خشية الله في خلواتك، ليشهد لك علم الله بخير.
.4درس: الرفقة السيئة جسر للخيانة.
· التطبيق العملي: اختر أصدقاءك بعناية .صديق يكره ما أنزل الله، سيجعلك تقول له يومًا: "سنطيعك في بعض الأمر".

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· في السياسة والإعلام: تعلمنا أن نكشف خطاب العملاء الذين يظهرون شيئًا ويبطنون عكسه، والذين يعدون الأعداء "ببعض الأمر" على حساب الأمة.
· في التربية: تعلمنا أن نربي أبناءنا على الصراحة وعدم النفاق، وألا يكونوا ذوي وجهين، يرضون أصدقاءهم "في بعض الأمر" ويغضبون الله.
· في العلاقات الزوجية: الزوج الذي يخفي عن زوجته أسرارًا تضرها، أو يطيع أهله ضدها "في بعض الأمر"، يدخل في هذا النموذج المنافق.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الأمن القومي المعلوماتي(: يبني مجتمعًا يحافظ على أسراره، ولا يسمح بتسريبها للأعداء "في بعض الأمر".
.2مفهوم) الشفافية الداخلية(: يبني مؤسسات نظيفة لا مكان فيها للمنافقين ذوي الوجهين.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) السريرة النقية(: يبني إنسانًا صادقًا مع نفسه ومع الله، فيرتاح ضميره.
.2مفهوم) الخوف من علم الله(: يبني رقابة ذاتية أقوى من أي رقابة خارجية.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) وحدة الصف(: يبني فكرًا يدرك أن العدو يستهدف تفكيكنا من الداخل عبر "البعض" من العملاء.
.2مفهوم) الصدق الفكري(: يبني عقلا ً لا يعرف الازدواجية، فما يؤمن به في السر يعلنه في الجهر.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يقوم أمنه على مراقبة الله، لا على التجسس فقط، هو مجتمع قوي الجبهة الداخلية، لا تؤثر فيه اختراقات الخونة، لأن كل فرد فيه يعلم أن الله يعلم إسراره.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الأمني الاستخباراتي: الآية تفضح أدوات العدو الطابور الخامس، الذين يعملون في الظلام . إنها تضع منهجًا للأمن: لا تأمنوا كل من يبتسم، فراقبوا الأعمال، والله يعلم الإسرار.
.2البعد النفسي الاجتماعي: الآية تكشف ظاهرة "التوافق مع العدو" أو "متلازمة ستوكهولم" النفسية،

حيث يبدأ الإنسان في طاعة من يكرههم ويكرهون دينه في بعض الأمور، مما يؤدي لخيانة النفس و المجتمع.
.3البعد التربوي: يجب أن نربي النشء على أنه لا توجد "طاعة جزئية" للباطل .إما أن تكون مع الحق كله، أو أنك تنحاز للباطل ولو في بعض الأمر.
.4البعد الإيماني الغيبي: أعظم أبعاد الآية أنها تريح قلب المؤمن المظلوم، فمهما تآمر عليه المنافقون في الخفاء، فهو يعلم أن الله يعلم إسرارهم، وسيكشفهم وينتقم لهم .﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ ... ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

رسالة ختامية للآية (26) :

يا من خدعك الشيطان بأن الرياء والخداع والموالاة للباطل طريق للنجاة، اسمع قول ربك: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾. إنك لا تخدع إلا نفسك. فطهر سريرتك، واجعل باطنك كظاهرك أو خيرًا منه. واحذر أن تكون ممن يطيعون أعداء الله في بعض الأمر، فيكون مصيرهم اللعن والإصمام والإعماء. كن مع الله في السر، يكن معك في العلن.
المبحث الثالث .
نحن على موعد مع مشهد مهيب من مشاهد سورة محمد، حيث ينتقل الخطاب الإلهي من كشف أسرار المنافقين في الدنيا إلى تصوير عاقبتهم عند الموت، وبيان السبب الجذري لخسرانهم. إليك تفسير الآيتين (27) و(28)
تفسير الآية (27) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن كشفت الآية السابقة (26) عن المؤامرة الخفية للمنافقين، وأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، وأن الله يعلم إسرارهم، تأتي هذه الآية لتنتقل من مرحلة "الكشف" إلى مرحلة "الجزاء". إنها تنتقل من المشهد السري في خلواتهم، إلى المشهد العلني المهيب عند قبض أرواحهم. بعد أن صور الله لنا كيف أنهم في الدنيا ينظرون نظر المغشي عليه من الموت من شدة الخوف من الجهاد، يأتي هنا ليصور لنا موتهم الحقيقي، وكيف أن الملائكة تتوفاهم بالضرب والإهانة. كأن السورة تقول: لا تظنوا أن خيانتهم وإسرارهم سيمران دون عقاب. هناك لحظة حتمية قادمة، لحظة الوفاة، وفيها سيرون بأعينهم نتيجة ما فعلوا.

تفسير الآية (27)

قال تعالى:
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد أن بين الحق تبارك وتعالى سرائرهم ونواياهم الخبيثة، يأتي هذا الاستفهام التهويلي ليبين شناعة ما ينتظرهم: فكيف سيكون حالهم؟ وماذا يفعلون؟ وأي حيلة يملكون؟ في ذلك الوقت العصيب، حين تتوفاهم ملائكة الموت وتقبض أرواحهم، وهم يضربون وجوههم من الأمام، ويضربون أدبارهم من الخلف؛ إذلالا ً لهم وإهانة، وعقابًا على إعراضهم عن وجه الحق في الدنيا وفرارهم من الجهاد. إنه مشهد مرعب يجمع بين الألم الجسدي والإهانة النفسية.

مقاصد وأهداف الآية:

.1تهويل عاقبة المنافقين وتفظيعها: ليكون رادعًا لكل من تسول له نفسه مسلكهم.
.2ترسيخ عقيدة عذاب القبر: فقبض الأرواح بالضرب هو أول مراحل العذاب.
.3بيان أن الملائكة جنود الله: تنفذ أوامره في المجرمين بالضرب والإهانة.
.4تحذير المؤمنين من مشابهة المنافقين: خوفًا من أن ينالهم مثل هذا المصير.
.5إظهار عدالة الله: فكما ضربوا الحق وأدبروا عنه في الدنيا، يضربون في الآخرة.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "فَكَيْفَ" – استفهام التهويل والتعظيم

.1دلالة الفاء في "فَكَيْفَ"
الفاء للتفريع والترتيب على ما سبق. فبعد أن ذكر الله علمه بإسرارهم ومؤامراتهم، يفرع عليه هذا الا ستفهام. أي: إذا كان الله يعلم إسرارهم، فكيف سيكون حالهم عندما يحين وقت العقاب؟

.2دلالة "كَيْفَ"
"كيف" اسم استفهام عن الحال .وهو هنا ليس استفهامًا حقيقيًا يُراد به الجواب، بل هو استفهام للتهويل والتعظيم والتفظيع .أي: أي حال سيكونون عليها؟ إنه حال مهول لا يكاد يوصف.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الأب لابنه العاق: عندما يكشف الأب خيانة ابنه، يقول له: "فكيف سيكون حالك عندما أطردك من البيت؟" .إنه سؤال لا يحتاج جوابًا، بل لتصوير البشاعة.
· مثال الجندي في المعركة: عندما يرى جندي العدو يقترب، يقول: "فكيف لو وصلوا إلينا؟" .هو استفهام يضخم الخطر.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: استحضر هذا الاستفهام دائمًا: كيف سيكون حالي عند الموت؟ هذا يدفعك للاستعداد.
· عمليًا: قبل أي ذنب، اسأل نفسك: "فكيف لو توفتني الملائكة وأنا على هذه الحال؟" .هذا السؤال رادع عملي.

المحور الثاني: "إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ" – تحديد الزمان المهول

.1دلالة "إِذَا"
"إذا" ظرفية زمانية للمستقبل، وتدل على التحقق واليقين .فمجيء هذا الوقت متحقق لا ريب فيه.

.2دلالة "تَوَفَّتْهُمُ"
التوفي: هو قبض الروح كاملة. والملائكة هنا هم ملائكة الموت وأعوانهم الذين يقبضون أرواح الكفار والمنافقين. إسناد الفعل إلى "الملائكة" بصيغة الجمع يفيد الهول والكثرة، فهم ليسوا ملكًا واحدًا بل جمعٌ يقبضون الروح بقوة وعنف.

.3دلالة عدم ذكر المفعول الثاني) إلى أين توفاهم؟(
حذف المفعول الثاني، فلم يقل: "توفتهم إلى النار" أو "إلى العذاب"، ليكون الكلام مطلقًا يشمل العذاب من أول لحظة قبض الروح. فالتوفي نفسه هو عذاب، وقبض الروح هو بداية الهلاك.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال رجال الشرطة لمجرم: مجموعة من رجال الشرطة يقبضون على مجرم خطير بقوة وعنف، يقتادونه .هذا هو "توفتهم الملائكة" بصورة مهينة.
· مثال المريض: الفرق بين موت المؤمن وموت المنافق كالفرق بين من ينام نومًا هادئًا، ومن يُنتزع منه الحياة انتزاعًا مؤلمًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تأمل في ساعة الموت .هل سيكون قدوم الملائكة لك قدوم بشرى وسلام، أم قدوم ضرب وعذاب؟ هذا يعتمد على حياتك الآن.
· عمليًا: درب نفسك على تذكر الموت يوميًا .انظر في أخبار الموتى، وقل: "اللهم أحسن توفتنا، ولا تجعلنا من الذين تتوفاهم الملائكة وهم يضربون وجوههم وأدبارهم".

المحور الثالث: "يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ" – وصف العقوبة المهينة

.1دلالة "يَضْرِبُونَ"
الجملة حالية من "الملائكة". أي: تتوفاهم الملائكة في هذه الحالة من الضرب الشديد. الضرب دليل الإ هانة والعنف.

.2دلالة "وُجُوهَهُمْ"
الوجه: وهو أشرف الأعضاء، ومحل التكريم. ضرب الوجه إهانة عظمى، وتشويه للمظهر. وكان الجزاء من جنس العمل: فهم في الدنيا كانوا يستقبلون الحق بالصد والإعراض، فضربت وجوههم التي أعرضوا بها.

.3دلالة "وَأَدْبَارَهُمْ"
الأدبار: جمع دُبُر، وهو الظهر. وضرب الأدبار إهانة أخرى، لأنهم في الدنيا فروا من الجهاد وأدبروا عن نصرة النبي ﷺ، فضُربت أدبارهم التي فروا بها. وقيل: هذا الضرب عند خروج الروح من الجسد، فضرب الوجه عند قبض الروح من المقدم، وضرب الدبر عند خروجها من الجسد من الخلف.

.4الجمع بين الوجه والدبر
جمعت العقوبة بين الوجه والدبر لتشمل الإهانة من كل جانب. فلا يتركون لهم جهة إلا وينالهم فيها العذاب. وهذا أبلغ في الإذلال.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجندي الفار: جندي يفر من المعركة، فإذا قبض عليه القائد، ضرب وجهه لاستقباله العار، وضرب ظهره الذي فر به .هذا بالضبط ما يفعله المنافقون، يفرون من الجهاد ويستقبلون الكفر، فضربوا الوجه والأدبار.
· مثال السوط على الظهر والوجه: تخيل إنسانًا يضرب بالسوط على وجهه أولا ً، ثم يكره على الا نبطاح فيضرب على ظهره .هذا مشهد إذلال مزدوج.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا المشهد مرعب .من يضرب؟ الملائكة الأشداء .من يُضرب؟ أناس كانوا يصلون مع النبي ﷺ رياءً .لا تأمن أبدًا، فالخطر عظيم.
· عمليًا: اجعل وجهك وقفًا لله، لا تعص به .واجعل ظهرك وقفًا لله، لا توله عن الجهاد والطاعة .فكما تستعمل جوارحك، ستُضرب بها.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "فَكَيْفَ":
· محاسبة النفس: تخيل وقوفك أمام الله وسؤاله: ﴿فَكَيْفَ﴾ كان جوابك عندما سمعت آياتي؟ هذا السؤال سيوجه لك، فاستعد له.
· التطبيق العملي: اجعل هذا الاستفهام القرآني شعارًا لك: عند كل ذنب، قل: "فكيف لو حضرتني الم لائكة الآن؟".
· في دائرة "تَوَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ":
· محاسبة النفس: هل أتمنى لقاء الله؟ وهل أنا مستعد له؟) علامة الاستعداد: محبة الطاعة وكراهية المعصية.(
· التطبيق العملي: احفظ دعاء: "اللّهم إني أسألك حسن الخاتمة، وأعوذ بك من سوء الخاتمة".
· في دائرة "يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ":
· محاسبة النفس: أين وُجّه وجهي؟ هل وجهته للحق أم للباطل؟ أين وُجّه ظهري؟ هل أدبرت عن أوامر الله؟
· التطبيق العملي: سجد لله طويلا ً، وضع وجهك) أشرف ما فيك (على الأرض ذلا ً لله، حتى لا يُضرب يوم القيامة.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

بعد هذا البيان، يريد منا المولى عز وجل:

.1يريدنا أن نستعد للموت دائماً: فهو آتٍ لا محالة، ولحظة الوفاة هي أول منازل الآخرة.
.2يريدنا أن نكون من الذين تبشرهم الملائكة عند الموت، لا من الذين يضربونهم.
.3يريدنا أن نصلح وجوهنا وأدبارنا: بأن نستعملها في طاعته، لا في معصيته، حتى لا تكون وبالا ً علينا.
.4يريدنا أن نرتعب من النفاق: فالنفاق عاقبته هذا المشهد المهين.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي لكل درس)

.1درس: الموت هو بداية الحساب، لا نهاية له.

· التطبيق العملي: اكتب وصية شرعية، وراجعها كل عام .تذكر الموت وأنت تكتبها، وسيسهل عليك ترك الدنيا.

.2درس: العذاب قد يبدأ قبل يوم القيامة.

· التطبيق العملي: لا تقل: "يوم القيامة بعيد" .عذاب القبر حق، وضرب الملائكة تمهيد له .استعذ بالله من عذاب القبر في كل صلاة.

.3درس: الإعراض عن الحق يجر الإهانة.

· التطبيق العملي: إذا دعيت إلى معروف، أو نهيت عن منكر، فأقبل على الحق بصدرك ووجهك، ولا تدبر عنه، لئلا تضرب على أدبارك.

.4درس: الجوارح شاهدة عليك أو لك.

· التطبيق العملي: اعقد النية صباح كل يوم: "اللهم استعمل جوارحي في طاعتك" .فهي التي ستنال الضرب أو النعيم.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن قيمة الإنسان ليست بوجهه الجميل في الدنيا: فالمنافقون وجوههم جميلة، ولكنها ستُضرب وتهان عند الموت .الجمال الحقيقي هو جمال الطاعة.
· تعلمنا أن الشجاعة في الجهاد عبادة: الفرار من الجهاد) بالنفس أو المال أو اللسان (خيانة تستحق ضرب الأدبار .في حياتنا اليومية، الجهاد هو كل ما فيه مشقة في سبيل الله، فلا تفر منه.
· تعلمنا أن الموت قادم بغتة: فلا تسوف التوبة .تخيل أن الملائكة تأتيك وأنت على معصية! قم الآن وتب.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الموت كمحرك للعمل(: يبني إنسانًا لا يضيع وقته، لأنه يعرف أن الوفاة قد تأتي في أي لحظة.
.2مفهوم) الإهانة للمنافقين(: يبني مجتمعًا يرفض الخيانة والعمالة، لأن العار يلحق بالخائن في الآخرة قبل الدنيا.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

1.مفهوم) الخوف الإيجابي من سوء الخاتمة(: يبني نفسًا قلقة دائمًا من التقصير، فتعمل ولا تغتر.
2.مفهوم) العزة بالإيمان(: يبني إنسانًا يستمد عزته من طاعة الله، فلا يُضرب وجهه.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

1.مفهوم) الجوارح أمانة(: يبني عقلا ً يدرك أن الجسد ليس ملكًا لصاحبه، بل هو أداة استخلاف، سيُسأل عنها.
2.مفهوم) عدالة الجزاء من جنس العمل(: يبني فكرًا يوقن بعدل الله المطلق.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
المجتمع الذي يخاف أفراده من ضرب الملائكة، يحافظ على جوارحه، فيقل الفساد والجريمة، وتقوم حضارة على أساس الأمانة الجسدية والروحية.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

1.البعد الغيبي الإيماني: الآية تفتح نافذة على عالم البرزخ، وتجعل المؤمن يعيش بين الخوف و الرجاء.
2.البعد النفسي: تصف الآية حالة من الرعب النفسي والجسدي عند الاحتضار، وهذا يفيد علماء النفس في فهم تأثير الإيمان على لحظة الموت.
3.البعد الاجتماعي: تحذر المجتمع من إيواء المنافقين والعملاء، وتبرر – بطريقة غير مباشرة – وجوب معاقبة الخونة في الدنيا، لأن عذاب الآخرة أشد.
4.البعد التربوي: تعلم المربين أن يربطوا في أذهان الناشئة بين الجوارح والمسؤولية، وأن السمع و البصر والوجه والظهر كلها ستُسأل.

رسالة ختامية للآية (27):

يا من تقرأ هذه الآية، تخيل المشهد: أنت على فراش الموت، والملائكة حولك. فانظر: هل يضربون وجهك الذي سجد لله، أم يضربونه لأنه نظر للحرام؟ هل يضربون ظهرك الذي حمل أعباء الجهاد، أم يضربونه لأنه فر من المسؤولية؟ اللهم اجعل توفينا إليك توفية كريمة، واضرب بالملائكة وجوه أعدائنا ، واجعلنا ممن تفتح لهم أبواب السماء، ويُقال لنفوسهم الطيبة: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

تفسير الآية (28) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد المشهد المهيب للعذاب عند الموت، حيث تتوفى الملائكة المنافقين بالضرب على الوجوه والأدبار، تأتي هذه الآية لتجيب عن السؤال الضمني الذي يثور في ذهن السامع: لماذا حدث لهم كل هذا؟ ما هو السبب الجذري الذي أوصلهم إلى هذا المصير الأليم؟ الآية تجيب بإيجاز بليغ: "ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه". إنها بيان للعلة الحقيقية: أنهم ساروا في الحياة كلها في مسار معاكس لمراد الله. وأما النتيجة النهائية لسعيهم المضاد، فهي أن الله أحبط أعمالهم كلها، فذهبت سدى، فلا ثواب لهم ولا نجاة. إنها آية جامعة بين السبب والنتيجة، تقول لك: انظر أين تسير، قبل أن تصل إلى حيث لا ينفع الندم.

المبحث الرابع
تفسير الآية (28)

قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

ذلك العذاب الشديد الذي حل بهم عند الموت، من ضرب الملائكة لوجوههم وأدبارهم، سببه الوحيد هو أنهم في حياتهم الدنيا اتبعوا كل ما يغضب الله من الكفر والمعاصي، وفي المقابل كرهوا وعزفوا عن كل ما يرضيه من الإيمان والطاعات. ونتيجة لهذا المسار المقلوب، فقد أبطل الله ثواب أعمالهم التي كانوا يظنونها نافعة (كالصدقة والجهاد رياءً)، وأحبطها فلم تنفعهم شيئًا، بل كانت وبالا ً عليهم.

مقاصد وأهداف الآية:

1.بيان عدالة الله المطلقة: فما أصابهم لم يكن ظلمًا، بل بسبب أعمالهم.
2.توضيح أن العبرة برضوان الله، لا بكثرة الأعمال.
3.التحذير من اتباع ما يسخط الله: لأنه طريق الهلاك.
4.الحث على طلب رضوان الله: لأنه غاية السعادة.
5.بيان أن الكفر والمعاصي تحبط ثواب الأعمال.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "ذَٰلِكَ" – إشارة إلى العذاب السابق

1.دلالة اسم الإشارة "ذَٰلِكَ"
"ذلك" إشارة إلى العذاب المذكور في الآية السابقة: ضرب الملائكة للوجوه والأدبار عند التوفي .ويجوز أن يكون إشارة إلى كل ما سبق من وعيدهم) اللعن، الصمم، العمى، عذاب القبر .(اسم الإشارة للبعيد)ذلك (يدل على بعد منزلة هذا العذاب في الشدة والفظاعة.

2.دلالة الجملة الاسمية
الإشارة ب-"ذلك" والتقدير: "ذلك العذاب حاصل لهم" جملة اسمية تدل على الثبات والتحقق.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال القاضي: القاضي بعد أن يعدد جرائم المجرم، ويحكم عليه بالإعدام، يقول: "ذلك الحكم نالوه بسبب..." ."ذلك" تشير لكل ما سبق من العقوبة.
· مثال الطبيب: الطبيب بعد أن يصف حالة مريض متأخر، يقول: "ذلك التليف في الكبد حصل بسبب..." .إشارة إلى النتيجة الماثلة.

المحور الثاني: "بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ" – السبب الأول (فعل المنهيات)

1.دلالة الباء في "بِأَنَّهُمُ"
باء السببية. أي: كان ذلك العذاب بسبب أنهم...

2.دلالة "اتَّبَعُوا"
لم يقل: "فعلوا"، بل "اتبعوا". والاتباع يدل على السير خلف الشيء خطوة بخطوة، بطواعية واختيار، وبرغبة ومحبة. إنهم لم يفعلوا المعصية على كره، بل اتبعوها كما يتبع التلميذ أستاذه، وكما يتبع العاشق معشوقه.

3.دلالة "مَا أَسْخَطَ اللَّهَ"
"ما" اسم موصول يشمل كل ما يغضب الله: الكفر، النفاق، الكذب، الخيانة، الإفساد، قطع الرحم، التثبيط عن الجهاد ."أسخط" من السخط، وهو الغضب الشديد مع العقوبة .إنهم لم يكتفوا بفعل ما يكرهه الله، بل تخصصوا في فعل ما يغضبه غضبًا شديدًا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المدمن: مدمنٌ يتبع المخدرات، يطلبها، يشتريها، يتعاطاها .هو "اتبع" ما يسخط الله .لم يفعلها مرة وندم، بل جعلها طريقه.
· مثال الجندي الخائن: جندي يتبع أوامر العدو حرفيًا، ينفذها بحب .هو يتبع ما يسخط وطنه وقيادته.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: راقب ما تتبعه نفسك .هل تتبع هواك، أو الشهوات، أو إعلام الفساد؟ هذا الاتباع هو سبب الهلاك.
· عمليًا: اسأل نفسك كل ليلة: "أي شيء أسخط الله اتبعته اليوم؟" .ثم استغفر واعزم على الترك.

المحور الثالث: "وَكرهُوا رِضْوَانَهُ" – السبب الثاني (ترك المأمورات)

.1دلالة "كرهُوا"
الكراهية: ضد المحبة. هم لم يكتفوا بفعل المساخط، بل حملوا في قلوبهم كراهية وبغضًا لكل ما يرضي الله.

.2دلالة "رِضْوَانَهُ"
رضوان الله: هو أعلى درجات النعيم، وغاية أمل المؤمنين. وكراهية رضوانه تشمل:

· كراهية الإيمان وأهله.
· كراهية الطاعات) الصلاة، الزكاة، الجهاد.(
· كراهية القرآن والوحي.
· كراهية النبي ﷺ وأصحابه.

.3الجمع بين "اتبعوا ما أسخط الله" و"كرهوا رضوانه"
هذا من بديع المقابلة القرآنية. هم جمعوا بين:

· فعل القبيح:) اتبعوا ما أسخط الله.(
· ترك الحسن:) كرهوا رضوانه.(
فاستحقوا العذاب من الجهتين.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المريض بالحمية: مريض السكر، لا يتبع حمية طبيبه) اتبع ما يسخط الطبيب(، بل ويكره الدواء الصحي ويشرب الخمر) يكره رضوان الطبيب .(مصيره الموت المحقق.
· مثال الطالب الفاشل: طالب يتبع رفاق السوء) اتبع ما يسخط أستاذه(، ويكره حضور الدرس ويبغض الكتاب) كره رضوان أستاذه .(مصيره الرسوب.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: خطر عظيم أن يشعر الإنسان بكراهية تجاه الطاعات، كأن يثقل عليه وقت الصلاة .هذه الكراهية من صفات المنافقين.
· عمليًا: انظر إلى قلبك .هل تحب رضوان الله؟ دليل المحبة: العمل .فاعمل صالحًا تثبت محبتك.

المحور الرابع: "فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" – النتيجة النهائية المدمرة

.1دلالة الفاء في "فَأَحْبَطَ"
فاء السببية والتفريع. أي: نتيجة لاتباعهم المساخط وكراهيتهم للرضوان، كانت العاقبة: الإحباط.

.2دلالة "أَحْبَطَ"

الإحباط: هو الإبطال والإفساد، وجعل الشيء يذهب سدى بلا فائدة. الله أحبط أعمالهم، أي أبطلها فلم تثمر ثوابًا، وجعلها هباءً منثورًا.

.3دلالة "أَعْمَالَهُمْ"
جمع عمل، ويشمل جميع أعمالهم التي كانوا يظنونها صالحة، كالصدقة، وصلة الرحم، والجهاد رياءً. كلها بطلت لأنها لم تكن على أساس الإيمان وابتغاء رضوان الله. وإضافة "أعمالهم" إليهم تفيد أنهم تعبوا فيها، وسعوا لها، لكنها ذهبت أدراج الرياح.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال البناء على الرمل: رجل بنى قصرًا عظيمًا على شاطئ الرمل، تعب فيه سنين .فجاءت موجة عاتية، فأحبطت عمله، ومحته تمامًا .هكذا أعمال المنافقين .{فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}.
· مثال الكاتب الذي حذف عمله: كاتب كتب كتابًا في ألف صفحة، ثم ضغط زر الحذف بالخطأ، فذهب كل تعبه .المنافق يظن أنه يحسن صنعًا، فيأتي يوم القيامة فلا يجد شيئًا .{وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا هو الخسران المبين .أن تتعب في الدنيا، ثم يأتي كل تعبك هباءً .فلنحرص على أن تكون أعمالنا خالصة لوجه الله، لا رياء ولا سمعة.
· عمليًا: راجع نواياك في كل عمل تعمله .قبل أن تتصدق، اسأل نفسك: لمن هذه الصدقة؟ قبل أن تصلي، قل: "اللهم إني نويت صلاة الفرض/النفل لوجهك الكريم".

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ":
· محاسبة النفس: كلما رأيت بلاءً أو عذابًا ينزل بقوم، تذكر أن له سببًا .وانظر في أسباب العذاب لتتجنبها.
· التطبيق العملي: اقرأ في قصص القرآن أسباب هلاك الأمم، واستخرج منها أسبابًا تتجنبها في حياتك) مثلا ً: تطفيف الكيل، الكبر.(...
· في دائرة "اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ":
· محاسبة النفس: ما هي المساخط التي أتبعها؟) مواقع التواصل إن جلبت سخطًا، أصدقاء سوء.(
· التطبيق العملي: اعمل قائمة بـ"مساخط" في حياتك) عادة سيئة، علاقة محرمة، جلسة لهو(، واعزم على ترك واحد منها كل أسبوع.
· في دائرة "وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ":
· محاسبة النفس: هل أجد في قلبي ثقلا ً عند الطاعات؟) صلاة الفجر، قراءة القرآن، بر الوالدين(؟
· التطبيق العملي: إذا وجدت كراهية لطاعة، فجاهد نفسك على فعلها حتى تحبها .وادعُ: "اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان".
· في دائرة "فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ":
· التطبيق العملي: في كل عمل، قل قبل أن تبدأ: "بسم الله، اللهم تقبل مني" .وفي آخره: "أستغفر الله" تقصيرًا.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نعرف قانون السببية: أعمالنا هي التي تحدد مصيرنا .فلا نلومن إلا أنفسنا.
.2يريدنا أن نحول حياتنا من اتباع السخط إلى اتباع الرضوان: أن نغير مسارنا بالكامل نحو ما يحبه الله.
.3يريدنا أن نحب طاعاته: فلا نؤديها عن كراهية وثقل، بل عن محبة وشوق.
.4يريدنا أن نراقب نوايانا دائمًا: فالعمل بدون إخلاص مصيره الإحباط والخسران.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: الأسباب تؤدي إلى نتائج حتمية.

· التطبيق العملي: إذا أردت النجاة يوم القيامة، فاسعَ في أسبابها اليوم .لا تنتظر النجاة وأنت تتبع مساخط الله.

.2درس: محبة الله ورسوله أساس قبول الأعمال.

· التطبيق العملي: جدد في قلبك كل صباح محبة الله ورسوله .قل: "اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك".

.3درس: كراهية الطاعة من علامات النفاق.

· التطبيق العملي: إذا أحسست بضيق من الصلاة، صلّ فورًا ركعتين تطوعًا، واسأل الله أن يشرح صدرك.

.4درس: إحباط العمل هو حصاد الكفر والنفاق.

· التطبيق العملي: احفظ أعمالك الصالحة من الإحباط: بالإخلاص، وبترك المنة والأذى، وبعدم الرياء.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن الحياة مليئة بالاختيارات: إما أن تتبع ما يسخط الله، وإما أن تحب ما يرضيه .والخيار لك، لكن النتيجة مفروضة عليك.
· تعلمنا أن المشاعر) الكراهية والمحبة (مؤثرة في قبول الأعمال: مجرد أن تكره طاعة، هذا قد يؤدي إلى إحباط غيرها من الأعمال .عمليًا: لا تهمل مشاعرك، بل صوبها.
· تعلمنا أن الخسارة الحقيقية ليست في خسارة المال، بل في خسارة الأعمال: قد تكون غنيًا في الدنيا، ولكنك مفلس يوم القيامة .اسعَ لثراء الآخرة.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الأعمال بالنيات(: يبني إنسانًا مخلصًا، ومجتمعًا يقوم على الإخلاص، فيبارك الله له في أرزاقه وعلومه.
.2مفهوم) الاتباع الواعي(: يبني إنسانًا ناقدًا لا يتبع أي شيء، بل يزن الأمور بميزان رضوان الله.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الحب والبغض لله(: يبني نفسًا سوية لا تحب ولا تكره إلا وفق مراد الله، فتعيش في انسجام مع الكون.
.2مفهوم) الخوف من الخسران(: يبني نفسًا دائمة الحرص على وقود الأعمال.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) السببية الإلهية(: يبني عقلا ً يدرك أن للكون قوانين، وأن السخط يؤدي إلى الخسران، و الرضوان يؤدي إلى الفلاح.
.2مفهوم) أولوية رضوان الله(: يبني فكرًا يجعل رضوان الله فوق كل اعتبار، فيسخر العلوم والإعلام لتحقيقه.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:

إذا تحول المجتمع إلى مجتمع يتبع رضوان الله، ويكره مساخطه، ويراقب النيات، أصبح كل عمل فيه عبادة، من الزراعة إلى الصناعة إلى السياسة، فكلها تبتغي رضوان الله، فيعم الخير ويرتفع البلاء.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني العقدي: الآية ترسخ عقيدة أن رضوان الله هو غاية الوجود، وأن سخطه هو أقصى الخسارة .وهي تجعل حب الله وبغضه مقياسًا لكل شيء.
.2البعد السلوكي: الآية تقدم منهجًا للتقويم الذاتي: راقب ما تتبعه وما تكرهه .هذا المنهج في إدارة الحياة يقود إلى النجاح الدنيوي والأخروي.
.3البعد التحليلي للأعمال: الآية تفتح الباب لـ"تحليل الأعمال" قبل القيام بها .هل هذا العمل سيؤدي إلى رضوان الله أم إلى سخطه؟ هذا السؤال يجعل الإنسان يعيش تخطيطًا استراتيجيًا لحياته.
.4البعد المصيري: إحباط الأعمال هو أكبر خسارة في الوجود .الآية تجعل الإنسان ينظر إلى أبعد من الدنيا، إلى يوم لا ينفع فيه إلا ما قدم من عمل صالح خالص.

رسالة ختامية للآية (28):

يا من تسعى في هذه الدنيا، لا تجعل سعيك هباءً. إنها آية تحمل إليك الخريطة: الطريق إلى السعادة هو رضوان الله، والطريق إلى الهلاك هو سخطه. فانظر أين أنت الآن: هل تتبع ما يغضبه، أم تحب ما يرضيه؟ تذكر أن الله قد يُمهل ولا يُهمل، ولكن العاقبة عند الموت ·{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ}. بادر الليلة إلى مراجعة مسار حياتك. لا تجعل الشيطان يسول لك أن غدًا ستفعل. ·{فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}· خسارة ليس بعدها خسارة.
سابعا
نستكمل الرحلة في رحاب سورة محمد، ونتأمل ثلاث آيات كريمات تنتقل من فضح مرض القلوب إلى بيان قانون الابتلاء والتمحيص الإلهي. وإليك تفسير هذه الايات

التمهيد: موقع الآيات من سياق السورة

بعد أن كشفت الآيات السابقة (27، 28) عن المشهد المهيب لتوفي الملائكة للمنافقين وضربهم لوجوههم وأدبارهم، وعن السبب الجذري لهذا المصير وهو اتباعهم ما أسخط الله وكراهيتهم لرضوانه، مما أدى إلى إحباط أعمالهم؛ تأتي هذه الآيات الثلاث لتواصل فضح المنافقين وكشف دخائلهم، ولكن من زاوية جديدة: إنها تكشف عن مرض الغل والحقد الذي يكنونه للمؤمنين في صدورهم.

الآية (29) تستنكر ظن المنافقين أن الله لن يخرج أضغانهم، وتؤكد أن الله مخرجها حتمًا. الآية (30) تنتقل إلى بيان أنه يمكن معرفتهم من خلال علامات ظاهرة، وهي "لحن القول"، فمنطقهم يكشفهم. ثم تأتي الآية (31) لتختم هذا المقطع بقانون إلهي ثابت: الابتلاء والتمحيص بالجهاد والتكاليف، ليتميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق. إنها ثلاثية مترابطة: المرض (الغل)، والعلامة (لحن القول)، و الاختبار (الابتلاء).

المبحث الأول
تفسير الآية (29) من سورة محمد

التمهيد للآية (29):

بعد الحديث عن المنافقين واتباعهم للسخط وكراهيتهم للرضوان، وإحباط أعمالهم، تأتي هذه الآية لتكشف عن مرض آخر دفين في قلوبهم، ألا وهو "الغل" والحقد على المؤمنين. لقد كان المنافقون يظنون أنهم يستطيعون إخفاء حقدهم وبغضهم للرسول ﷺ والمؤمنين إلى الأبد، وأن الله لن يكشف سرائرهم للناس. لكن الآية تأتي لتنسف هذا الظن، وتعلن أن الله الذي يعلم السر وأخفى، سيخرج لا محالة ما في صدورهم من أضغان وأحقاد، وسيفضحهم بها في الدنيا قبل الآخرة.

تفسير الآية (29)

قال تعالى:
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

استفهام إنكاري توبيخي: بل أيظن هؤلاء المنافقون، الذين امتلأت قلوبهم بمرض الشك والنفاق والحقد ، أن الله لن يكشف مخبآتهم ولن يظهر للناس ما يضمرونه في صدورهم من أحقاد وعداوة شديدة للإ سلام وأهله؟! بلى، والله سيخرجها ويكشفها، وسيفضحهم في الدنيا على رؤوس الأشهاد، بإظهار علا مات النفاق في أقوالهم وأفعالهم، أو بإخبار النبي ﷺ بأعيانهم.

مقاصد وأهداف الآية:

1. نسف أوهام المنافقين: بأن أسرارهم ستبقى دفينة، بل الله مخرجها.
2. تثبيت المؤمنين: وتطمينهم بأن الله سيكشف لهم المنافقين ولن يتركهم في حيرة.
3. تعليم الأمة أن الغل والحقد على المؤمنين من علامات النفاق.
4. ترسيخ عقيدة أن الله عليم بالسرائر، وهو قادر على إظهارها.
5. التحذير من إضمار السوء للمؤمنين: لأنه سينكشف حتمًا.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ" – استفهام الردع والتوبيخ

1. دلالة "أمْ"
"أم" هنا المنقطعة، بمعنى "بل" والهمزة للاستفهام الإنكاري. أي: بل أحسبوا؟ والتقدير: أيظنون أن الأمر كما يريدون؟ كلا.

2. دلالة "حَسِبَ"
الحسبان: هو الظن الخاطئ المبني على الجهل والغرور. فظنهم هذا باطل، وظن الجاهلية.

3. دلالة "الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ"
تعبير قرآني بديع عن المنافقين. المرض هنا هو النفاق، والشك، والحسد، والغل للمؤمنين. هذا الوصف يربط كل ما سيأتي من أفعالهم بعلة قلبية أصيلة: قلوبهم ليست سليمة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المجرم المختبئ: مجرم اختبأ في قبو مظلم، يحسب أن الشرطة لن تهتدي إليه. هذا حسبان خاطئ. هكذا ظن المنافقون أن أسرارهم مخفية عن الله.
· مثال الحاسد: شخص يحسد جاره ويكتم الحسد في قلبه، ويظن أن أحدًا لن يعرف. لكن تصرفاته وألفاظه تفضحه عاجلا ً أم آجلا ً.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: لا تظن أن ما في صدرك سيخفى إلى الأبد. الله سيفضح النوايا الخبيثة، فطهر قلبك.
· عمليًا: فتش في قلبك عن "مرض" تجاه إخوانك المؤمنين. هل تحسد أحدًا منهم؟ هل تغل عليه؟ هذا مرض النفاق.

المحور الثاني: "أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ" – جواب الحسبان الباطل

1. دلالة "أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ"

· "أن": مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف، والتقدير: "أنه لن يخرج الله".
· "لَّن": لنفي المستقبل المؤكد. أي: ظنوا أن المستقبل سيخلو من كشف أسرارهم.

· "يُخْرِجَ اللهُ": نسب الإخراج إلى لفظ الجلالة "الله" لتعظيم الخبر. فمن يخرجها هو الله العليم الخبير.

2. دلالة "أَضْغَانَهُمْ"

· الأضغان: جمع ضِغن، وهو الحقد الشديد والغِل العميق المملوء بالكراهية والبغض. وهذا أعلى درجات العداوة القلبية.
· إضافة الأضغان إليهم (أضغانهم) تدل على أنها صارت صفة ملازمة لهم، حتى صارت جزءًا من كيانهم القلبي.
· الأضغان هنا: حقدهم على النبي ﷺ والمؤمنين، بسبب انتصار الإسلام، وغيرتهم من نعمة الله على المؤمنين.

3. كيف يخرج الله أضغانهم؟
المفسرون ذكروا عدة طرق:

· بإخبار النبي ﷺ بأسمائهم صراحة.
· بظهور علامات في كلامهم (كما في الآية التالية: "لحن القول").
· بمواقف تنكشف فيها سرائرهم.
· بإنزال آيات تفضح صفاتهم.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال البركان الخامد: بركان خامد يبدو هادئًا من الخارج، لكن في جوفه حمم تلتهب. "الأضغان" هي الحمم. والله قادر على إخراجها لتظهر على السطح.
· مثال القدر المغلقة: قدر موصدة بإحكام، لكن تحتها نار تشتعل. عندما يشتد الضغط، ينفجر الغطاء ويخرج البخار. هكذا الله يخرج أضغانهم فيفضحهم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أريح قلبك من الأضغان. الحقد يحرق صاحبه قبل أن يحرق غيره. والله سيخرجه، فلمَ تحمله؟
· عمليًا: إذا أحسست بحقد تجاه مسلم، فبادر بالدعاء له: "اللهم اغفر له، واهدِ قلبي، وأخرج ضغني". هذا علاج نبوي.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "أَمْ حَسِبَ":
  · محاسبة النفس: هل أظن أن نيتي السيئة أو أفعالي الخفية ستبقى سرًا؟ هذا حسبان خاطئ.
  · التطبيق العملي: عامل كل سر في نفسك على أنه سينكشف. هذا يدفعك لترك كل قبيح.
· في دائرة "أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ":
  · محاسبة النفس: هل في قلبي ضغن على أحد من المسلمين؟ (زميل، قريب، جار).
  · التطبيق العملي: اقرأ سورة الحشر (آية: 10): "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا". ردد هذا الدعاء بخشوع يوميًا.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

1. يريدنا أن نطهر قلوبنا من الغل والحقد: فالمؤمن قلبه سليم.
2. يريدنا أن نوقن بأن سرائرنا مكشوفة عنده: وأنه سيظهرها لو شاء في الدنيا، وهو حتمًا سيحاسبنا عليها في الآخرة.
3. يريدنا أن نكون طاهرين في بواطننا وظواهرنا: فلا فرق عندنا بين السر والعلن.
4. يريدنا أن نحذر من النفاق: فإن من علامات المنافقين الغل على المؤمنين.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

1. درس: الحقد مرض قلبي مهلك.

· التطبيق العملي: إذا غضبت من أحد المؤمنين، لا تنم وفي قلبك شيء عليه. سامحه قبل النوم، ولو بأن تقول: "اللهم إني عفوت عنه".

2. درس: ترك إظهار العداوة لا يعني زوالها.

· التطبيق العملي: لا تكتفِ بإخفاء كراهيتك للناس، بل استأصلها من جذورها بالدعاء لهم والتواصل معهم.

3. درس: الله عليم بذات الصدور.

· التطبيق العملي: في كل خلوة، تذكر أن الله مطلع على قلبك، فيستحيي قلبك أن يكون فيه شيء يكرهه الله.

4. درس: لا يغتر المنافق بستره.

· التطبيق العملي: عامل الناس بظاهرك، لكن اعلم أن باطنك هو ما سيحاسبك الله عليه. أصلح بواطنك.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن الأمن من الفضيحة لا يكون إلا بصلاح السريرة: في العمل، في العلاقات الزوجية، في التعامل مع الجيران، لا تفعل سرًا ما تخجل من إعلانه، لأن الله سيخرجه.
· تعلمنا أن تشخيص أمراض القلوب واجب شرعي: فالآية تذكرنا بأن مرض القلب (الأضغان) حقيقة واقعة، وعلينا أن نبحث في أنفسنا عنها لنعالجها.
· تعلمنا أن المجتمع السليم هو المجتمع الخالي من الغل: قلوب مترابطة متحابة، لا تخفي أحقادًا. هذا المجتمع يستحق النصر.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

1. مفهوم (المصارحة القلبية): يبني إنسانًا صريحًا مع نفسه ومع الله، فيرتاح ضميره.
2. مفهوم (طرد الغل): يبني مجتمعًا متماسكًا، فالغل هو أول خيوط التفكك.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

1. مفهوم (الصحة النفسية بالعفو): يبني نفسًا سليمة من الضغائن التي تسبب التوتر والاكتئاب.
2. مفهوم (الخوف من الفضيحة): يبني رادعًا نفسيًا داخليًا يمنع من النوايا السيئة.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

1. مفهوم (الشفافية الروحية): يبني فكرًا يرى أن صلاح الباطن هو معيار الفلاح.
2. مفهوم (قانون كشف المستور): يبني عقلا ً يدرك أن للكون نظامًا أخلاقيًا يفضح المنافقين.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع يربي أفراده على إخراج الغل من قلوبهم، وعلى الشفافية، هو مجتمع قوي الجبهة الداخلية، لا مكان فيه للخونة، لأن الخيانة لا تنمو في تربة القلوب النقية.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

1. البعد الإيماني: الآية تزرع يقينًا راسخًا بأن الله عليم بما في الصدور، وأنه يمهل ولا يهمل، وهذا يجعل المؤمن يعيش في حالة من المراقبة الدائمة.
2. البعد النفسي التربوي: الأضغان مدمرة للنفس. والآية بتحذيرها من إخفائها، تدعو إلى ثقافة "التسامح" كقيمة إسلامية عليا.
3. البعد الاجتماعي: فضح المنافقين وإخراج أضغانهم هو صمام أمان للمجتمع المسلم، حتى لا يندس بينهم من يطعنهم من الخلف.
4. البعد السياسي والأمني: معرفة المنافقين ضرورة لحماية الأمة. والآية تشير إلى أن الله سيمكن المؤمنين من كشفهم عبر علامات (لحن القول مثلا ً).

رسالة ختامية للآية (29):

يا من تقرأ هذه الآية، طهر قلبك من الغل. لا يكن في صدرك حقد على مسلم، فإن الحقد داء، ودواؤه العفو والدعاء. تذكر أن الله سيخرج أضغانك إن بقيت في صدرك، إما في الدنيا فضيحة، وإما في الآخرة ندامة. فبادر اليوم، واغسل قلبك بماء المحبة لإخوانك. اللهم أخرج من قلوبنا كل غل، واجعلنا متحابين فيك، طاهرين من كل ضغن وحسد.

المبحث الثاني

تفسير الآية (30) من سورة محمد

التمهيد للآية (30):

بعد أن بينت الآية السابقة أن المنافقين ظنوا أن الله لن يخرج أضغانهم، تأتي هذه الآية لتوضح جانبًا من كيفية إخراج هذه الأضغان وفضحهم. إنها تكشف أن الله قادر على تمييزهم بل ومعرفة علا ماتهم الظاهرة التي تدل على نفاقهم. فهم لا يستطيعون إخفاء حقيقتهم إلى الأبد؛ لأن في منطقهم وأسلوب كلامهم ما يفضحهم، وهو ما يسمى "لحن القول". ولو شاء الله لأخبر النبي ﷺ بأسمائهم صراحة، ولكنه ترك الأمر للتمييز بالعلامات. إنها آية تعلم المؤمنين "علم الفراسة" في التعامل مع المنافقين، وتطمئنهم بأنهم قادرون على كشفهم بإذن الله.

تفسير الآية (30)

قال تعالى:
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ولو نشاء -يا محمد- لأريناك أشخاص المنافقين بأعيانهم، فعرفتهم بعلاماتهم الظاهرة في وجوههم وهيئاتهم. ولكن لم نشأ ذلك رحمة بهم لسترنا عليهم، واختبارًا للمؤمنين. ومع ذلك، فإنك ستعرفهم حتمًا من خلال أسلوب كلامهم وما يوحي به من معانٍ خبيثة، وهو ما يسمى "لحن القول". ثم تختم الآية بتذكير الجميع: والله يعلم أعمالكم كلها، خيرها وشرها، فيجازيكم بها.

مقاصد وأهداف الآية:

1. بيان قدرة الله المطلقة على كشف المنافقين.
2. تعليم النبي والمؤمنين علامات يعرفون بها المنافقين.
3. التركيز على "لحن القول" كأداة تحليل نفسي واجتماعي.
4. التذكير بعلم الله الشامل بالأعمال.
5. التحذير من النفاق: فصاحبه ينكشف ولو بعد حين.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ" – تعليق التشريف بالمشيئة

1. دلالة "وَلَوْ"
"لو" حرف امتناع لامتناع. تفيد أن الله لم يشأ أن يريهم للنبي ﷺ بأعيانهم، فلم يعرفهم بسيماهم المباشرة. وهذا من حكمته.

2. دلالة "نَشَاءُ"
نسبة المشيئة إلى الله وحده. فالأمر راجع إليه سبحانه. وعدم مشيئته ذلك كان سترًا على المنافقين، ورحمة بهم لعلهم يتوبون.

3. دلالة "لَأَرَيْنَاكَهُمْ"
أي: لعرفناك بهم وبأعيانهم واحدًا واحدًا. وهذا دليل قدرة الله.

4. دلالة "فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ"

· "لَعَرَفْتَهُم": لأدركتهم وتميزتهم.
· "بِسِيمَاهُمْ": السيمياء: العلامات والهيئات الظاهرة في الوجوه. أي: لكانت تظهر عليهم علامات كعلامة في وجوههم يعرفون بها كشفًا مباشرًا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الطبيب الماهر: طبيب ينظر للمريض فيعرف مرضه من سيماء وجهه. الله لو شاء لأعطى النبي ﷺ قدرة على رؤية النفاق في الوجوه مباشرة.
· مثال الأب لأبنائه: أب يعرف إذا كان ابنه يكذب من نظرة عينه وهيئة وجهه. السيمياء علامات.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: الحمد لله على ستره علينا. فلو شاء لفضحنا بسيما نفاقنا أو ذنوبنا.
· عمليًا: لا تحاول أن تقرأ النوايا في الوجوه دائمًا (فهذا عِلمه لله)، ولكن تعلم من الفراسة الإيمانية أن للأعمال علامات.

المحور الثاني: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" – أداة الكشف المتاحة

1. دلالة الواو واللام والنون في "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ"

· الواو: للاستئناف.
· اللام: لام القسم، تفيد توكيد الخبر، كأن فيه قسمًا مقدّرًا: "والله لتعرفنهم".
· النون: نون التوكيد الثقيلة. فالخبر مؤكد توكيدًا عظيمًا. أي: ستعرفهم حتمًا وبلا شك بهذه الطريقة.

2. دلالة "لَحْنِ الْقَوْلِ"

· اللحن: في اللغة: هو الميل عن الصواب. وفي الاصطلاح: هو الفهم الثاقب، والمعنى المفهوم من فحوى الكلام وإشاراته، لا من صريحه. "لحن القول" هو النبرة، والإشارة، والتعريض، والمنطق الذي يوحي بالحقيقة.
· كيف يعرف النبي ﷺ المنافقين بلحن القول؟
  · من كلامهم المعوج، الذي فيه تعريض بالمسلمين وطعن في الدين.
  · من أسلوبهم: كأن يتكلموا بكلام فيه تردد، أو تلعثم، أو استهزاء خفي.
  · من معاريض كلامهم التي تخفي تحتها الكفر والنفاق. مثال: كلامهم الذي حكاه القرآن: "ماذا قال آنفًا"، "لا تنفقوا على من عند رسول الله".

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال ضابط الشرطة مع مجرم: ضابط يسمع حديث مجرم، فيقول: "أنا أعرف أنك تكذب من طريقة كلامك، ومن تناقضك". هذا هو "لحن القول".
· مثال المعلم مع الطالب: طالب يسرق كلامًا من آخر، لكن أستاذه يعرف أنه ليس كلامه من لحن القول وأسلوب التعبير.
· مثال الزوجة الذكية: امرأة تسمع حديث زوجها، فتعرف أنه يخفي شيئًا من نبرة صوته وطريقة كلا مه. هذا لحن القول.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: احذر من كلامك. الناس قد يعرفون حقيقتك من "لحن قولك" ولو حاولت إخفاءها.
· عمليًا: كن واضحًا وصريحًا، ولا تكن من ذوي اللسانين. تكلم بكلام مستقيم لا عوج فيه، حتى لا يشتبه في أمرك.

المحور الثالث: "وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ" – ختام مهيب بعلم الله

1. دلالة "وَاللَّهُ يَعْلَمُ"
تقديم لفظ الجلالة، والجملة الاسمية للثبات. الله يعلم الظاهر والباطن، وما هو أخفى من لحن القول.

2. دلالة "أَعْمَالَكُمْ"
جمع عمل، ليشمل كل صغيرة وكبيرة. والخطاب للجميع: للمؤمنين والمنافقين. فالله يعلم أعمال المنافقين فيفضحهم، ويعلم أعمال المؤمنين فيجزيهم. وفيه وعيد للمنافقين ووعد للمؤمنين.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال كاميرا المراقبة: شركة وضعت كاميرات مراقبة، وكتبت لافتة: "المبنى مراقب بالكاميرات". الموظفون يعرفون أن مديرهم يعلم تحركاتهم. هذا بعض معنى: "والله يعلم أعمالكم".
· مثال السجل الكامل: جهة حكومية لديها سجل كامل بكل تصرفاتك المالية والإدارية. الله لديه سجل مطلق بكل أعمال القلب والجوارح.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذه الآية تجعلك في مراقبة دائمة. أعمالك مسجلة ومرئية. فلا تقدم إلا على خير.
· عمليًا: استحضر أن عملك هذا (الذي تفعله الآن) يعلمه الله، واجعله خالصًا لوجهه.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "لَأَرَيْنَاكَهُمْ":
· محاسبة النفس: الحمد لله الذي ستر على كثير منا. لكن الستر في الدنيا لا يعني النجاة في الآ خرة.
· التطبيق العملي: لا تغتر بستر الله عليك، واشكره بالاستحياء من معصيته.
· في دائرة "فِي لَحْنِ الْقَوْلِ":
· محاسبة النفس: هل في كلامي تعريض أو استهزاء بالدين وأهله؟ راجع ألفاظك.
· التطبيق العملي: تدرب على الاستماع الواعي للناس. تعلم "الفراسة" من كلامهم، لتميز الصادق من الكاذب، ولكن لا تتجسس على النوايا.
· في دائرة "وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ":
· محاسبة النفس: قبل كل عمل، اسأل نفسك: هل سأفرح أن يرى الله هذا العمل في صحيفتي؟
· التطبيق العملي: اكتب في مفكرة "أعمال اليوم" التي ترجو أن تكون خالصة، وراقبها، وأخلصها لله.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

1. يريدنا أن نكون حذرين من المنافقين: دون تطير أو تجسس، ولكن بوعي وفطنة.
2. يريدنا أن ننتبه إلى "لحن القول": في كلامنا (لنصلحه)، وفي كلام غيرنا (لنحذر من الخبيث).
3. يريدنا أن نوقن بأن أعمالنا بعلم الله: فنراقبه في السر والعلن.
4. يريدنا أن نشكر الله على ستره: وألا نجعل الستر سببًا للاستمرار في الباطل.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

1. درس: للحقيقة لغز لا يخفى.

· التطبيق العملي: لا تتعامل مع الناس بحسن نية مطلق، ولا بسوء ظن مطلق، بل بفراسة المؤمن: استمع للحن القول، واقرن ذلك بالتثبت.

2. درس: الكلام يكشف صاحبه.

· التطبيق العملي: انتبه لألفاظك في كل مكان. هل تحمل معاني طيبة؟ هل فيها سخرية خفية؟ طهر لسانك.

3. درس: الستر الإلهي نعمة.

· التطبيق العملي: كلما تذكرت ذنبًا ستره الله عليك، فزد من استغفارك وشكرك. وقل: "لولا سترك لا فتضحنا".

4. درس: العلم الإلهي يشمل كل شيء.

· التطبيق العملي: عند كل عمل، ضع نصب عينيك أن الله يراه. هذا يحول كل أعمالك إلى عبادة.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· في الحوار والنقاش: تعلمنا ألا ننخدع بالكلام المنمق، فربما كان تحته "لحن" خبيث. استمع بعقلك، لا بأذنك فقط.
· في التربية: علم أبناءك أن يكونوا صريحين، لا ذوي وجهين. وأن الله يعلم أعمالهم حتى لو لم يرهم أحد.
· في الأمن والاستخبارات: الآية تؤسس لعلم "تحليل الخطاب" لكشف المتآمرين من خلال كلامهم، وهذا أساس في مكافحة التجسس والتخريب.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

1. مفهوم (تحليل الخطاب): يبني إنسانًا قارئًا ما وراء الكلمات، وهذا ضروري للإعلاميين والقادة و المحللين.
2. مفهوم (الشفافية): يبني مجتمعًا أفراده صرحاء، لا يخفون خبثًا وراء ألفاظ معسولة.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

1. مفهوم (الفراسة الإيمانية): يبني نفسًا يقظة، تفرق بين البريء والمذنب دون إساءة ظن.
2. مفهوم (الرقابة الذاتية الإلهية): يبني رادعًا نفسيًا قويًا.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

1. مفهوم (علم العلامات): يبني عقلا ً يبحث عن المؤشرات والدلالات لفهم الواقع.
2. مفهوم (شمولية العلم الإلهي): يبني فكرًا يؤسس العلم والمعرفة على أساس أن الله هو العليم.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع يعرف أفراده كيف يستمعون "للحن القول"، ويراقبون أنفسهم بعلم الله، هو مجتمع محصن ضد الاختراقات الفكرية والأمنية، وهو مجتمع شفاف يبني حضارة على الصدق.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

1. البعد البلاغي والنفسي: "لحن القول" مصطلح قرآني عميق في تحليل الشخصية. إنه يفتح أفق "سيكولوجية الكلام" حيث يمكن تحليل المعتقدات والنوايا من خلال الأسلوب والنبرة والتعريض.
2. البعد الأمني: الآية تعطي ضوءًا أخضر لتطوير أدوات لكشف العملاء والمندسين من خلال تحليل خطابهم وكلامهم، وهذا من فقه الواقع الذي يؤسسه القرآن.
3. البعد التربوي: في تربية الناشئة، يجب أن نعلمهم أن "الصوت" و"النبرة" أمانة، فلا يستعملونها في استهزاء أو كذب، لأن الله يعلم أعمالهم، والناس ستعرفهم بلحن القول.
4. البعد الإعلامي: إعلام العصر يعتمد على تحليل "لحن القول" في تصريحات الساسة والقادة. الآية تعطي قيمة شرعية لهذا العلم.

رسالة ختامية للآية (30):

يا من تتكلم، راقب كلامك. إن في نبرتك، في أسلوبك، في تعريضك، ما يمكن أن يفضح حقيقة قلبك. واعلم أن الله يعلم أعمالك كلها، فاجعل سريرتك كعلانيتك، وعلانيتك خيرًا من سريرتك. كن صريحًا، طاهر اللسان، سليم الصدر، حتى إذا عرفك الناس بلحن قولك، عرفوا فيك الصدق لا النفاق. اللهم طهر ألسنتنا من الغش، واجعل لحن قولنا صدقًا وحقًا.

المبحث الثالث
تفسير الآية (31) من سورة محمد

التمهيد للآية (31):

بعد أن كشفت الآيتان السابقتان عن مرض الغل في قلوب المنافقين، وعن أداة كشفهم وهي "لحن القول"، تأتي هذه الآية لتخبر عن القانون الإلهي الذي يحكم هذا الوجود: قانون الابتلاء والتمحيص. فالله تعالى لا يكتفي بدعاوى الإيمان باللسان، بل لا بد من اختبار عملي يُظهر الصادق والمخلص من المنافق الكاذب. إنها الآية التي تعلن أن الجهاد والتكاليف الشرعية هي الميدان الذي تظهر فيه حقائق القلوب، وأن الصبر على هذا الابتلاء هو ثمن التمييز. الآية تختم المقطع بتأكيد أن الله لن يضيع إيمان المؤمنين ولن يخذلهم.

تفسير الآية (31)

قال تعالى:
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

يقسم الله تعالى ويؤكد أنه سيختبرن المؤمنين ويكلفنهم بالجهاد والمشاق، ليتميز الذين يجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم، والذين يصبرون على هذه التكاليف، من المتقاعسين والمتكاسلين. والغاية هي أن يظهر علم الله في الواقع المشهود، فيقوم الحجة على الناس. كما أن في هذا الابتلاء اختبارًا لأعمالهم وأخبارهم، ليظهر ما يعلنونه من طاعة أو عصيان، وليتم الجزاء على أساس ما وقع منهم فعلا

.1

مقاصد وأهداف الآية:

1. إعلان سنة الابتلاء الإلهية: فلا بد من اختبار لتمييز الصفوف.
2. التمييز بين المجاهدين والصابرين وبين المنافقين والمتقاعسين.
3. الحث على الجهاد والصبر: لأنهما ميدان إثبات الإيمان.
4. تثبيت المؤمنين: بأن الله مطلع على جهادهم وصبرهم، ولن يضيع أجرهم.
5. تحذير المنافقين: بأنهم سيفتضحون في ميدان الاختبار.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "وَلَنَبْلُوَنّكمْ" – قسم وتأكيد بالاختبار

1. دلالة الواو
واو القسم. الجملة فيها قسم مقدر، والتقدير: "والله لنبلونكم". فالأمر مؤكد بالقسم.

2. دلالة "لَنَبْلُوَنّكمْ"

· اللام: لام القسم.
· النون: نون التوكيد الثقيلة الدالة على عظيم التوكيد.
· "نبلو": من البلاء، وهو الاختبار. الاختبار ليعلم الحال ويظهر.
· المعنى: سنعاملكم معاملة المختبر الممتحن، بالتكاليف الشاقة، بالجهاد، بالمصائب، لنرى كيف تعملون.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المدرسة: مدير مدرسة يعلن في بداية العام: "والله لنمتحنكم، حتى نعرف المتفوقين من المقصرين". هذا هو إعلان سنة الابتلاء.
· مثال المصنع: صاحب مصنع يضع بضاعته تحت اختبارات ضغط وحرارة، ليعرف الجيد من الرديء.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: استعد. أنت في دار بلاء. لا تظن أن الإيمان كلمة تقال، بل هو جهاد وصبر.
· عمليًا: توقع الاختبار في أي لحظة. قل دائمًا: "اللّهم أعنا على بلائك".

المحور الثاني: "حَتّىٰ نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنكمْ وَالصّابِرِينَ" – غاية الابتلاء الأولى (تمييز المخلصين)

1. دلالة "حَتّىٰ"
غاية للابتلاء. أي: يستمر بنا الاختبار إلى أن يتحقق هذا الهدف.

2. دلالة "نَعْلَمَ"
العلم هنا: علم ظهور ووقوع، لا علم غيب. فالله كان عالمًا أزلا ً بمن سيجاهد ويصبر، لكنه يريد أن يظهر ذلك في الواقع، ليكون حجة على العباد، وليستحقوا الثواب عليه.

3. دلالة "المُجَاهِدِينَ مِنكمْ"

· المجاهدين: الذين يبذلون الجهد في سبيل الله، بالقتال بالمال والنفس، وبكل أنواع الجهاد.
· "منكم": للتبعيض. أي: لنميز هؤلاء من بين عمومكم.

4. دلالة "وَالصّابِرِينَ"
عطف خاص بعد عام. فكل مجاهد لا بد له من صبر. لكن خص الصابرين بالذكر تعظيمًا لشأن الصبر، وتأكيدًا على أن الجهاد يحتاج صبرًا عظيمًا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المدرب الرياضي: مدرب يعلن: "سنستمر في التدريبات الشاقة حتى نعرف من يستحق أن يكون في الفريق الأول". "المجاهدين" هم من يبذلون أقصى جهد، و"الصابرين" هم من يتحملون الألم ويكملون.
· مثال الحرب: قائد الجيش يقول: "سنستمر في المعركة حتى نعرف الرجال الصادقين الذين يصبرون على القتال".

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: اسأل نفسك: هل أنا من المجاهدين بعملي ومالي، أم من المتقاعدين؟ هل أنا من الصابرين على البلاء، أم من الجازعين؟
· عمليًا: اختر كل يوم "جهادًا" (مجاهدة نفس على شهوة، صدقة مال، جهاد لسان في أمر بمعروف)، واصبر على مشقته.

المحور الثالث: "وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ" – غاية الابتلاء الثانية (ظهور الحقائق في الأعمال والأقوال)

1. دلالة "وَنَبْلُوَ"
عطف على "لنبلونكم". أي: ولنختبرن أيضًا أخباركم. وهذا تأكيد إضافي.

2. دلالة "أَخْبَارَكُمْ"
جمع خبر. و"الخبر" هو ما يخبر به الإنسان عن نفسه، أو ما يخبره به غيره.

· المعنى الأول: سنبلو أخباركم التي تعلنونها بألسنتكم، لنرى هل تطابقها أفعالكم. (كمن يقول: أنا مؤمن، أنا مجاهد. فيظهر البلاء صدقه من كذبه).
· المعنى الثاني: سنبلو أعمالكم، فالأعمال هي أخبار الإنسان في الواقع. سنظهرها ونمتحنها.
· المعنى الثالث: سنبلو ما سينقله الناس عنكم من أخبار سيرتكم، لتظهر سيرتكم الحسنة أو السيئة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال السيرة الذاتية: شخص يتقدم لوظيفة، ويقدم سيرة ذاتية مليئة بالإنجازات (أخباره). صاحب العمل يختبره في فترة تجربة "لتبلو أخباره": هل هو حقًا كما قال؟
· مثال الإعلام: أمة تعلن أنها أمة العدالة. الابتلاءات (حروب، كوارث) تبلو أخبارها، وتظهر هل هي كذلك حقًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: لا تعش على أخبار كاذبة عن نفسك. البلاء سيظهر حقيقتك. فكن صادقًا من البداية.
· عمليًا: طابق بين سريرتك وعلانيتك. إذا ادعيت شيئًا، فأثبته بفعلك.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ":
  · محاسبة النفس: هل أتوقع أن تمر حياتي بلا بلاء؟ هذا خلاف سنة الله.
  · التطبيق العملي: استعد نفسيًا للبلاء قبل وقوعه. ادعُ الله أن يجعل البلاء رفعة لا عقوبة.
· في دائرة "حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ":
  · محاسبة النفس: ما هو جهادي اليومي؟ هل أجاهد نفسي؟ هل أنا من المجاهدين؟
  · التطبيق العملي: ابدأ مشروع "الجهاد اليومي": عبادة واحدة تجاهد نفسك عليها أسبوعيًا (قيام ليل ، حفظ قرآن، تدبر).
· في دائرة "وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ":
  · محاسبة النفس: هل أخباري (كلامي عن نفسي) تطابق حالي؟ هل أنا صادق فيما أقول؟
  · التطبيق العملي: قلل من حديثك عن نفسك وإنجازاتك، واجعل أفعالك تتحدث. ولا تقل: "أنا صابر"

، حتى يأتي البلاء فتصبر.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

1. يريدنا أن نوقن بأن الابتلاء سنة ماضية: فلا نجزع منه، بل نستعد له.
2. يريدنا أن نثبت عند الابتلاء: لنكون من المجاهدين والصابرين الذين يميزهم الله.
3. يريدنا أن نطابق بين أقوالنا وأفعالنا: فلا تكون أخبارنا كاذبة.
4. يريدنا أن نجاهد وصابرًا على الجهاد: فهو السبيل الوحيد لإثبات الإيمان.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

1. درس: الابتلاء حتمي.

· التطبيق العملي: لا تشكُ من البلاء، بل استثمره. قل عند المصيبة: "اللّهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها".

2. درس: الجهاد والصبر هما ميزان الصدق.

· التطبيق العملي: في كل تحدٍ، قل لنفسك: "هذا اختبار من الله ليرى هل أنا من المجاهدين الصابرين". هذا يهون البلاء.

3. درس: الأعمال هي التي تتحدث.

· التطبيق العملي: لا تفتخر بكلامك، بل استح أن تقول ما لا تفعل. واجعل شعارك: "اعملوا فسنبلو أخباركم".

4. درس: الصفوف تتمحص.

· التطبيق العملي: لا تحزن إن رأيت المنافقين ينسلون من الصف عند الجد. هذا هو التمحيص، وهو خير للأمة.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· في القيادة والإدارة: القائد الناجح يعرف أن يختبر جنوده بالمهام الصعبة ليظهر المخلص من المتقاعس. هذه الآية أصل عظيم في "إدارة الموارد البشرية".
· في التربية: لا تمدح ابنك على كلامه، بل اختبره بمواقف عملية. هل يدعي الصدق؟ اختبره بموقف يكذب فيه إن كان كاذبًا.
· في العلاقات: الأصدقاء وقت الضيق. البلاء يبلو أخبار الأصدقاء، فيظهر الصديق الوفي من صديق المصالح.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

1. مفهوم (الاختبار كفرصة): يبني إنسانًا إيجابيًا، يرى في كل تحدي فرصة لإثبات جدارته.
2. مفهوم (تمحيص الصفوف): يبني مجتمعًا قويًا، لأنه يفرز المخلصين ويبعد المنافقين عن مواقع التأثير.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

1. مفهوم (الصبر كقوة نفسية): يبني نفسًا تتحمل المشاق ولا تنهار.
2. مفهوم (الجهاد كتعبير عن الإيمان): يبني نفسًا تشعر بقيمتها عندما تضحي.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

1. مفهوم (الابتلاء قانون كوني): يبني عقلا ً لا يخدع بالراحة، بل يفهم أن الدنيا دار اختبار.
2. مفهوم (صدق الخبر بالعمل): يبني فكرًا علميًا، لا يقبل الدعاوى بلا برهان.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
حضارة تقوم على أفراد اختبرتهم الشدائد فأخلصوا، وتمحصوا فصاروا كالذهب، هذه الحضارة لا تنهزم، لأنها قامت على الصادقين المجاهدين الصابرين.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

1. البعد التاريخي والسنني: الآية تقرر قانون الابتلاء في الأمم. كل أمة أرادت التمكين، لا بد أن تمر بمخاض الابتلاء. هذا يعطي المؤمنين رؤية تاريخية عند قراءة الأحداث.
2. البعد التربوي العملي: الآية تعلم منهجية التربية الإيمانية: لا تعتمد على الكلام، بل اختبر بالعمل. وهذا ينطبق على التربية الأسرية والمدرسية.
3. البعد المصيري: الابتلاء هنا هو الذي يحدد المصير في الآخرة. فالتمييز في الدنيا تمهيد للجزاء في الآخرة. الآية تربط الدنيا بالآخرة في قانون واحد.
4. البعد الاستراتيجي للأمة: الأمة التي تريد النصر، عليها أن تقدم المجاهدين والصابرين. والابتلاء هو الآلية التي تفرز القادة الحقيقيين من أدعياء القيادة.

رسالة ختامية للآية (31) وللآيات الثلاث مجتمعة:

يا من تدعي الإيمان، استعد للاختبار. ستُبتلى، وسيظهر في الامتحان هل أنت من المجاهدين الصابرين، أم من المتقاعسين الجازعين. سيبلو الله أخبارك، وسيرى الناس حقيقتك في أفعالك لا في كلامك. لا تخف من البلاء، بل اطلبه ليظهر صدقك. كن كالذهب، كلما دخل النار ازداد نقاءً. واعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً، ولا يخذل من صدق إيمانه. اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واجعلنا من المجاهدين الصابرين، واجعل أخبارنا صادقة، وأعمالنا مقبولة.ء.

المقطع الثالث
اولا
نواصل الرحلة في رحاب سورة محمد، ونتأمل آية عظيمة تفضح حقيقة الكافرين المعاندين، وتبين عاقبة صدهم عن سبيل الله ومشاقتهم للرسول بعد وضوح الحق و .إليك تفسير الآية (32)
التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن كشفت الآيات السابقة عن أحوال المنافقين، وأمراض قلوبهم من الغل والحقد، وعن إحباط أعمالهم بسبب اتباعهم ما أسخط الله وكراهيتهم لرضوانه، ثم انتقلت إلى قانون الابتلاء والتمحيص الإ لهي ليظهر المجاهدون والصابرون، تأتي هذه الآية لتنتقل إلى فئة أخرى شديدة العداوة للإسلام، وهم الكفار المعاندون الذين لم يكتفوا بكفرهم، بل تجاوزوه إلى صد الناس عن دين الله، ونصب العداوة العلنية للرسول ﷺ من بعد ما تبين لهم أنه الحق.

الآية تعلن حكمًا قاطعًا: إن هؤلاء لن يضروا الله شيئًا بفعلهم، بل يضرون أنفسهم، وسيكون مصير أعمالهم التي يظنونها نافعة) كأعمال البر والصد عن الحق (هو الإحباط التام .إنها آية تطمئن المؤمنين بأن كيد الكافرين لن ينال من دين الله، وتتوعد الكافرين بأن سعيهم سيذهب سدى.

تفسير الآية(32)

قال تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

يخبر الله تعالى مؤكدًا أن الذين جحدوا الحق واستمروا على الكفر، ولم يكتفوا بذلك بل منعوا غيرهم عن الدخول في دين الله، وأعلنوا العداوة والمخالفة للرسول ﷺ وحاربوه، كل ذلك من بعد ما وضح لهم أن ما جاء به هو الحق الذي لا مرية فيه؛ هؤلاء لن يضروا الله شيئًا بكفرهم وصدهم ومشاقتهم، فالذي يتضرر هو أنفسهم .وفي المستقبل القريب، سيُبطل الله ثواب أعمالهم ويحبط مساعيهم، فلا ينتفعون بشيء مما عملوه في الدنيا، وستكون أعمالهم كالهباء المنثور.

مقاصد وأهداف الآية:

1.بيان شناعة جريمة الصد عن سبيل الله ومشاقة الرسول.
2.تأكيد أن الله غني عن العالمين، لا تضره معصية العاصين.
3.تطمين المؤمنين بأن كيد أعداء الدين لن يؤثر في ملك الله.
4.الوعيد الشديد للكافرين المعاندين بإحباط أعمالهم وخسرانهم.
5.تعليم المؤمنين الثقة بالله وعدم الخوف من قوة الكافرين.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ" – وصف الجريمة المثلثة

1.دلالة "إِنَّ"
"إِنَّ" للتوكيد .فخبر الآية مؤكد لا شك فيه، مما يلفت الانتباه إلى خطورة ما سيأتي من وصف وعقوبة.

2.دلالة "كَفَرُوا"
أي جحدوا وحدانية الله، وكذبوا بالرسول والقرآن .الكفر هنا هو الجريمة الأولى.

3.دلالة "وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ" – الجريمة الثانية) المتعدية(

· "صدوا": أي منعوا وأعرضوا، وصدوا غيرهم .فالهمزة للتعدية .هم لم يكتفوا بكفرهم، بل صاروا سدًا

مانعًا في طريق غيرهم إلى الإسلام.
· "عن سبيل الله": هو دين الإسلام والقرآن .وصدهم عنه يكون بـ: القول) كالدعاية المضادة(، أو بـ الفعل) كتعذيب المستضعفين ليرجعوا عن دينهم(، أو بمنعهم من سماع القرآن.

.4دلالة "وَشَاقّوا الرّسُولَ" – الجريمة الثالثة) العداء العلني(

· "شاقوا": من المشاقة، وهي المخالفة والعداوة والمحاربة .وأصلها من "الشق"، فكأن كل واحد من الفريقين صار في شق غير شق الآخر .هم أعلنوا الحرب على النبي ﷺ، وخالفوه في كل ما جاء به، ونصبوا له العداء.

.5تدرج الجرائم في الآية
الآية تصف الجرائم بتدرج عجيب:

· بدأوا بـ"كفروا": جريمة قلبية.
· ثم "وصدوا": جريمة متعدية للغير.
· ثم "وشاقوا الرسول": الجريمة العظمى، وهي العداوة العلنية للرسول ومحاربته.
فهذا التدرج يصور تصاعد الشر فيهم.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال في عالم الجريمة: مجرم يقتل) كفروا(، ثم يمنع الشرطة من الوصول لمسرح الجريمة) وصدوا(، ثم يعلن الحرب على الدولة كلها) شاقوا الرسول .(هذا أخطر المجرمين.
· مثال الطالب المعاند: طالب يرسب) كفروا(، ثم يمنع زملاءه من النجاح) صدوا(، ثم يعتدي على المعلم ويشتمه) شاقوا الرسول.(

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تدبر هذا التدرج .الذنب يبدأ صغيرًا في القلب، ثم يتحول إلى سلوك، ثم يصبح حربًا على الله .فاحذر بدايات المعاصي.
· عمليًا: إذا رأيت نفسك لا تكتفي بذنبك، بل تشجع غيرك عليه، فاعلم أنك تسلك سبيل هؤلاء .تب فورًا وارحم نفسك وغيرك.

المحور الثاني: "مِن بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُمُ الهُدَى" – تفخيم الجريمة وتشديدها

.1دلالة "مِن بَعْدِ"
تفيد أن كل هذه الجرائم وقعت في وقت كان ينبغي أن يكونوا فيه في قمة الإيمان ."من بعد" تدل على المفارقة الزمنية العجيبة: الحق ظهر، ثم أعرضوا.

.2دلالة "تَبَيّنَ"
التبين: هو الوضوح التام الذي لا شك فيه .لم يكن الهدى خافيًا عليهم، ولا كانوا في شبهة، بل اتضح لهم أنه الحق .وهذا يغلق عليهم باب العذر.

.3دلالة "الهُدَى"
الهدى هنا: هو الإسلام، والقرآن، ومعجزات النبي ﷺ .فما جاء به النبي هو الهدى بعينه.

.4المغزى من هذه الجملة
ذكر هذه الجملة بعد تعداد الجرائم يجعلها أشنع .فكونهم كفروا وصدوا وشاقوا "من بعد ما تبين لهم الهدى" يعني أنهم فعلوا ذلك عن علم وعمد، لا عن جهل أو تأويل .وهذه هي حال من يبلغه الحق فيعاند.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال مريض الأطباء: مريض ذهب لأفضل الأطباء، وشُخِص مرضه بدقة، ووُصف له الدواء، ثم رمى الدواء عمدًا .هذا "من بعد ما تبين له الهدى".

· مثال شاهد العيان: شخص رأى بأم عينيه الحقيقة، ثم شهد في المحكمة بخلافها .هذا هو الكفر بعد البيان.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: خف من أن تصل إلى هذه الحالة .اسأل الله دائمًا أن يرزقك اتباع الهدى بعد معرفته.
· عمليًا: إذا علمت حقًا، فلا تسوّف في العمل به .فالعلم حجة لك أو عليك.

المحور الثالث: "لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا" – إعلان عزة الله وغنى الرب

.1دلالة "لَن"
"لن" للنفي المؤبد في المستقبل .أي: لا يمكن لأحد أن يضر الله أبدًا.

.2دلالة "يَضُرُّوا اللهَ"
الضر: ضد النفع .الله هو الغني المطلق، لا ينفعه إيمان المؤمنين ولا يضره كفر الكافرين .هم يضرون أنفسهم فقط.

.3دلالة "شَيْئًا"
نكرة في سياق النفي، للدلالة على العموم .أي: لا يضرونه ضررًا ما، ولو كان شيئًا يسيرًا أو ضئيلا ً .
فلا تأثير لأعمالهم على الله أو دينه، فالله ناصر دينه ولو كره الكافرون.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال من ينفخ في الشمس: رجل يقف في الصباح وينفخ في قرص الشمس ليطفئه .هل يضر الشمس شيئًا؟ لا، بل يؤذي نفسه .هذا حال من يحارب الله.
· مثال الذرة في الجبل: ذرة تحاول هدم جبل .هل تضر الجبل؟ هذا أقل من تأثير الكافرين على ملك الله.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذه الجملة تمنح المؤمن عزة وثباتًا .أعداء الدين لن يضروا الله شيئًا، فثق بالله ولا تخفهم.
· عمليًا: لا تنشغل بحجم قوى الباطل، فهي لا تساوي شيئًا عند الله .انشغل بنصرتك أنت للدين.

المحور الرابع: "وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ" – النتيجة الحتمية والوعيد المستقبلي

.1دلالة السين في "وَسَيُحْبِطُ"
السين للاستقبال القريب، وهي تدل على تحقق الوقوع .أي: في المستقبل القريب سيبطل الله أعمالهم.

.2دلالة "يُحْبِطُ"
الإحباط: هو الإبطال والإفساد، وجعل الشيء يضيع سدى .الله سيبطل مساعيهم، ويجعلها عديمة الفائدة.

.3دلالة "أَعْمَالَهُمْ"
جمع عمل، ليشمل كل ما عملوه مما يظنونه نافعًا:

· أعمال البر التي عملوها في الجاهلية) كصدقة، صلة رحم، إكرام ضيف.(
· أعمالهم في الصد عن سبيل الله ومشاقة الرسول، التي يظنونها بطولة وحكمة، فإذا هي هباء.
· كل سعيهم في الدنيا سيذهب سدى، فلا ثواب لهم في الآخرة.

.4الفرق بين إحباط أعمال الكفار وإحباط أعمال المنافقين
في الآية (28) قال عن المنافقين: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ بصيغة الماضي، لأنهم أظهروا الإسلام وأعمالهم

حصلت في الإسلام فأحبطت .وهنا قال: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ بصيغة المستقبل، لأنهم كفار محضون، وأعمالهم ستحبط يوم القيامة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المهندس الفاسد: مهندس يبني عمارة بمهارة لهدف خبيث .ثم يأتي أمر هدم، فتنهار العمارة ويذهب تعبه كله .الكفار يبنون أعمالا ً لهدف خبيث، فيحبطها الله.
· مثال الكاتب المزور: كاتب كتب كتابًا عظيمًا في ألف صفحة لدعم الباطل، ثم تبين تزويره، فأتلف الكتاب كله .أعمالهم التي حسبوها مفيدة، ستصبح لا شيء.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذه الآية تجعل المؤمن يطمئن .مهما بدت قوة أعداء الدين، فعاقبة أعمالهم الإحباط.
· عمليًا: راجع أعمالك .هل تقوم على أساس الإيمان بالله ونصرة دينه؟ فإن لم تكن، فخطر عليها من الإحباط.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا":
· محاسبة النفس: هل أنا سبب في صد أحد عن دين الله؟ هل تنفر أخلاقي الناس عن الإسلام؟
· التطبيق العملي: كن داعية بأخلاقك .ليكن فعلك سببًا في دخول الناس في دين الله، لا سببًا في صدهم.
· في دائرة "مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى":
· محاسبة النفس: ما هي أحكام الإسلام التي تعلمتها بوضوح ولم أعمل بها؟
· التطبيق العملي: اكتب ثلاثة أحكام شرعية تعرفها بوضوح، واسأل نفسك: هل أنا مطبق لها؟ إن لم تكن، فابدأ فورًا.
· في دائرة "لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا":
· محاسبة النفس: عندما أرى قوى الباطل تطغى، هل يضعف يقيني بأنهم لن يضروا الله شيئًا؟
· التطبيق العملي: عند مشاهدة أخبار ظالمين، قل في قلبك: "لن يضروا الله شيئًا" .وتذكر أن العاقبة للتقوى.
· في دائرة "وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ":
· محاسبة النفس: ما هي الأعمال التي أخاف أن يحبطها الله مني؟) رياء، منة، أذى، كسب حرام.(
· التطبيق العملي: أخلص نيتك في كل عمل .قبل كل عمل، قل: "اللهم تقبل مني، وأخلصه لوجهك".

ثالثًا: واجب الوقت) ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟(

.1يريدنا أن نعرف عزة الله وغناءه المطلق: فلا نخاف من قوى الكفر، فهم لا يضرون الله شيئًا.
.2يريدنا أن نكون دعاة إلى الله، لا صادين عن سبيله: بأخلاقنا قبل ألسنتنا.
.3يريدنا أن نراجع أنفسنا عند معرفة الحق: فلا نكون ممن تبين لهم الهدى فشاقوا الرسول.
.4يريدنا أن نوقن بمصير الباطل: وهو الإحباط، ومصير الحق: وهو البقاء والثبات.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية) مع التطبيق العملي(

.1درس: كفر المعاند أشد من كفر الجاهل.

· التطبيق العملي: إذا كنت تعلم حكمًا شرعيًا، فلا تؤخر العمل به بحجة البحث .العلم يوجب العمل فورًا.

.2درس: الصد عن سبيل الله جريمة كبرى.

· التطبيق العملي: إياك أن تكون سببًا في إعراض أحد عن الصلاة أو الحجاب أو أي خير .كن مشجعًا ، لا مثبطًا.

.3درس: عزة المؤمن من عزة ربه.

· التطبيق العملي: لا تذل نفسك لأهل الباطل طمعًا في دنيا .أنت تنتسب لمن لا يضره شيء، فكن عزيزًا بدينك.

.4درس: أعمال الكفار مصيرها الإحباط.

· التطبيق العملي: لا تغبط الكافر على ما أوتي من مال أو جاه .سيراه هباءً منثورًا يوم القيامة . وابذل أنت لآخرتك ما يبقى.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن الأمنيات الباطلة لا تغير من الحق شيئًا: الكفار يريدون إطفاء نور الله، ولكن الله يقول: ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ .في حياتنا العملية، لا تيأس من إصلاح مجتمعك بحجة كثر المفسدين . المفسدون لا يضرون الله.
· تعلمنا أن المعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من العمل بها: وإلا كان صاحبها من جنس الذين تبين لهم الهدى فشاقوا الرسول .طبق ما تعلمت اليوم، ولا تؤجل.
· تعلمنا قيمة الجهاد باللسان والبيان: في مواجهة الذين يصدون عن سبيل الله .الآية تفضح الصادين، والمؤمن مطالب بكشف شبهاتهم ودعوة الناس إلى الله.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) غنى الله المطلق(: يبني إنسانًا حرًا لا يخاف في الحق لومة لائم .مجتمع حر لا يستعبده الطغاة.
.2مفهوم) إحباط الباطل(: يبني مجتمعًا يرفض الاستثمار في الباطل، ويعلم أن كل مشروع ضد الدين محكوم عليه بالإفلاس.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الأمن النفسي بقوة الله(: يبني نفسًا مطمئنة، لا تضعف أمام بطش الكافرين.
.2مفهوم) الاعتزاز بالانتماء للحق(: يبني نفسًا قوية لا تستمد عزتها من غير الله.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) بطلان المشاريع المعادية لله(: يبني عقلا ً يدرك أن أي حضارة تقوم على الكفر والصد عن سبيل الله، مصيرها الزوال.
.2مفهوم) قانون التبين والعمل(: يبني فكرًا علميًا يربط بين المعرفة والمسؤولية.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع يوقن بأن أعداءه لن يضروا الله شيئًا، وأن أعمالهم محبطة، هو مجتمع يتحرك بثقة لبناء حضارته، دون خوف من تهديدات الباطل، لأنه يملك وعد الله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد العقدي: ترسخ الآية عقيدة غنى الله المطلق .هذه العقيدة هي صمام أمان للمؤمن، فلا يظن أن لأحد قدرة على إضرار دين الله.

.2البعد النفسي: في عصر يكثر فيه الإعلام المضاد للإسلام، يجد المؤمن في هذه الآية درعًا نفسيًا؛ فأعداء الدين لن يضروا الله شيئًا، وما يبثونه سيذهب هباءً.
.3البعد الحضاري: تحذر الآية من بناء الحضارات على الصد عن سبيل الله ومشاقة الرسول .الحضارة الغربية المعاصرة التي قامت على العلمانية ومحاربة الدين، تحمل بذور فنائها، لأن الله سيحبط أعمالها التي تريد بها إطفاء نوره.
.4البعد الدعوي: الآية تعطي الدعاة ثقة بأن جهدهم في مواجهة الصادين عن سبيل الله لن يذهب سدى، وأن الباطل مهما بدا قويًا، فهو إلى زوال.

رسالة ختامية للآية(32) :

يا من تقرأ هذه الآية، انظر أين أنت من هذه الأوصاف .إياك أن تكون ممن عرف الحق فصده، أو تبين له الهدى فشاق الرسول .واعلم أن كل من يحارب هذا الدين، إنما يحارب نفسه، ولن يضر الله شيئًا .أعلنها في وجه الباطل: "لن تضروا الله شيئًا" .واجعل هذه الآية سلاحك: اعمل لدينك بثقة، واصبر على الأذى، واعلم أن أعمال أعدائك ستحبط، وعملك أنت سيبقى.

ثانيا

ننتقل إلى ثلاث آيات متلاحمة تعالج قضية الولاء والطاعة، وتحذر من إبطال الأعمال، وتبين عاقبة الكفر والعناد. إليك تفسير الآيات (33، 34، 35) بنفس المنهجية الشاملة والمفصلة، دون أي حذف أو اختصار.

التمهيد: موقع الآيات من سياق السورة

بعد أن كشفت الآية (32) عن حال الكافرين الذين صدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، وأعلنت أنهم لن يضروا الله شيئًا، وأن مصير أعمالهم الإحباط؛ تأتي هذه الآيات الثلا ث لتخاطب المؤمنين مباشرة، محذرة إياهم من أي سلوك قد يؤدي بهم إلى مشابهة أولئك الكافرين في مصير أعمالهم.

الآية (33) تفتتح بنداء إيماني عظيم: "يا أيها الذين آمنوا"، وتأمر بالطاعة المطلقة لله والرسول، وتنهى عن إبطال الأعمال التي هي رأس مال المؤمن. الآية (34) تعود لتأكيد مصير الكافرين الصادين، وتبين أن الموت على الكفر يغلق باب المغفرة إلى الأبد. ثم تأتي الآية (35) لتختم هذا المقطع بتحذير المؤمنين من الضعف والوهن والدعوة إلى السلم مع أعداء الدين من موقف ضعف، وتذكرهم بعلوهم بـ الإيمان. إنها ثلاثية تربوية: الحفاظ على العمل (33)، والحذر من مصير الكفار (34)، والثبات على العزة وعدم الوهن (35).

المبحث الأول

تفسير الآية (33) من سورة محمد

التمهيد للآية (33):

بعد الحديث عن الكافرين الصادين عن سبيل الله، يتوجه الخطاب مباشرة إلى المؤمنين. إنها الآية التي تحدد العلاقة بين الإيمان والعمل، وتكشف عن الخطر المستتر الذي قد يهدد المؤمن وهو لا يشعر: خطر إبطال الأعمال بعد إنجازها. وكأن السياق يقول: لا تنظروا إلى الكافرين وما أُعِدّ لهم من إحباط الأعمال، بل انظروا إلى أنفسكم، فقد تبطل أعمالكم إن لم تلتزموا بالطاعة المطلقة لله ورسوله. إنها آية جامعة بين الأمر والنهي، بين الإيجاب والسلب، لتشكل دستورًا عمليًا للنجاة.

تفسير الآية (33)

قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

ينادي الله تعالى عباده المؤمنين بخطاب تطييب لقلوبهم "يا أيها الذين آمنوا"، لأن الإيمان هو مقتضى

الطاعة، ثم يأمرهم بأمرين:
الأول: طاعة الله وطاعة رسوله طاعة مطلقة في كل ما أمرا به ونهيا عنه.
والثاني: ألا يبطلوا أعمالهم الصالحة التي عملوها، بارتكاب ما يزيل ثوابها ويحبط أجرها من المعاصي والكبائر، كالمن بالصدقة، والأذى، والرياء، ومخالفة أمر الله ورسوله.

مقاصد وأهداف الآية:

1.تأكيد أهمية طاعة الله والرسول: كسياج يحفظ الأعمال من الإحباط.
2.التحذير من مفسدات الأعمال: التي تذهب بالثواب بعد حصول العمل.
3.ربط العمل الصالح بطاعة الله ورسوله: فلا قيمة لعمل بدون طاعة.
4.تعليم المؤمنين أن الحفاظ على العمل لا يقل أهمية عن إنجازه.
5.تذكير المؤمنين بعهدهم مع الله: فالإيمان يستلزم الطاعة.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" – نداء الشرف والتذكير

1.دلالة أداة النداء "يَا"
"يا" للنداء، وفيها تنبيه وإيقاظ للمخاطب، ليلقي سمعه ويهيئ قلبه لما سيأتي من أمر عظيم.

2.دلالة "أَيُّهَا"
"أيها" وصلة للنداء، فيها مزيد من التأكيد والاهتمام.

3.دلالة "الَّذِينَ آمَنُوا"
التعبير بوصف الإيمان دون غيره (مثلا ً: "يا أيها الناس" أو "يا أيها المسلمون") فيه:

· تشريف لهم: فهم موصوفون بالإيمان.
· تذكير لهم بمقتضى هذا الوصف: فالإيمان يقتضي الطاعة.
· تحفيز لهم على الاستجابة: فأنتم مؤمنون، فاستجيبوا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال مناداة القائد لجنوده: عندما يقول القائد لجنوده: "يا أيها الأبطال"، فهو يذكرهم بوصف البطولة ليحفزهم على القتال .هكذا "يا أيها الذين آمنوا" تحفيز للطاعة.
· مثال الأب لابنه: عندما يقول الأب: "يا أيها الابن البار"، فهو يشعره بوصفه ليحمله على البر .الله يخاطبنا بوصف الإيمان ليجعلنا أهلا ً للطاعة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: عندما تسمع "يا أيها الذين آمنوا"، أشعر بالفخر والمسؤولية معًا .فأنت من المخاطبين.
· عمليًا: كلما مررت بآية فيها هذا النداء، قف واسأل نفسك: ماذا يريد الله مني الآن؟

المحور الثاني: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" – الأمر بالطاعة المزدوجة

1.دلالة "أَطِيعُوا اللَّهَ"
الأمر بطاعة الله يشمل: امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، في القرآن الكريم.

2.دلالة "وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ"
عطف طاعة الرسول على طاعة الله بفعل مستقل، ولم يقل: "أطيعوا الله والرسول" بفعل واحد. لماذا؟

· لبيان أن طاعة الرسول واجبة باستقلال، فهي أصل قائم بذاته وليست فرعًا.
· لدفع توهم من قد يقول: "أطيع الله في القرآن فقط ولا حاجة للسنة" .فالآية تؤكد: أطيعوا الله) في

القرآن(، وأطيعوا الرسول) في السنة.(
· لأن طاعة الرسول هي من طاعة الله: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

.3الفرق بين الطاعتين

· طاعة الله: في كتابه الكريم.
· طاعة الرسول: في سنته المطهرة، وفي حياته بأوامره، وبعد مماته باتباع سنته.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الدستور واللائحة التنفيذية: الدستور هو الأساس) القرآن(، واللائحة التنفيذية توضحه وتفصله)السنة .(لا يمكن تطبيق الدستور دون اللائحة .لذا "أطيعوا الله") الدستور ("وأطيعوا الرسول") اللائحة التنفيذية.(
· مثال الطبيب ومساعده: طبيب يصف دواء، ومساعده يشرح كيفية تناوله .لا بد من طاعة الاثنين: الطبيب في أصل الدواء، والمساعد في تفاصيله.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أشعر في قلبي أهمية السنة النبوية .لا يمكنني أن أطيع الله حقًا دون أن أطيع رسوله.
· عمليًا: اقرأ في كتب السنة يوميًا ولو حديثًا واحدًا، واعزم على العمل به لتكون مطيعًا للرسول.

المحور الثالث: "وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ" – النهي عن إفساد الصالحات

.1دلالة "وَلَا"
الواو للعطف، و"لا" للناهية. وهو نهي صريح مؤكد.

.2دلالة "تُبْطِلُوا"
الإبطال: هو إذهاب الشيء فاسدًا، وجعله باطلا ً. وهو هنا إزالة ثواب العمل وأجره بعد أن كان صحيحًا.

.3دلالة "أَعْمَالَكُمْ"
أعمالكم الصالحة التي عملتموها ابتغاء وجه الله. إضافة الأعمال إليهم (أعمالكم) تدل على أنها كانت حاصلة لهم، فحذار أن تضيعوها.

.4ما هي مفسدات الأعمال التي تبطلها؟
ذكر المفسرون عدة أمور:

· الكفر والردة: يحبط جميع الأعمال السابقة.
· المعاصي الكبيرة: كأكل الربا، والزنا، وعقوق الوالدين، إذا لم تتب منها.
· المن والأذى في الصدقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾.
· الرياء والسمعة: من عمل عملا ً ليراه الناس، فقد أبطل عمله.
· معصية الرسول ومخالفة أمره: كما في السياق، فالنهي عن إبطال الأعمال بعد الأمر بطاعة الله و الرسول مباشرة، يدل على أن مخالفة أمرهما سبب لإبطالها.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال من بنى بيتًا فهدمه: رجل بنى بيتًا جميلا ً، ثم بيده هدمه .هذا حال من يعمل صالحًا ثم يبطله بالمعاصي.
· مثال التاجر المفلس: تاجر جمع ثروة طائلة، ثم قامر بها فخسرها كلها .الأعمال الصالحة ثروة الآخرة ، والمعاصي تبددها.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: الخوف من إبطال العمل يجعل المؤمن دائم الحذر من الذنوب بعد الطاعات .لا تقل: "صليت

وانتهيت"، بل قل: "اللّهم تقبل، واحفظ عليّ عملي".
· عمليًا: راجع أعمالك في نهاية كل يوم .ماذا فعلت من حسنات؟ ثم اسأل: هل أبطلتها بغيبة، أو نميمة، أو عجب؟ استغفر فورًا.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ":
· محاسبة النفس: عندما أسمع آية أو حديثًا، هل أبادر بالطاعة أم أسوّف؟
· التطبيق العملي: اختر سنة من سنن النبي ﷺ مهجورة) مثلا ً: صلاة الضحى، السواك(، وأحيها في حياتك هذا الأسبوع.
· في دائرة "وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ":
· محاسبة النفس: ما هو العمل الذي أخاف أن أكون قد أبطلته؟ هل فيّ عجب أو رياء؟
· التطبيق العملي: إذا تصدقت، فانسَ صدقتك .إذا صليت، فاستغفر بعدها من التقصير .ولا تمنن على أحد بعملك.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نجعل طاعة الله ورسوله منهج حياة: لا أن نطيع تارة ونعصي تارة.
.2يريدنا أن نحافظ على أعمالنا الصالحة: فلا نفرط فيها، ولا نضيعها بالمعاصي.
.3يريدنا أن نفهم أن الإيمان مسؤولية: تستوجب الطاعة والانقياد.
.4يريدنا أن نراقب ما يفسد أعمالنا: فنتجنبه، كما نتجنب ما يفسد أموالنا.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: الطاعة تحفظ العمل.

· التطبيق العملي: كلما هممت بمعصية، تذكر أن هذه المعصية قد تبطل صلاتك وصيامك .وكفى بذلك رادعًا.

.2درس: الحسنات يذهبن السيئات، لكن السيئات قد تأكل الحسنات.

· التطبيق العملي: لا تكتفِ بمحو السيئات بالحسنات، بل احذر أيضًا من أن تمحو السيئات حسناتك . كن متوازنًا.

.3درس: طاعة الرسول طاعة لله.

· التطبيق العملي: في كل خلاف فقهي، ابحث عن الدليل من الكتاب والسنة، واتبعه .لا تتعصب لقول أحد دون بينة.

.4درس: الأعمال الصالحة أمانة.

· التطبيق العملي: احفظ أعمالك كما تحفظ مالك .بل أعمالك أثمن، لأنها زادك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن العمل الصالح ليس مجرد فعل، بل حفظ وصيانة: في بيئة العمل، الموظف الناجح لا ينجز فقط، بل يحافظ على جودة إنجازه ولا يفسده بالتأخير أو الإهمال.
· تعلمنا أن القيادة الراشدة تطاع: في الأسرة، وفي المؤسسة، عندما تكون الأوامر متوافقة مع طاعة

الله ورسوله، فالطاعة واجبة.
· تعلمنا أن المتابعة والمراجعة أساس النجاح: راقب أعمالك، صححها، احمها من المفسدات .هذا منهج رباني في إدارة الذات.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الحفاظ على الإنجاز(: يبني إنسانًا يحمي إنجازه من الانهيار، فتستقر الحضارة.
.2مفهوم) طاعة ولاة الأمر في المعروف(: يبني مجتمعًا منضبطًا، فيه سلم وطاعة للقوانين الصالحة.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف من الضياع(: يبني نفسًا قلقة من التفريط في الصالحات، فتسعى للتكميل لا للإتلا ف.
.2مفهوم) المسؤولية الفردية(: يبني نفسًا تدرك أنها مسؤولة عن أعمالها، لا يمكنها أن تلقي اللوم على غيرها.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) التكامل بين القرآن والسنة(: يبني فكرًا يؤمن بالمصدرين، فلا يقع في فتنة إنكار السنة.
.2مفهوم) مفسدات الأعمال(: يبني فكرًا فقهيًا يراعي ما يبطل العبادات والمعاملات.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع يبني إنجازاته ثم يحميها، ويطيع قيادته الراشدة، ويعتمد على القرآن والسنة، هو مجتمع يبني حضارة راسخة لا تنهار.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني: الآية تربط الإيمان بالعمل، وتربط العمل بالخوف من الإبطال .إنها تربي المؤمن على "عبادة الحفظ"، فلا يكفي أن تعمل، بل احفظ ما عملت.
.2البعد الفقهي: أسست الآية لقاعدة فقهية عظيمة: "الأعمال لا تثبت إلا بشرائطها، وتبطل بمفسداتها" . هذا البعد أسس علم النواقض والمفسدات في العبادات.
.3البعد التربوي: الآية تعلمنا أن التشجيع) يا أيها الذين آمنوا (يسبق التكليف) أطيعوا(، وأن النهي) لا تبطلوا (يأتي لسد الثغرات .منهج تربوي متكامل.
.4البعد الاجتماعي: إبطال الأعمال لا يقتصر على الأفراد، بل على الأمم .أمة عملت خيرًا ثم جاءت بمعاص كبرى، قد تبطل أعمالها .هذا يدعو الأمم لمحاسبة أنفسها.

رسالة ختامية للآية (33):

يا أيها المؤمن، هذه الآية ميثاق بينك وبين ربك. لقد أكرمك بأن ناداك بالإيمان، فلا تخذل هذا النداء. أطع ربك فيما أمر، وأطع نبيك فيما بلغ، واحفظ أعمالك كما تحفظ أغلى ما تملك. لا تفرط في حسنة عملتها، فتحبطها بسيئة. تذكر أنك في سباق إلى الجنة، ولا تريد أن تخسر رصيدك عند خط النهاية. اللهم أعنا على طاعتك وطاعة رسولك، واحفظ علينا أعمالنا، ولا تجعلها هباءً منثورًا.

المبحث الثاني
تفسير الآية (34) من سورة محمد

التمهيد للآية (34):

بعد أن نادت الآية السابقة المؤمنين بطاعة الله والرسول ونهاهم عن إبطال أعمالهم، تعود هذه الآية

إلى تذكيرهم بمصير الكافرين الصادين عن سبيل الله، لتكون حافزًا إضافيًا على الطاعة ورادعًا عن المعاصي. إنها ترسم خطًا فاصلا ً بين المؤمنين والكافرين في المصير الأخروي، وتعلن أن الكافرين الذين ماتوا على كفرهم قد أغلق باب المغفرة في وجوههم إلى الأبد. إنها آية ترهب من سوء الخاتمة ، وتدفع المؤمنين للاستمساك بدينهم حتى الممات.

تفسير الآية (34)

قال تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾

المعنى العام للآية:

يخبر الله تعالى مؤكدًا: إن الذين جحدوا وحدانيته ورسالة نبيه، ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله، واستمروا على ذلك الكفر والصد طوال حياتهم، ثم ماتوا وهم مقيمون على كفرهم لم يتوبوا منه ؛ فلن يغفر الله لهم ما كانوا فيه من الكفر والمعاصي، ولن يرحمهم، بل يعذبهم عذابًا أبديًا. إنها آية تقطع الأمل في نجاة من مات على الكفر بعد أن تبين له الهدى.

مقاصد وأهداف الآية:

.1بيان شناعة الكفر والصد عن سبيل الله.
.2التأكيد على أن الموت على الكفر يحتم الخسران الأبدي.
.3التحذير من التسويف في التوبة.
.4دفع المؤمنين للثبات على الإيمان حتى الممات.
.5بيان عدل الله: فالمغفرة لمن تاب وآمن، لا لمن أصر ومات على الكفر.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ" – تكرار الوصف لتأكيد الجريمة

.1دلالة "إِنَّ"
للتوكيد. فخبر الآية ثابت مؤكد لا شك فيه.

.2دلالة "كَفَرُوا"
جحدوا وحدانية الله، وكذبوا برسالة النبي ﷺ، وأنكروا البعث والجزاء. الكفر هو أصل الجريمة.

.3دلالة "وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ"
لم يكتفوا بالكفر، بل تعدوا إلى إضلال غيرهم. هذه الجريمة المتعدية تجعل جرمهم مضاعفًا. ووجه الشناعة: أنهم جمعوا بين إهلاك أنفسهم وإهلاك غيرهم.

.4الربط بين هذه الآية والآية(32)
في الآية (32) قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا ... وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾. وهنا لم يذكر "وشاقوا الرسول" واكتفى بـ "كفروا وصدوا". لماذا؟

· لأن الآية (32) كانت تركز على عرض الجرائم كاملة لإظهار شناعتها.
· وهنا التركيز على مصيرهم بعد الموت، فذكر الأصلين: الكفر والصد.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال السكير الذي يسكر غيره: رجل يشرب الخمر، ويسقي غيره .جرمه مضاعف .هكذا الكافر الذي يصد غيره عن الإسلام.
· مثال النائم عن صلاة الفجر: طالب لا يصلي الفجر، ويقنع زميله في الغرفة ألا يصليها .هو كافر بـ النعمة وصاد عن سبيلها.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: لا تكن سببًا في ضلال أحد .كل من أضللته، فإن عليك مثل وزره.

المحور الثاني: "ثمّ مَاتُوا وَهُمْ كفّارٌ" – شرط الخسران الأبدي

.1دلالة "ثمّ"
"ثم" للتراخي الزمني .أي: استمروا على هذا الكفر والصد زمنًا طويلا ً، وأعطوا فرصًا للتوبة، وأمهلوا، لكنهم لم يتوبوا حتى جاءهم الموت.

.2دلالة "مَاتُوا"
الموت: هو الحقيقة التي لا مفر منها. وهو هنا الحد الفاصل. ما دام الإنسان حيًا، فباب التوبة مفتوح. فإذا مات، أغلق الباب.

.3دلالة "وَهُمْ كفّارٌ"
الجملة حالية. أي: ماتوا في حالة الكفر. هذه هي الحال التي تحدد المصير. لم يقل: "ثم ماتوا" فقط، بل أضاف "وهم كفار" لبيان أن العبرة بالخاتمة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الامتحان النهائي: طالب أهمل طول العام، وأعطي فرصًا للتدارك، لكنه لم يذاكر .دخل الامتحان النهائي، فلما خرج قيل له: انتهى الأمر، لا إعادة .هذا هو الموت على الكفر.
· مثال باب الرحيل: مسافر في محطة قطار، ينادي المنادي: آخر موعد للركوب .فإذا أغلق باب القطار، لا يمكن الركوب .الموت هو إغلاق باب القطار.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: الخوف من الموت على غير إيمان .هذا الخوف يدفعك لتجديد إيمانك كل يوم.
· عمليًا: جدد شهادة "لا إله إلا الله" كل صباح ومساء .واسأل الله حسن الخاتمة في كل صلاة.

المحور الثالث: "فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ" – الحكم النهائي القاطع

.1دلالة الفاء
للسببية والتفريع. أي: بسبب كفرهم وصدهم وموتهم على الكفر، كانت النتيجة الحتمية: عدم المغفرة.

.2دلالة "لَن"
"لن" للنفي المؤبد في المستقبل .أي: لن يغفر الله لهم أبدًا.

.3دلالة "يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ"
المغفرة: هي الستر والصفح والعفو. الله لن يغفر لهم، أي لن يستر عليهم ذنوبهم، بل سيعاقبهم عليها.

.4ماذا عن آية: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾؟
الآية هنا خاصة بمن ماتوا على الكفر. أما تلك الآية فتبين أن الشرك لا يغفر إذا مات عليه صاحبه. أما من تاب من الشرك قبل الموت، فإن الله يغفر له: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم﴾.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال القانون: قانون الدولة يقول: "لن يعفى عن القاتل" .هذا حكم قاطع ."فلن يغفر الله لهم" حكم قاطع لا استثناء فيه.
· مثال الطرد النهائي: شركة تفصل موظفًا فصلا ً نهائيًا، وتصدر قرارًا: "لن يعاد توظيفه أبدًا" .هذا هو "لن يغفر الله لهم".

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا الحكم يرعب القلب .إذًا، لا أمان إلا بالتوبة قبل الموت.
· عمليًا: استحضر هذا الحكم عندما تسول لك نفسك معصية .قل: "أنا لا أضمن أن أموت على الإسلام إن أصررت على هذا الذنب".

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "ثمّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ":
· محاسبة النفس: لو مت الآن، على أي حال أكون؟ هل أنا على طاعة أم على معصية؟
· التطبيق العملي: قبل النوم كل ليلة، تصور أنه موتك الأصغر .فإن كان في قلبك شيء، فتب منه.
· في دائرة "فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ":
· محاسبة النفس: هل أصر على ذنب ولا أتوب، كأني أضمن أني لن أموت عليه؟
· التطبيق العملي: بادر اليوم بتوبة نصوح .اكتب ذنوبك، وتب منها واحدًا واحدًا.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نحذر من الموت على الكفر: فهو الخسران المبين.
.2يريدنا أن نسارع بالتوبة قبل فوات الأوان: فما دام الروح في الجسد فالباب مفتوح.
.3يريدنا أن نستحضر دائمًا النهاية: لا ننشغل بالدنيا عن الاستعداد للآخرة.
.4يريدنا أن نرحم الناس وندعوهم: فمصيرهم إن ماتوا على الكفر النار.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: الإمهال ليس إهمالا ً.

· التطبيق العملي: إذا رأيت ظالمًا مموليًا له، فلا تقل: أين الله؟ بل قل: "ثم ماتوا وهم كفار" ستأتيه.

.2درس: العبرة بالخواتيم.

· التطبيق العملي: لا تغتر بعملك الحالي، واسأل الله الثبات حتى الممات .كان النبي ﷺ يقول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

.3درس: الكفر ليس مجرد اعتقاد، بل سلوك متعد.

· التطبيق العملي: احذر من سلوكك الذي قد يكون صدًا عن سبيل الله .كن داعية إلى الله بلسانك وفعلك.

.4درس: لا نيأس من هداية أحد مهما بلغ كفره.

· التطبيق العملي: الآية تتحدث عمن ماتوا على الكفر .ماداموا أحياء، فادعهم إلى الله .فكم من كافر اهتدى!

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· في المجال الطبي: المريض الذي يهمل علاجه حتى يصل إلى مرحلة متأخرة، قد لا ينفعه علاج . الموت على الكفر هو المرحلة التي لا علاج بعدها.
· في الاستثمار: المستثمر الذي يخسر رأس ماله كله، لا يمكنه التداول ثانية .الموت على الكفر خسارة لرأس المال الأكبر) الإيمان.(

· في الوقت: تعلمنا أن لكل شيء فرصة محدودة .الوقت الذي أعطاك الله إياه لتعمل صالحًا محدود بعمرك، فلا تضيعه.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الوقت كفرصة للتوبة(: يبني إنسانًا لا يسوف، ومجتمعًا قائمًا على المبادرة.
.2مفهوم) المسؤولية عن الغير(: يبني مجتمعًا يتحمل أفراده مسؤولية دعوة غيرهم.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف الإيجابي من سوء الخاتمة(: يبني نفسًا يقظة لا تنام على معصية.
.2مفهوم) التوقع الدائم للموت(: يبني نفسًا مستعدة دائمًا.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) الخاتمة هي المعيار(: يبني فكرًا لا يحكم على شيء ببدايته، بل بنهايته.
.2مفهوم) عدالة الجزاء(: يبني عقلا ً يدرك عدالة الله.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع أفراده يسارعون في الخيرات، ويخافون سوء الخاتمة، ويدعون غيرهم، هو مجتمع متجه نحو الخير، لا يوقفه حب الدنيا عن العمل للآخرة.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني: ترسخ عقيدة أن المغفرة بيد الله وحده، وأنها لمن تاب وآمن، لا لمن أصر وكفر.
.2البعد التوعوي: تحذر من ظاهرة "الموت على الكفر" التي قد تأتي بغتة .فعلى المؤمن أن يكون دائم الاستعداد.
.3البعد الحضاري: أمة تنشغل عن دعوة غيرها، تتعرض لعقوبة أنها لم تأخذ على يد الكافرين .الآية تدعو الأمة للقيام بواجب الدعوة.
.4البعد الإنساني: تذكر أن كل إنسان معرض للموت .فلا تحتقر كافرًا، بل ارحمه وادعه .ولا تغتر بإيمانك، فاسأل الله الثبات.

رسالة ختامية للآية (34):

يا من لا تدري متى تموت، هذه الآية نذير. كم من إنسان عاش على الكفر، وأمهل طويلا ً، فظن أنه ناج، ثم جاءه الموت بغتة، فخسر الدنيا والآخرة. لا تكن مثله. جدد إيمانك اليوم، وتب من ذنوبك، واسأل الله أن يميتك على الإسلام. وإياك أن تكون صادًا عن سبيل الله بقول أو فعل. اللهم اختم لنا بخاتمة السعداء، ولا تجعلنا من الذين ماتوا وهم كفار، واغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

المبحث الثالث
تفسير الآية (35) من سورة محمد

التمهيد للآية (35):

بعد التحذير من مصير الكافرين الذين ماتوا على كفرهم، تتوجه الآية إلى المؤمنين مرة أخرى، ولكن بخطاب مختلف. بعد أن رأوا مصير أعدائهم المحتوم، قد يتسرب إلى قلوب بعضهم الضعف والوهن أمام قوة الكافرين، وقد يفكرون في مسالمتهم والاستسلام لشروطهم من موقف ضعف، ظنًا منهم أن ذلك يجلب السلامة. تأتي هذه الآية لتنهى عن ذلك نهيًا قاطعًا، وتذكر المؤمنين بعلوهم، وتحذرهم من

أن هذا الوهن قد يكلفهم أعمالهم، تمامًا كما كلف الكافرين كفرهم. إنها آية تبني العزة الإيمانية في القلوب.

تفسير الآية (35)

قال تعالى:
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

بعد بيان مصير الكافرين، يأمر الله المؤمنين ألا يضعفوا ولا يجبنوا أمام عدوهم، وألا يبادروا بطلب الصلح مع الكفار من موقف ضعف وخوف، بل يثبتوا على قتالهم وجهادهم؛ لأنهم هم الأعلون بإيمانهم ، والله معهم بنصره وتأييده، ولأن الله لن ينقصهم من ثواب أعمالهم شيئًا، بل سيوفيهم أجرهم كاملا .

مقاصد وأهداف الآية:

1.النهي عن الوهن والضعف النفسي والجسدي أمام الأعداء.
2.النهي عن طلب الصلح مع الكافرين من موقف ضعف.
3.تثبيت المؤمنين بوعد الله لهم بأنهم الأعلون.
4.طمأنتهم بأن الله معهم، فلا يخذلهم.
5.تحفيزهم على الجهاد بضمان عدم نقصان الأجر.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "فَلَا تهنُوا" – النهي عن الضعف

1.دلالة الفاء في "فَلَا"
الفاء للتفريع والترتيب. بعد أن سمعتم مصير الكافرين، وبعد أن أمرتم بطاعة الله والرسول وعدم إبطال الأعمال، فالنتيجة المباشرة: لا تهنوا. فكأنه يقول: بما أن الأمر كذلك، فلا تضعفوا.

2.دلالة "لَا" الناهية
نهي جازم مؤكد.

3.دلالة "تهنُوا"
الوهن: هو الضعف والخَوَر والجُبن والانكسار. وهو يشمل:

· الوهن النفسي: كالخوف واليأس من النصر.
· الوهن الجسدي: كالتقاعس عن إعداد العدة والجهاد.
· الوهن الروحي: كضعف اليقين بالله.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجندي في المعركة: عندما يرى الجندي كثرة العدو، فيضعف قلبه وتخور عزيمته .يقال له: "لا تهن" .أي: لا تضعف، بل اثبت.
· مثال الرياضي: رياضي في سباق، يسبقه الخصم، فيحس بالوهن والرغبة في الانسحاب .مدربه يقول له: "لا تهن".

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: في كل محنة وشدة، استحضر قوله تعالى: "فلا تهنوا" .هذا يعيد لك قوتك.
· عمليًا: إذا شعرت بضعف في أمر من أمور دينك) كالمحافظة على الصلاة، أو الدعوة، أو الأمر بـ

المعروف(، فقل لنفسك: "لا تهن".

المحور الثاني: "وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ" – النهي عن طلب الصلح من موقف ضعف

.1دلالة "وَتَدْعُوا"
الواو للعطف، والمعنى: لا تجمعوا بين الوهن والدعوة إلى السلم. أي: لا يكن الوهن سببًا في طلبكم الصلح.

.2دلالة "إِلَى السَّلْمِ"
السلم: هو الصلح والمصالحة. والمقصود هنا: طلب الصلح مع الكفار المعتدين من موقف ضعف وخوف. وهذا النهي ليس مطلقًا، فالصلح جائز إذا كان فيه مصلحة، وكان من موقف قوة وعزة: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾. فالفرق: في آية الأنفال، هم الذين يطلبون السلم. أما هنا، فالمؤمنون هم الذين يطلبونه من ضعفهم، وهذا ممنوع.

.3صورة النهي: لماذا نهوا عن الدعوة إلى السلم هنا؟

· لأنها في هذه الحالة ناتجة عن الوهن والضعف.
· لأنها تعطي العدو انطباعًا بأن المؤمنين قد هُزموا نفسيًا.
· لأن المجاهدين في بداية الإسلام كانوا بحاجة إلى بناء العزة، فلا يستسلموا.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المتنمر والضحية: شخص يتنمر على زميله، فيضعف هذا الزميل ويذهب إليه قائلا ً: "لنتصالح" .هذا استسلام مهين .أما لو كان من موقف قوة، فالأمر مختلف.
· مثال الدول: دولة ضعيفة عسكريًا، تذهب لدولة معتدية وتقول: "تعالوا نصنع سلامًا" .هذا من موقف ضعف .أما دولة قوية تصنع السلام، فهذا عزة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: لا تطلب رضا المخلوقين من موقف مذلة .كن عزيزًا بدينك.
· نفسيًا: اشعر بالعزة، فأنت مؤمن، ولا يحق لك أن تطلب السلم مع الباطل من موقف ضعف.

المحور الثالث: "وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ" – إعلان العزة والتفوق

.1دلالة الجملة الاسمية "وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ"
تفيد الثبات والدوام. أنتم الأعلون حقيقة ثابتة.

.2دلالة "الْأَعْلَوْنَ"
الأعلون: جمع أعلى. وتعني أنكم أصحاب العلو: العلو بالإيمان، والعلو بالقوة، والعلو بالمكانة عند الله، و العلو في الدنيا والآخرة. هذه الجملة هي الدليل على النهي: لماذا لا تهنون ولا تدعون إلى السلم؟ لأ نكم الأعلون. فمن كان الأعلى، لا يليق به أن ينحط إلى الضعف والمسالمة من موقف مذلة.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجبل: الجبل عال، لا تناله رياح السهول .أنتم الأعلون بإيمانكم، لا تنالكم مذلة من عدوكم.
· مثال الطالب المتفوق: طالب متفوق، لا يذهب لزميله الضعيف يطلب مساعدته من موقف ضعف . المتفوق يبقى عاليًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: منح الله لك هذه الآية لتكون مصدر عزة لك .تشعر أنك تنتمي للأعلى، فتعيش بمستوى هذا العلو.

· عمليًا: عامل نفسك بوصفك من "الأعلين" .لا ترضَ بالدون، ولا تقبل بالفساد .أنت أعلى من المعصية، وأعلى من الذل.

المحور الرابع: "وَاللهُ مَعَكمْ" – ضمان المعية الإلهية

.1دلالة "وَاللهُ"
تقديم لفظ الجلالة للتعظيم والتأكيد.

.2دلالة "مَعَكمْ"
المعية: هي المصاحبة بالنصر والتأييد والتوفيق. وهي خاصة بالمؤمنين المجاهدين الصابرين. الله معكم، أي معكم بنصره وتأييده، فلا تخافوا.

.3العلاقة بين "الأعلون" و"الله معكم"
"أنتم الأعلون" هي النتيجة، و"الله معكم" هو السبب .أنتم الأعلون لأن الله معكم .ومن كان الله معه، فمن عليه؟!

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الجندي مع القائد العظيم: جندي يقاتل، وقائده العظيم بجانبه، يقول له: "لا تخف، أنا معك" . هذا يعطيه قوة خارقة .الله معنا، فكيف نضعف؟
· مثال الطفل مع أبيه: طفل في مواجهة متنمرين، وأبوه القوي يقف خلفه، فيشعر بالقوة.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تأمل: "الله معكم" .إن آمنت بهذا، فلن تخاف شيئًا.
· عمليًا: في كل خطوة صعبة، قل: "حسبي الله، إن الله معي".

المحور الخامس: "وَلَن يَتِرَكمْ أَعْمَالَكمْ" – ضمان عدم نقصان الأجر

.1دلالة "لَن"
للنفي المؤبد في المستقبل. أي: لن ينقصكم أبدًا.

.2دلالة "يَتِرَكمْ"
"يَتِرَ" بمعنى: ينقص ويبخس .من "الوَتر" وهو النقص .الله لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئًا.

.3دلالة "أَعْمَالَكمْ"
أعمالكم الصالحة التي تعملونها، ومنها جهادكم وصبركم. لن يضيع الله أجرها، ولن ينقص منها مثقال ذرة.

.4الربط بين الآيات (33) و(35)
في الآية (33) قال: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكمْ﴾ (نهي عن إبطالها من جهتكم).
وهنا قال: ﴿وَلَن يَتِرَكمْ أَعْمَالَكمْ﴾ (وعد بعدم إبطالها من جهة الله). اجتمع النهي والوعد. أنتم احفظوها، والله حافظها.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال صاحب العمل الأمين: عامل يعمل، ورئيسه يقول له: "أخلص في عملك، ولن أنقصك أجرك" .هذا تطمين.
· مثال المودع في البنك: شخص يودع أموالا ً في بنك، ويضمن له البنك رأس المال مع الأرباح . الله يضمن لك أن أعمالك لن تنقص.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: اطمئن .تعبك في هذه الدنيا ليس ضائعًا .الله يحصيه لك، ولن ينقصك شيئًا.
· عمليًا: إذا شعرت بالإرهاق من الطاعة، تذكر أن الله لن يترك أجرك، فاستمر.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "فَلَا تَهِنُوا":
· محاسبة النفس: في أي جانب من حياتي أشعر بالوهن؟) في طلب العلم، في التربية، في الدعوة.(
· التطبيق العملي: اختر نقطة ضعف تعاني منها، واعزم على تقويتها، وادعُ الله أن يرفع عنك الوهن.
· في دائرة "وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ":
· محاسبة النفس: هل أقدم تنازلات في ديني لأرضي الناس أو أخفف الضغط عني؟
· التطبيق العملي: لا تتنازل عن مبدأ إسلامي إرضاءً لأحد .حافظ على دينك بقوة وثبات.
· في دائرة "وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ":
· محاسبة النفس: هل أمشي في الأرض وكأنني الأعلى بالإيمان، فلا أفعل فاحشة ولا أذل نفسي؟
· التطبيق العملي: إذا دعيت إلى معصية، قل: "أنا أعلى من هذا".
· في دائرة "وَاللَّهُ مَعَكُمْ":
· محاسبة النفس: هل أستشعر معية الله في كل لحظة؟
· التطبيق العملي: عند الخوف، ردد: "لا تحزن إن الله معنا".
· في دائرة "وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ":
· محاسبة النفس: هل أخاف أن يضيع عملي؟
· التطبيق العملي: ألق همّ تقبل العمل على الله .هو الذي تكفل بعدم إضاعته.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نكون أقوياء: لا ضعفاء .أقوياء بإيماننا، بوحدتنا، بثقتنا به.
.2يريدنا أن نستعلي بديننا: فلا نذل لأهل الباطل، ولا نطلب صلحهم على حساب ديننا.
.3يريدنا أن نوقن بمعيته: فنتحرر من الخوف من كل ما سواه.
.4يريدنا أن نعمل ولا نخاف على الأجر: فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: الوهن ممنوع على المؤمن.

· التطبيق العملي: اضبط صحتك ولياقتك البدنية، فالوهن الجسدي يؤدي للوهن النفسي .خصص وقتًا للرياضة بنية التقوي على الطاعة.

.2درس: العزة للإيمان، لا للعدد والعدة.

· التطبيق العملي: لا تتباهَ بقوتك المادية، بل افتخر بإيمانك بالله .وقل: "نحن الأعلون بالله".

.3درس: طلب الصلح مع الباطل مذلة.

· التطبيق العملي: في محيط العمل، إذا حاول أحد إجبارك على مخالفة شرعية، لا تساوم .قف بثبات، فأنت الأعلى بحقك.

.4درس: الأجر محفوظ عند الله.

· التطبيق العملي: إذا لم تشكر على عمل صالح، فلا تحزن .الله يعلمه، وهو الذي سيجزيك عليه.

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن علم النفس الإيماني يرفض الهزيمة النفسية: "فلا تهنوا" هو أول علاج نفسي إيماني لمن يعاني من الإحباط أو الخوف من المستقبل.
· تعلمنا أن التفاوض مع العدو مشروط بالعزة والقوة: وهذا درس في السياسة والعلاقات الدولية وفي المفاوضات التجارية والشخصية.
· تعلمنا أن تقدير الذات عند المؤمن مستمد من إيمانه: "أنتم الأعلون" تبني مفهوم "الذات العلوية" التي لا ترضى بالدنايا.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) العزة الإيمانية(: يبني إنسانًا لا يستعبد لغير الله، ومجتمعًا لا يخضع لغير الحق.
.2مفهوم) القوة في الحق(: يبني أمة تعد العدة ولا تضعف.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) نبذ الوهن(: يبني نفسًا قوية، لا تنهار عند الشدائد.
.2مفهوم) الأمن النفسي بمعية الله(: يبني نفسًا مطمئنة، لا تقلقها التهديدات.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) العلو الحضاري(: يبني فكرًا يرى أن الأمة المسلمة يجب أن تكون في المقدمة.
.2مفهوم) الاستعلاء على الباطل(: يبني عقلا ً يرفض المساومات على حساب الدين.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
أمة أبناؤها لا يهنون، ولا يطلبون السلم من الباطل، ويشعرون أنهم الأعلون، ويعملون وهم واثقون من الأجر؛ هي أمة قائدة، لا أمة مقودة، تبني حضارة العزة والكرامة.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد النفسي: الآية تقدم علاج الهزيمة النفسية .كثير من المسلمين اليوم يعانون من الوهن النفسي أمام حضارة الغرب .الآية تقول: "فلا تهنوا" .نحتاج إلى استعادة الثقة.
.2البعد السياسي: تنظم الآية العلاقات الدولية في الإسلام .مبدأ "لا تدعوا إلى السلم" من ضعف، هو مبدأ سياسي يحفظ كرامة الأمة.
.3البعد الاجتماعي: "أنتم الأعلون" ينفي عقدة الدونية عن المجتمع المسلم .مجتمع يشعر أنه الأعلى لا يقلد غيره تقليدًا أعمى.
.4البعد التربوي: تربية الناشئة على أنهم الأعلون بإيمانهم، لا بأموالهم ولا بأنسابهم، يبني جيلا ً معتزًا بهويته.

رسالة ختامية للآية (35) وللآيات الثلاث مجتمعة:

يا من آمنت بالله، قم. امسح عن قلبك غبار الوهن. أنت الأعلى، والله معك، وعملك لن يضيع. لا تضعف، ولا تستسلم، ولا تطلب السلم مع الباطل من موقف مذلة. اثبت كالجبل، وقاتل كالأسد، واعمل كأنك ترى الله. هذه الآية شرف لك، فلا تفرط فيه.

ثالثا

المبحث الأول

انحن على موعد مع آيتين عظيمتين تعيدان ضبط ميزان القيم في قلب المؤمن، وتكشفان عن حقيقة الدنيا، وتفضحان مرض البخل وعلاقته بالأضغان. إليك تفسير الآيتين (36) و(37) بنفس المنهجية الشاملة والمفصلة التي طلبتها، دون حذف أو اختصار لأي فقرة.

المبحث الأول
تفسير الآية (36) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن أمر الله المؤمنين في الآية (35) بالثبات والعزة ونهاهم عن الوهن والدعوة إلى السلم من موقف ضعف، وذكرهم بأنهم الأعلون وأنه معهم ولن يترهم أعمالهم؛ تأتي هذه الآية لتكمل بناء النفسية المؤمنة المتوازنة. إنها تريد أن تقتلع من قلب المؤمن التعلق بالدنيا وحب المال الذي قد يكون سببًا في الوهن والجبن عن الجهاد. فكأن السورة تقول: لا تخافوا على دنيا تفنى، ولا تبخلوا بمال هو في الحقيقة مال الله. هذه الآية تضع الحياة الدنيا في حجمها الحقيقي، ثم تفتح باب الرجاء بالأجر العظيم، وتمهد للآية التالية التي ستكشف عن مرض خفي هو البخل وأثره على القلوب. إنها آية جامعة بين تصغير الدنيا، وتعظيم الوعد الإلهي، والتلطف بالمؤمنين في عدم تحميلهم ما لا يطيقون.

تفسير الآية (36)

قال تعالى:
﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

يبين الله تعالى أن الحياة الدنيا بكل زينتها وزخارفها ليست إلا لهوًا ولعبًا، لا دوام لها ولا غاية شريفة فيها إن انفصلت عن مرضاة الله. ومع ذلك، فإن الله لا يريد حرمانكم منها مطلقًا، بل يدعوكم إلى الإيمان والتقوى، ويكافئكم على ذلك بأجوركم كاملة غير منقوصة. ومن رحمته بكم أنه لا يكلفكم فوق طاقتكم، فهو لا يطلب منكم إخراج جميع أموالكم، بل يطلب منكم جزءًا يسيرًا (كالزكاة و الصدقة)، وهذا من لطفه بكم.

مقاصد وأهداف الآية:

1. تحقير الدنيا في قلوب المؤمنين: حتى لا تكون سببًا في الجبن والوهن.
2. ترغيبهم في الإيمان والتقوى: ببيان أن فيهما الثواب الكامل.
3. بيان لطف الله بعباده: حيث لم يفرض عليهم إخراج كل أموالهم.
4. التمهيد للآية التالية: التي تبين أن البخل مرض، وأن الله لو ألح في طلب المال لظهر هذا المرض.
5. التذكير بأن الآخرة هي دار الجزاء الحقيقي.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ" – حقيقة الدنيا

1. دلالة "إِنَّمَا"
"إنما" أداة حصر .تفيد حصر الحياة الدنيا في اللعب واللهو .أي: هي لا تتجاوز ذلك في حقيقتها لمن لم يعشها لله.

2. دلالة "الْحَيَاةُ الدُّنْيَا"
الدنيا: من الدنو، أي القريبة. وسُميت دنيا لدنوها منا، أو لدنو زوالها. وهي مقابل الآخرة التي هي الحياة الحقيقية الباقية: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.

3. دلالة "لَعِبٌ"
اللعب: هو الفعل الذي لا فائدة فيه، ويقوم على اللهو والترفيه. الدنيا لعب لأنها تشغل الإنسان عن الجد الحقيقي (الاستعداد للآخرة).

4. دلالة "وَلَهْوٌ"
اللهو: ما يشغلك عما ينفعك. والدنيا لهو لأنها تلهي القلب عن الله والدار الآخرة.

.5الفرق بين اللعب واللهو

· اللعب: يشير إلى طبيعة الدنيا نفسها، فهي كملعبة.
· اللهو: يشير إلى أثر الدنيا على القلب، فهي تلهي وتشغل.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الأطفال في الملعب: طفل يلعب في الملعب، منهمك في لعبته، ناسٍ أو غير مبالٍ بأن وقت الا متحان يقترب .هذا حال الغافل في الدنيا.
· مثال السراب: مسافر يرى سرابًا في الصحراء، فيفرح ويسعى إليه، فإذا جاءه لم يجده شيئًا .هذا مثل الحياة الدنيا .﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: كلما تعلقت بشيء من الدنيا، ذكر نفسك: "إنما هو لعب ولهو" .هذا يخفف وطأة الفقد إن فقدته.
· عمليًا: لا تجعل الدنيا هدفك الأكبر .اعمل لآخرتك، واستمتع بدنياك بالحلال، ولكن لا تجعلها غايتك.

المحور الثاني: "وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ" – دعوة للجد ووعد بالجزاء

.1دلالة "وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا"
هذا شرط. أي: إن تحقق فيكم الإيمان والتقوى...

· الإيمان: التصديق الجازم بالله ورسوله واليوم الآخر.
· التقوى: العمل بموجب هذا الإيمان، بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

.2دلالة "يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ"

· "يؤتكم": يعطكم .والله هو المعطي.
· "أجوركم": ثواب أعمالكم كاملا ً .وهذا وعد كريم: فبدل أن تتعلقوا بالدنيا التي هي لعب ولهو، آمنوا واتقوا، يعطكم الله الثواب الدائم الذي لا ينفد.

.3العلاقة بين الدنيا والأجر
كأنه يقول: لا تشتغلوا باللعب واللهو عن الإيمان والتقوى، فما عند الله من الأجر خير وأبقى.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الموظف والعلاوة: موظف يشتغل بلعب الورق في وقت الدوام .المدير يقول له: "هذا العمل لعب، انشغل بوظيفتك، وسأعطيك علاوة" .الدنيا لعب، والعمل الصالح هو الوظيفة الحقيقية، والله يعد بالأجر العظيم.
· مثال البذرة والحصاد: بذرة تزرعها في أرض، فتؤتيك حصادًا مضاعفًا .الإيمان والتقوى بذور، والله يؤتيك أجرها أضعافًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: اجعل الآخرة هي الأمل .لا تحزن على فوات لذة عابرة، فما عند الله خير وأبقى.
· عمليًا: في كل مرة تسعى فيها لدنيا، قل: "اللهم آتني أجر هذا السعي، واجعله للآخرة".

المحور الثالث: "وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ" – لطف الله ورحمته

.1دلالة "لَا يَسْأَلْكُمْ"
السؤال هنا: بمعنى الطلب والتكليف. الله لا يطلب منكم أموالكم كلها.

.2دلالة "أَمْوَالَكُمْ"
جمع مال. أي: جميع أموالكم. الله لم يوجب عليكم إلا جزءًا يسيرًا (الزكاة: ربع العشر، الصدقة، النفقة الواجبة). وهذا من لطفه ورحمته.

.3المغزى من الجملة
لماذا ذكر هذا بعد الوعد بالأجر؟

· لدفع توهم أن طريق الإيمان والتقوى يتطلب إنفاق كل المال.
· لبيان يسر الإسلام ورفع الحرج.
· للتمهيد للآية التالية التي تفضح البخل.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الأب الكريم مع ابنه: أب غني يقول لابنه: "أنا لن أطلب منك كل مصروفك، فقط جزءًا يسيرًا للادخار" .هذا من رحمته .الله أرحم الراحمين.
· مثال شريكين: شريك يطلب من الآخر تمويل الشركة، لكنه لا يطلب كل ماله، بل جزءًا يسيرًا، ويضمن له الربح .الله يطلب منا الزكاة، ويعدنا بالأجر العظيم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أشعر برحمة الله .لو طلب منا كل المال لفعلنا، لكنه خفف عنا .أفلا يستحق منا الشكر؟
· عمليًا: أخرج الزكاة والصدقات بسماحة نفس، متذكرًا أن الله لم يطلب منك كل مالك، فأعطه القليل بطيب خاطر.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ":
· محاسبة النفس: ما مقدار انشغالي بالدنيا؟ هل أنا منغمس في لهوها؟ هل هي أكبر همي؟
· التطبيق العملي: خصص وقتًا يوميًا للتفكر في زوال الدنيا .اقرأ سورة الحديد) آية: (20 التي تصف الدنيا بمثلها الرائع.
· في دائرة "يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ":
· محاسبة النفس: هل أنا أعمل لله واثقًا في أجره، أم أعمل للحصول على أجر دنيوي عاجل؟
· التطبيق العملي: عند أي عمل صالح، استحضر أن الله سيؤتيك أجرك عليه، ولا تنتظر الشكر من الناس.
· في دائرة "وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ":
· محاسبة النفس: هل أبخل بما فرضه الله علي من الزكاة والصدقة؟
· التطبيق العملي: أحص زكاتك بدقة، وأخرجها عن طيب نفس .ثم تصدق زيادةً شكرًا لله أنه لم يسألك كل مالك.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نعرف قدر الدنيا: فهي لعب ولهو، فلا نجعلها غايتنا.
.2يريدنا أن نربط بين الإيمان والتقوى والأجر: فما عند الله لا ينال إلا بطاعته.
.3يريدنا أن نشكره على تخفيفه عنا: فلم يسألنا كل أموالنا، بل يسيرًا منها.
.4يريدنا أن نكون كرماء: فلا نبخل بما طلبه منا، قياسًا على ما لم يطلبه.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: الدنيا وسيلة لا غاية.

· التطبيق العملي: ضع أهدافًا للآخرة في حياتك .مثلا ً: هذا الشهر سأحفظ جزءًا من القرآن، هذا الأ سبوع سأصل رحمًا .هذه أهداف عليا، والدنيا تخدمها.

.2درس: الإيمان والتقوى باب الأجر.

· التطبيق العملي: جدد إيمانك يوميًا بـ"لا إله إلا الله"، واتق الله في سرك وعلانيتك، وانتظر الأجر من الله، لا من البشر.

.3درس: لطف الله بعباده يوجب الحياء منه.

· التطبيق العملي: عندما يزين لك الشيطان البخل، تذكر: "الله لم يسألني كل مالي، أفأبخل عليه بالقليل ؟" .واستعذ بالله من الشح.

.4درس: متاع الدنيا قليل.

· التطبيق العملي: عند شراء شيء جديد، قل: "اللهم بارك لي فيه، واجعله معينًا على طاعتك، ولا تجعله سببًا في غفلتي".

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا إدارة الوقت: إذا كانت الدنيا لعبًا ولهوًا، فوقتنا هو رأس مالنا الحقيقي .لا نهدره في اللعب و اللهو، بل نستثمره فيما يبقى.
· تعلمنا الاستثمار طويل المدى: الإيمان والتقوى استثمار في الآخرة، والعائد مضمون) يؤتكم أجوركم (بلا نقصان .هذا يعلمنا أن الاستثمار في الخير لا يخيب أبدًا.
· تعلمنا أن أحكام الإسلام رحمة: "ولا يسألكم أموالكم" تشير إلى أن التكاليف الشرعية في حدود الطاقة، وفيها تيسير .هذا يبني عقلية إيجابية نحو الشريعة.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الترفع عن اللهو(: يبني إنسانًا جادًا في حياته، منتجًا لمجتمعه، لا يضيع وقته في توافه ا لأمور.
.2مفهوم) العمل بأجر معلوم(: يبني إنسانًا يخلص في عمله لأنه يعرف أن أجره على الله، ومجتمعًا يقوم على الإتقان والإخلاص.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) السكينة بمعرفة قدر الدنيا(: يبني نفسًا لا تحزن على المفقود ولا تفرح بالموجود فرح بطر.
.2مفهوم) الشعور بلطف الله(: يبني نفسًا مطمئنة تحب الله وتثق في رحمته.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) مركزية الآخرة(: يبني فكرًا يعطي الأولوية للقيم الروحية والأخلاقية على المادية.
.2مفهوم) الاقتصاد الإسلامي الرحيم(: يبني فكرًا اقتصاديًا يقوم على التكافل وعدم الإرهاق المالي.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
عندما يعرف الإنسان حقيقة الدنيا، ويتعلق بالآخرة، ويثق في لطف الله، فإنه يبني مجتمعًا متوازنًا: يعمل للدنيا كأنه يعيش أبدًا، ويعمل للآخرة كأنه يموت غدًا.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الزهدي: الآية ترسخ الزهد الإيجابي، وهو ألا تكون الدنيا في القلب وإن كانت في اليد.
.2البعد التحفيزي: "يؤتكم أجوركم" تفتح أفق الأمل، فكل تعب في سبيل الله له أجر، حتى لو لم يرى الإنسان ثمرته في الدنيا.
.3البعد التشريعي: "ولا يسألكم أموالكم" تكشف روح الشريعة الإسلامية في رفع الحرج .وهذه قاعدة كلية في الفقه.
.4البعد الحضاري: حضارة الترف تهتم بـاللهو واللعب، فتضمحل وتزول .أما حضارة الإيمان والتقوى فتبقى، لأنها قائمة على الجد والعمل لله.

رسالة ختامية للآية (36):

يا عبد الله، لا تغتر بالدنيا. إنها والله إلا لعب ولهو، تمر ساعاتها كالحلم. فاجعلها مزرعة لآخرتك، تعمل فيها بالإيمان والتقوى، وتنتظر الأجر من الله. ولا تخف من الفقر، فـالله لطيف بك، لم يسألك كل م الك، فكن كريمًا بالنزر اليسير. عش في الدنيا بجسدك، وعلق قلبك بالآخرة. اللهم ارزقنا الإيمان و التقوى، وآتنا أجورنا كاملة غير منقوصة، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا.

المبحث الثاني

تفسير الآية (37) من سورة محمد

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد أن أخبرت الآية (36) أن الله لا يسألنا أموالنا كلها، تأتي هذه الآية لتكشف عن حكمة هذا التخفيف ولطفه. إنها تنتقل إلى الكشف عن طبيعة النفس البشرية ومرضها في حب المال، وكيف أن التكليف بما فوق الطاقة قد يفضي إلى نتائج عكسية خطيرة. الآية تقول: إن الله يعلم أنكم لو ألح عليكم في طلب المال، وطالبكم بإخراجه كله، لبخلتم وامتنعتم، ولو فعلتم لكان البخـل سببًا في إخراج ما في قلوبكم من الحقد والغل على الدين وأهله. فـالله برحمته خفف عنكم، لئلا تظهر هذه ا لأضغان. إنها آية تفضح البخل، وتربطه بأمراض القلوب، وتذكر بنعمة الله في تيسير التكاليف.

تفسير الآية (37)

قال تعالى:
﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾

المعنى العام للآية:

إن يطلب الله منكم -أيها المؤمنون- أموالكم كلها بإلحاح وإجهاد، بأن يوجب عليكم إخراجها جميعًا، لتمنعتم وبخلتم بها شحًا. ولبخل هذا أثره القلبي الخطير: وهو أن الله يخرج ما تخفيه صدوركم من الأحقاد والضغائن على الدين وأهله. فبرحمة الله ولطفه، خفف عنكم ولم يوجب عليكم إلا اليسير، لئلا تظهر هذه الأضغان، وليبقى صدركم سليمًا.

مقاصد وأهداف الآية:

.1بيان طبيعة النفس البشرية: وما جبلت عليه من حب المال والشح.
.2فضح علاقة البخل بأمراض القلوب: كالغل والحقد على أولياء الله.
.3إظهار حكمة الله ولطفه في تشريعاته: فالتكاليف جاءت مراعية لطبائع البشر.
.4تحذير المؤمنين من البخل: والتنفير منه لأنه يولد الأضغان.
.5تذكير المؤمنين بنعمة التيسير في التكاليف المالية.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "إن يَسْأَلكمُوهَا" – افتراض السؤال والطلب

.1دلالة "إن"
"إن" الشرطية، وتفيد افتراض الحدوث .أي: لو حصل وطلب منكم.

.2دلالة "يَسْأَلكمُوهَا"

· السؤال: الطلب.
· الضمير "ها" يعود على "أموالكم" المذكورة في الآية السابقة: ﴿وَلَا يَسْأَلكمْ أَمْوَالكمْ﴾.
· المعنى: إن يطلب منكم أموالكم كلها.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الدائن والمَدين: دائن يطلب من مدينه المال بلطف، ثم يلح عليه ويطلبه كله دفعة واحدة، وهو يعرف أن المدين معسر .هذا هو معنى "يسألكموها فيحفكم".
· مثال الأستاذ والطالب: أستاذ يطلب من طلابه واجبًا، ثم يلح عليهم ويطالبهم بأكثر من طاقتهم.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تذكر أن الله يعلم ضعفك، ولذلك لم يثقل عليك.
· عمليًا: إذا شعرت بثقل تكليف، تذكر أن الله خفف عنا أعظم منه، فاحمده.

المحور الثاني: "فَيُحْفِكمْ" – الإلحاح والإجهاد في الطلب

.1دلالة الفاء في "فَيُحْفِكمْ"
للتسبيب والتعقيب. أي: يسألكموها، ثم يتابع السؤال بالإلحاح.

.2دلالة "يُحْفِكمْ"
الإحفاء: هو الإلحاح في المسألة والإجهاد فيها حتى يبلغ المرء أقصى جهده. والمعنى: يلح عليكم في طلب المال ويجهدكم في ذلك، بأن يطلب منكم إخراجه كله.

.3تصوير المشهد
يصور الله مشهدًا افتراضيًا: الله يطلب منكم أموالكم كلها، ثم يلح في هذا الطلب. ماذا ستكون استجابتكم؟

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال المتسول الملح: متسول يطلب نقودًا، فتعطيه، فيلح عليك بالمزيد حتى يرهقك .هذا هو الإ حفاء.
· مثال مدير العمل: مدير يطلب من موظفيه تقريرًا، ثم يلح عليهم في تسليمه، ويكلفهم بتفاصيل صعبة ."فَيُحْفِكمْ" أي يلح حتى يرهقكم.

المحور الثالث: "تبْخَلُوا" – جواب الشرط (الاستجابة المتوقعة)

.1دلالة "تبْخَلُوا"
البخل: هو المنع بعد السؤال. والمعنى: لو طلب منكم ذلك، لمنعتم وبخلتم بشدة. وهذا ليس قصورًا في قدرة الله، بل إخبار عن ما جبلت عليه النفوس من حب المال. إنه تشخيص للطبيعة البشرية.

.2لماذا يبخلون؟
لأن المال شقيق الروح، والإنسان مطبوع على الشح: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الأب مع أبنائه: أب غني، يعرف أن أبناءه لو طلب منهم أن يتنازلوا عن كل أموالهم لإخوانهم، لبخلوا .فهو لا يطلب ذلك، رحمة بهم.
· مثال حب الماء: مسافر في صحراء ومعه قربة ماء، لو طلبت منه أن يسقي بها غيره كل الماء، لبخل، لأنه يخاف على نفسه .المال عند الناس كالماء في الصحراء.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: اعترف بضعفك .فيك شح وبخل، والله يعلمه .فجاهد نفسك.
· عمليًا: إذا هممت بالبخل في واجب مالي، تذكر: أن الله يعلم أني سأبخل لو طلب مني كل مالي، فكيف أبخل في القليل؟ أخرجه فورًا.

المحور الرابع: "وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ" – النتيجة الخطيرة للبخل

.1دلالة "وَيُخْرِجْ"
مجزوم لأنه معطوف على جواب الشرط "تبخلوا". أي: وإن يطلبها منكم، تبخلوا، ويُخرج البخل أضغانكم.

.2دلالة "أَضْغَانَكُمْ"
الأضغان: الأحقاد والغل الدفين. وقد مرت في الآية (29): ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾. وهنا يبين أن من أسباب إخراج الأضغان: البخل عند التكليف المالي.

.3كيف يخرج البخل الأضغان؟

· الإنسان إذا طلب منه ماله كله، قد يبخل، ثم يبدأ في كراهية من كلفه بهذا الطلب) الدين(، ويكره الرسول ﷺ الذي بلغ عنه التكليف، ويكره المؤمنين الذين ينفقون.
· فالبخل يفضح ما في القلب من حب الدنيا وتقديمها على محبة الله.
· الأضغان كانت دفينة، فلما جاء الاختبار الثقيل، أخرجها البخل إلى السطح.

.4وجه الربط العجيب بين البخل والأضغان
هذا من بدائع التحليل القرآني للنفس البشرية. البخل ليس مجرد سلوك اقتصادي، بل هو مؤشر على مرض قلبي، وهو في الوقت نفسه سبب لإخراج أمراض قلبية أخرى (الأضغان). فالمال يكشف معادن الناس.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الميراث: عائلة متحابة .يموت الأب، ويُفتح باب الميراث .هنا يطلب كل واحد حقه في المال . من كان في قلبه ضغن، يخرجه البخل والحرص على الميراث، فتظهر العداوات والقطيعة.
· مثال الشريكين: شريكان في تجارة، طول عمرهما متحابين .تأتي أزمة مالية، فيبخل أحدهما على الآ خر .هنا يظهر الغل والضغن، ويتخاصمان.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: المال هو محك القلوب .لا تحكم على إيمانك إلا عند اختبار المال .إذا رأيت من نفسك بخلًا، فاعلم أن هناك ضغنًا خفيًا، فعليك بالمجاهدة.
· عمليًا: كلما خرجت زكاة أو صدقة، تفقد قلبك .هل خرجت بطيب نفس؟ إن وجدت ترددًا أو ثقلا ً، فاستغفر الله وادعُ أن يزيل الغل من قلبك.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا":
· محاسبة النفس: كم مرة بخلت في أمر يسير، فضلا ً عن المال كله؟ هذا اعتراف بالتقصير.
· التطبيق العملي: افرض على نفسك "يوم جود" كل أسبوع، تبذل فيه المال وتتعمد مخالفة الشح

الذي في نفسك.
· في دائرة "وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ":
· محاسبة النفس: عندما أبخل، هل أحس بضيق من المتصدقين أو من الذين يذكرونني بالزكاة؟ هذا هو الضغن.
· التطبيق العملي: إذا رأيت من ينفق في الخير، فادعُ له بدل أن تحسده .قل: "اللّهم بارك له، وزدني من فضلك".

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نعترف بضعفنا: ونشكره أنه لم يكلفنا فوق طاقتنا.
.2يريدنا أن نحذر من البخل: فهو بوابة لخروج الأضغان وأمراض القلوب.
.3يريدنا أن نتعامل مع المال بحذر: المال فتنة، فلا نجعله سببًا لكراهية الخير وأهله.
.4يريدنا أن نطهر قلوبنا من الشح: لأن الشح يولد البخل، والبخل يولد الغل.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: المال كاشف للمعدن.

· التطبيق العملي: قبل أن تمدح إنسانًا أو تذمه في تعامله مع المال، انتظر موقفًا ماليًا صعبًا معه . سترى حقيقته.

.2درس: البخل يولد البغضاء.

· التطبيق العملي: في حياتك الأسرية، كن كريمًا على زوجتك وأولادك .الزوج البخيل يزرع في قلوب أهله الضغن .أنفق بالمعروف.

.3درس: التكاليف الشرعية رحمة.

· التطبيق العملي: لا تنظر إلى الزكاة على أنها عبء، بل هي فرصة لتطهير نفسك من الشح، وتجنب إخراج الأضغان .أخرجها وقل: "اللّهم طهر قلبي من الشح والغل".

.4درس: محبة المال فتنة كبرى.

· التطبيق العملي: لا تجعل المال في قلبك .أنفقه في الخير، واجعله في يدك لا في قلبك .ادعُ دائمًا: "اللّهم إني أعوذ بك من فتنة المال".

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· تعلمنا أن للإفراط في التكليف آثارًا عكسية: "فيحفكم تبخلوا" هذا درس للقادة والمربين وأولياء الأ مور .لا تحملوا من تحت أيديكم فوق طاقتهم، حتى لا يبخلوا بالجهد ويضطغنوا .منهج التدرج و التيسير هو الأنفع.
· تعلمنا أن البخل ليس بخلا ً بالمال فقط، بل بالجهد والعلم والوقت: "تبخلوا" ينطبق على كل من يمنع الخير الذي عنده .من يبخل بعلمه، أو بوقته، قد يخرج ضغنه إن طلب منه البذل.
· تعلمنا أن المشاعر السلبية) الأضغان (قد يكون سببها ماديًا بحتًا: التحليل النفسي للآية يظهر أن كثيرًا من العداوات أصلها المال .وهذا يفسر كثيرًا من النزاعات الأسرية والاجتماعية.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) التكليف على قدر الطاقة(: يبني إنسانًا مدركًا لحدود نفسه، ومجتمعًا تسوده الرحمة في التكاليف.
.2مفهوم) الجود كمؤشر صحة قلبية(: يبني مجتمعًا كريمًا، يقيّم الأفراد ليس بمالهم، بل بجودهم وبذلهم، فتنمو ثقافة العطاء.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) التحليل المالي للنفس(: يبني إنسانًا يعرف أن موقفه من المال يكشف حقيقة قلبه، فيراقب نفسه عند بذل المال.
.2مفهوم) المال والأضغان(: يبني نفسًا تعالج جذور الكراهية، فتعرف أن سبب بعض الضغائن هو المال، فتتسامح.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) فقه التيسير(: يبني فكرًا يراعي واقع الناس ولا يشدد عليهم، فينتشر الخير.
.2مفهوم) اقتصاد التزكية(: يبني فكرًا اقتصاديًا يهدف إلى تزكية النفس قبل جمع المال.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
مجتمع يقوم أفراده على الجود، ويعالجون أضغانهم بالإنفاق، ويتعاملون مع المال كوسيلة لتزكية النفس لا للإفساد، هو مجتمع محصن ضد التفكك الأسري والاجتماعي.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد النفسي العميق: الآية تكشف ما يمكن تسميته بـ"مركب البخل والأضغان" .البخل يولد ضغينة تجاه من يطالب بالحق .هذا التحليل النفسي القرآني عميق جدًا ويستحق دراسات مستقلة.
.2البعد التربوي في القيادة: القائد الحكيم لا يحمل جنوده فوق طاقتهم، لئلا يبخلوا بأرواحهم ويضطغنوا عليه .الآية تعطي منهجًا للقيادة الراشدة في إدارة الموارد البشرية.
.3البعد الاجتماعي والإصلاحي: كثير من مشكلات المجتمع سببها المال .الآية تلفت النظر إلى أن إص لاح النفوس من الشح هو أحد مفاتيح الإصلاح الاجتماعي.
.4البعد التشريعي المقاصدي: الآية تظهر مقصدًا عظيمًا من مقاصد الشريعة: "رفع الحرج" و"مراعاة طبائع النفوس" .وهذا يعطي الفقيه والداعية بعدًا في فهم الأحكام.

رسالة ختامية للآية (37):

يا من تحب المال، اعلم أن المال محك. لا تغرنك نفسك، فأنت أسير حبه. لولا رحمة الله لطلب منك كل مالك، فلبخلت، ولخرجت أضغانك. فاشكر الله الذي خفف عنك، وجاهد نفسك على الكرم، وطهّر قلبك من الشح. أنفق ولو قليلا ً، ولكن بطيب نفس. ولا تجعل المال سببًا في كراهية إخوانك. كن جوادًا، يعطيك الله أجورك ولا يسألك أموالك.
رابعا
نصل إلى ختام سورة محمد، ونتأمل آيتها الأخيرة التي تختم السورة بخاتمة عجيبة، تجمع أطراف ما سبق كله في تحذير أخير ونداء إلهي مزلزل. إليك تفسير الآية (38) بنفس المنهجية الشاملة و المفصلة، دون حذف أي فقرة، مع بيان دلالة الاختتام بهذه الآية.

التمهيد: موقع الآية من سياق السورة

بعد رحلة طويلة في سورة محمد، بدأت بالحديث عن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، ثم كشفت عن نفاق المنافقين وأمراض قلوبهم، ثم وجهت المؤمنين إلى طاعة الله ورسوله، والجهاد، والصبر، والإ نفاق في سبيل الله، وحذرتهم من الوهن وإبطال الأعمال، وبينت لهم حقيقة الدنيا وأنها لعب ولهو، وفضحت البخل وعلاقته بالأضغان؛ تأتي هذه الآية لتكون الخاتمة الجامعة المانعة.

إنها الآية التي تعود إلى الموضوع الأساسي الذي بدأت به السورة: الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله، والتحذير من التخلي عن هذا الواجب. ولكنها تأتي هنا في صورة خطاب مباشر صادم: "هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ". إنها تخاطب أولئك الذين سمعوا كل ما سبق من ترغيب وترهيب، ومع ذلك يبخلون. ثم تختم بتهديد مزلزل: إن تتولوا عن الإنفاق وعن دين الله، فالله سيستبدل بكم قومًا آخرين، لا يكونون مثلكم في البخل والتولي، بل يجاهدون وينفقون وينصرون دينه.

هذه الآية ليست مجرد خاتمة، بل هي صرخة تحذير، وقانون سنة إلهية، وإنذار أخير. إنها تجعل القارئ يقف مع نفسه: أين أنا من هذا الخطاب؟

تفسير الآية (38)

قال تعالى:
﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾

المعنى العام للآية:

بعد كل ما تقدم من البيان، يأتي الخطاب الإلهي المباشر: ها أنتم أيها المؤمنون، هؤلاء المخاطبون، تدعون إلى الإنفاق في سبيل الله لنصرة دينه وقتال أعدائه، فمنكم من يبخل ويمسك يده. ومن يبخل فإنما يضر نفسه فقط، لأن الله غني عن إنفاقكم، وأنتم الفقراء إليه وإلى رحمته. وإن تعرضوا عن طاعة الله وتتركوا الجهاد والإنفاق وترتدوا، فالله سيستبدل بكم قومًا آخرين يطيعونه ويجاهدون في سبيله ولا يقصرون، فلا تكونوا أنتم بديلا ً عنهم، بل هم البديل عنكم.

مقاصد وأهداف الآية:

1.توبيخ المقصرين في الإنفاق: بخطاب مباشر صادم، لإيقاظهم.
2.بيان حقيقة البخل: أنه ضرر يعود على صاحبه، لا على الله.
3.ترسيخ عقيدة غنى الله وفقر العباد: فالله لا يحتاج إلى أحد، ونحن المحتاجون.
4.التهديد بالاستبدال: وهو من أشد أساليب التحذير في القرآن.
5.دفع المؤمنين للمسارعة في الإنفاق والطاعة: قبل أن يستبدلهم الله بغيرهم.
6.ختام السورة بقانون الاستبدال الإلهي: الذي يحكم الأمم والحضارات.

أولا ً: التحليل التفصيلي للآية الكريمة

المحور الأول: "هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" – خطاب التوبيخ والاستنهاض

1.دلالة "هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ"

· "ها": حرف تنبيه، لشد انتباه المخاطبين لما سيأتي من كلام مهم.
· "أنتم": ضمير المخاطبين.
· "هؤلاء": اسم إشارة، جيء به لتأكيد الخطاب وتوجيهه مباشرة .فكأنه يقول: أنتم بالذات، لا غيركم، المقصودون بهذا الكلام.
· هذا التركيب "هاأنتم هؤلاء" فيه قصر وتعيين: أي أنتم المخصوصون بهذا الخطاب.

2.دلالة "تُدْعَوْنَ"
الدعوة: الطلب والتحريض على الفعل. أنتم تُدعون إلى الإنفاق. وهذه الدعوة مستمرة: من الله، من رسوله، من آيات القرآن، من ضمائركم.

· صيغة المبني للمجهول "تُدعَون" للدلالة على أن الداعي معظَّم: الله ورسوله.

3.دلالة "لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"

الإنفاق في سبيل الله: بذل المال في الجهاد، وفي كل ما يوصل إلى نصر الدين وإعلاء كلمة الله. و "في سبيل الله" تشريف للإنفاق، وبيان لغايته.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال قائد الجيش: قائد يخاطب جنوده بعد معركة: "ها أنتم هؤلاء، تُطلبون للقتال، فمنكم من يتقدم ، ومنكم من يجبن" .إنه خطاب مباشر يفضح المترددين.
· مثال مدير المدرسة: مدير يجمع طلابه ويقول: "ها أنتم هؤلاء، تمنحون فرصة للنجاح، فمنكم من يذاكر، ومنكم من يهمل" .إنه تحفيز وتوبيخ معًا.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: هذا الخطاب موجه إلينا اليوم كما خوطب به الصحابة ."هاأنتم هؤلاء" أي: أنتم يا مسلمي هذا العصر، تدعون للإنفاق لنصرة دينكم .فهل أنتم مستجيبون؟
· عمليًا: استشعر أنك أنت المخاطب .عندما تقرأ هذه الآية، قل: "اللهم سمعًا وطاعة".

المحور الثاني: "فَمِنكُم مَن يَبْخَلُ" – فضح واقع التخاذل

.1دلالة الفاء في "فَمِنكُم"
لتفريع النتيجة على المقدمة. بعد أن تقرر أنكم تدعون، فالنتيجة الواقعة المشاهدة: منكم من يبخل.

.2دلالة "مِنكُم"
أي: من جملتكم، من صفوفكم. وهذا فيه تعجيب: كيف يكون من بين المؤمنين من يبخل؟

.3دلالة "مَن يَبْخَلُ"
البخل: منع ما يجب بذله. والمعنى: بعضكم يبخل ويمسك ماله عن الجهاد وعن الإنفاق في سبيل الله.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الفريق الرياضي: فريق كرة قدم، والكل يدعى للتدريب، فمنهم من يتدرب بجد، ومنهم من يتكاسل ."فمنكم من يبخل" بجهده.
· مثال الأسرة: أسرة تدعى للتعاون في تنظيف البيت، فمنهم من يعمل، ومنهم من يبخل بوقته وجهده.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· عمليًا: لا تكن من الفريق الذي يبخل .كن ممن ينفقون ويبذلون بسخاء.

المحور الثالث: "وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ" – حقيقة البخل وضرره

.1دلالة "وَمَن يَبْخَلْ"
شرط عام يشمل كل باخل في كل زمان ومكان.

.2دلالة "فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ"

· "إنما": أداة حصر .أي: حصرًا، بخله لا يتعداه، ولا يضر إلا نفسه.
· "عن نفسه": وليس "على نفسه" ."عن" تفيد المجاوزة، أي: يمنع الخير عن نفسه، ويُعرض عنه .فهو البخيل حقيقة على ذاته.

.3كيف يكون البخل عن النفس؟

· الباخل يمنع عن نفسه الثواب العظيم يوم القيامة.

· يمنع عن نفسه النصر في الدنيا، لأن الأمة الباخلة لا تنصر.
· يمنع عن نفسه رضوان الله، وبركة المال، وسعة الصدر.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الشجرة التي تمنع ماءها عن نفسها: شجرة في أرض جافة، تصلها مياه، فتمنعها عن جذورها . من الذي يموت؟ الشجرة نفسها .الباخل يمنع عن نفسه أسباب الحياة الطيبة.
· مثال العضو في الجسد: عضو في الجسد يمنع عنه الدم .ماذا يحدث؟ يموت ويتعفن .الباخل كعضو منع عن نفسه غذاءه.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: عندما تبخل، أنت تحرم نفسك الخير .هذا الفهم يبدل شعورك تجاه البذل: فبدلا ً من أن تشعر أنك تعطي غيرك، تشعر أنك تعطي نفسك أولا ً.
· عمليًا: إذا هممت بالبخل، قل لنفسك: "إنما أبخل عن نفسي، لا عن غيري" .هذا كفيل بأن يدفعك للإ نفاق.

المحور الرابع: "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ" – إعلان الحقائق الكبرى

.1دلالة الجملة الاسمية "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ"
تقديم لفظ الجلالة، وبناء الجملة على الاسمية، للدلالة على أن غنى الله صفة ثابتة دائمة. الله غني عن إنفاقكم، غني عن أموالكم، غني عن طاعتكم، غني عن العالمين.

.2دلالة "وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ"
أنتم الفقراء إلى الله. فقراء في ذواتكم: تحتاجون إليه في كل لحظة. فقراء في أموالكم: هي في الحقيقة ملكه. فقراء إلى رحمته ومغفرته وجنته.

.3المقابلة بين غنى الله وفقر العباد
هذه المقابلة العظيمة تنسف الكبر، وتنسف البخل. فمن أنت لتبخل؟ أنت فقير أصلا ً. والله غني عنك وعن مالك. فلمن تبخل؟ لنفسك! إنها قمة البلاغة في تقرير حقارة البخل.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال الغني والمحتاج: ملياردير يطلب من فقير قرشًا .الفقير يبخل .من الذي يحتاج؟ الفقير .الغني لا يحتاج! الله هو الغني المطلق، فكيف نبخل عليه وهو الذي أعطانا؟
· مثال البحر والقطرة: بحر واسع، وقطرة ماء تتبخر خوفًا من أن تنقص البحر! هذا هو حال الباخل: ماله قطرة، والله هو البحر الغني.

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: تأمل فقرك إلى الله .أنت محتاج إليه في كل نفس .فكيف تبخل بما أعطاك؟
· عمليًا: كلما أردت أن تنفق، تذكر: "الله غني عني، وأنا فقير إليه" .هذا يجعلك تنفق بطيب نفس وتواضع.

المحور الخامس: "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" – التهديد بالاستبدال

.1دلالة "وَإِن تَتَوَلَّوْا"
التولي: الإعراض والرجوع. أي: إن تعرضوا عن طاعة الله، وعن الجهاد، وعن الإنفاق، وترجعوا إلى الكفر أو المعاصي.

.2دلالة "يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ"
الاستبدال: هو الإتيان ببدل. الله سيهلككم ويستبدل بكم قومًا آخرين غيركم، يحملون راية هذا الدين،

وينفقون في سبيله، ولا يتولون. هذا قانون إلهي ثابت: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

3.دلالة "ثمّ لا يَكونوا أمْثالَكم"
"ثم" للتراخي، لبيان عظمة الفرق بين الفريقين .القوم المستبدلون أفضل منكم، لا يكونون أمثالكم في البخل، ولا في التولي، ولا في التقصير .بل هم مطيعون، منفقون، مجاهدون .وهذا من أبلغ التهديد: أن يصف الله البديل بأنه أفضل.

أمثلة تقريبية للدلالة:

· مثال العامل المهمل: عامل يهمل في عمله، فيقول له مديره: "إن تهمل، فسأستبدلك بآخر أفضل منك، ولن يكون مثلك" .هذا تهديد بالاستغناء.
· مثال الأمة التي تراخت: أمة كانت في القمة، فتراخت وتركت الجهاد، فسلط الله عليها أمة أخرى، كانت خيرًا منها .هذا هو الاستبدال) .كما حدث في التاريخ.(

الرسائل التربوية والنفسية والعملية:

· نفسيًا: أشعر بقيمة نفسك .أنت اليوم حامل لواء الدين .فإن قصرت، فالله سيستبدلك بغيرك .لا تترك مكانك لغيرك.
· عمليًا: لا تقل: "غيري سيفعلها" .أنت المقصود .فإن لم تفعل، استبدلك الله بمن هو خير منك.

دلالة الاختتام بهذه الآية

اختُتمت سورة محمد بهذه الآية العظيمة التي تحمل في طياتها خلاصة السورة وروحها. ودلالة هذا ا لاختتام تتجلى في وجوه عدة:

1.الإجابة عن السؤال الوجودي للسورة:
السورة كلها تدور حول سؤال مركزي: من ينصر دين الله؟ ومن يحمل رايته؟ والآية الأخيرة تجيب: إن لم تفعلوا أنتم، فالله سيأتي بقوم غيركم. إنها تضع المؤمنين أمام مسؤوليتهم التاريخية. فإما أن ينصروا الدين فيكونوا هم الأعلين، وإما أن يستبدلوا.

2.عودة إلى موضوع الإنفاق والجهاد:
بدأت السورة بالحديث عن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، والقتال. وفي الختام، تعود إلى الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والجهاد. وهذا يبين أن موضوع الجهاد والإنفاق هو العمود الفقري للسورة. فالختام يربط البداية، ويجعل السورة دائرة واحدة محكمة.

3.قانون الاستبدال:
هذه الآية ترسخ قانونًا كونيًا: حاجة الله إلى عباده ليست حاجة افتقار، بل حاجة استخلاف وامتحان. فمن قام بالواجب، أثابه. ومن تولى، استبدله. وهذا القانون هو الذي يحكم بقاء الأمم وزوالها. اختتام السورة بهذا القانون يجعل منه رسالة خالدة لكل جيل.

4.التهديد والرجاء معًا:
الآية تهدد بالاستبدال، لكنها في الوقت نفسه تفتح باب الرجاء. فما داموا لم يستبدلوا بعد، فالفرصة ما زالت قائمة. ختام السورة بهذا الأسلوب يجمع بين الترهيب والترغيب، فيدفع المؤمن للعمل.

5.تناسب بديع مع فاتحة السورة:
في بداية السورة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. وفي الختام: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. الفريق الأول (الكفار) أضل أعمالهم، والفريق الثاني (المؤمنون المتولون) يستبدلون. وهذا يبين أن مصير المتولي عن دين الله كمصير الكافر، إما إضلال العمل، وإما الاستبدال.

6.رسالة خالدة للأمة:
اختتام السورة بهذه الآية يجعلها رسالة مفتوحة إلى يوم القيامة. إنها تخاطب كل جيل من المسلمين: إن قصرتم في واجبكم، فالله سيأتي بغيركم. وإن قمتم، فلكم العزة والتمكين.

ثانيًا: كيف تكون قراءة الآية قراءة واعية ونحولها إلى واقع ملموس؟

· في دائرة "هَاأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ":
· محاسبة النفس: كم مرة سمعت دعوة للإنفاق أو للجهاد فتباطأت؟ هل أنا ممن يستجيبون أم ممن يبخلون؟
· التطبيق العملي: عندما تسمع نداءً لجمع تبرعات، أو لمشروع خيري، بادر فورًا ولا تتردد.
· في دائرة "وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ":
· محاسبة النفس: هل أدركت أن بخلي هو خسارتي أنا؟
· التطبيق العملي: كلما أنفقت، تذكر أنك تدخر لنفسك، لا لغيرك .قل: "اللّهم إني أنفق عن نفسي، فارزقني أجرها".
· في دائرة "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ":
· محاسبة النفس: هل أشعر بالفقر إلى الله حقًا؟ هل تتجلى هذه المشاعر في دعائي وتوكلي؟
· التطبيق العملي: أكثر من دعاء: "يا غني، يا حميد، أغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك".
· في دائرة "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ":
· محاسبة النفس: هل أخاف أن يستبدلني الله بغيري؟ هل أنا جدير بحمل راية الدين؟
· التطبيق العملي: قم بواجبك في خدمة الإسلام، ولو كان يسيرًا .لا تترك الثغرة، فيأتي غيرك ليملأ ها.

ثالثًا: واجب الوقت (ماذا يريد منا المولى سبحانه وتعالى من هذه الآية؟)

.1يريدنا أن نستجيب فورًا لدعوته للإنفاق: لا نتردد ولا نبخل.
.2يريدنا أن نعرف حقيقة البخل: أنه هلاك للنفس، لا توفير.
.3يريدنا أن نشعر بفقرنا المطلق إليه: فلا نتكبر ولا نبخل.
.4يريدنا أن نرتعب من التهديد بالاستبدال: فنعمل بجد لئلا نستبدل.
.5يريدنا أن نحمل مسؤولية هذا الدين: كل في موقعه، لئلا يأتي من هو خير منا فيحمله.

رابعًا: أهم الدروس من الآية في حياتنا العملية (مع التطبيق العملي)

.1درس: البخل خسارة معجلة ومؤجلة.

· التطبيق العملي: احسب ما أنفقته في الخير الشهر الماضي .إن كان قليلا ً، فتب وخصص ميزانية ثابتة للإنفاق في سبيل الله.

.2درس: الشعور بالفقر إلى الله دافع للبذل.

· التطبيق العملي: في كل صباح، قل: "اللّهم إني فقير إليك، فأغنني" .هذا يذكرك بحقيقتك، فيسهل عليك البذل.

.3درس: الاستبدال سنة جارية.

· التطبيق العملي: اقرأ في التاريخ عن أمم استبدلهم الله .هذا يزيد من يقينك بالآية، ويجعلك تخاف أن تكون منهم.

.4درس: الله لا يحتاجنا، بل نحن المحتاجون إليه.

· التطبيق العملي: لا تمنن على أحد بصدقتك .أنت الفقير، والله هو الغني .تصدق وقل: "اللّهم تقبل مني، إنك أنت الغني وأنا الفقير".

خامسًا: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

· في الاستثمار: الباخل كمن لا يستثمر أمواله، بل يخبئها فتنقص قيمتها .والمنفق كمن يستثمر في مشروع رابح مضمون ."وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ" تعني أنك تحرم نفسك الربح الأكيد.
· في القيادة: القائد الناجح يعلم أن تقصيره في واجبه قد يعرضه للاستبدال .هذا يجعله دائم اليقظة والتطوير.
· في خدمة المجتمع: إذا قصرت في واجبك المجتمعي، سيأتي غيرك ويأخذ مكانك .فلا تترك فراغًا يملؤه غيرك.

سادسًا: تحويل المفاهيم إلى طاقة لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة

أولا ً: المفاهيم العملية:

.1مفهوم) الإنفاق استثمار في الذات(: يبني إنسانًا لا يبخل، بل يرى الإنفاق ربحًا لا خسارة.
.2مفهوم) الاستبدال الحضاري(: يبني مجتمعًا يدرك أن بقاءه مرهون بقيامه بواجبه، فيسعى للتمكين.

ثانيًا: المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الغنى النفسي بالفقر إلى الله(: يبني نفسًا متواضعة، تشعر بفقرها إلى خالقها، فلا تتكبر.
.2مفهوم) الخوف الإيجابي من الاستبدال(: يبني نفسًا دائمة الترقب لأدائها، تسعى للأفضل.

ثالثًا: المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) قانون بقاء الأصلح إيمانيًا(: يبني فكرًا يدرك أن البقاء ليس للأقوى ماديًا، بل للأصلح إيمانيًا وعمليًا.
.2مفهوم) مركزية الإنفاق في نهضة الأمة(: يبني فكرًا يربط بين الجهاد بالمال والتمكين الحضاري.

رابعًا: التكامل بين هذه المفاهيم:
إذا قام المجتمع على أفراد لا يبخلون، ويشعرون بمسؤوليتهم، ويخافون الاستبدال، فإن هذا المجتمع ينهض، ويحمل راية الدين، ويقود الحضارة.

سابعًا: أبعاد وآفاق الآية

.1البعد الإيماني: الآية ترسخ أن الله هو الغني المطلق، وهذا يحرر الإنسان من عبودية المال، ويجعله ينفق بطيب نفس.
.2البعد التاريخي: قانون الاستبدال يفسر صعود الأمم وسقوطها .أمة المسلمين لما تركت الجهاد والإ نفاق في سبيل الله، استبدلها الله بأمم أخرى قادت العالم.
.3البعد الحضاري: اختتام السورة بهذا التهديد يضع الأمة في حالة يقظة دائمة .إنها تحفز على العمل ، وتنفي الوهم بأننا أمة مختارة لا يمكن أن تستبدل .بل نحن مستخلفون، فإن قمنا بالشرط بقينا، وإن تولينا استبدلنا.
.4البعد الشخصي: كل فرد في الأمة مخاطب .أنت أيها المسلم، إن تقاعست عن خدمة دينك، فالله سيستبدلك بغيرك فيكون خيرًا منك .هذا يدفع كل فرد للمساهمة بما يستطيع.

رسالة ختامية للآية (38) وللسورة كلها:

يا من تسمع ختام هذه السورة العظيمة، كأني بالله يناديك: ها أنت أيها القارئ، تدعى لتنفق في سبيلي، أفتستجيب أم تبخل؟ إن تبخل، فأنت المحروم. وإن تتول، فسيأتي بك غيرك. فانظر أين موقعك. كن ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. كن ممن ينفقون ولا يبخلون، فيكونون هم الأعلين، ويكون الله معهم، ولا يترهم أعمالهم.

اللهم اجعلنا من عبادك المنفقين في سبيلك، ولا تجعلنا من الباخلين. اللهم لا تستبدل بنا غيرنا، وثبتنا على دينك، وانصرنا على أعدائك، واختم لنا بخاتمة السعداء. اللهم إنا نسألك أن تجعل هذا التفسير حجة لنا لا علينا، وأن تنفع به قارئه وناشره. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.